ج. د. سالينجر

مكتبة

رواية

فراني وزوي

ترجمة: أسامة منزلجي

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود

انقر هنا .. اتبع الرابط

telegram @soramnqraa

فراني وزوي

روايـــة

Author: **J. D. Salinger**	اسم المؤلف: ج. د سالينجر
Title: **Franny and Zooey**	عنوان الكتاب: فراني وزوي
Translated by: **Osama Menzlchi**	ترجمة: أسامة منزلجي
P.C.: **Al-Mada**	الناشر: دار المدى
First Edition: **2024**	الطبعة الأولى: **2024**

جميع الحقوق محفوظة: دار المدى

FRANNY AND ZOOEY

Copyright © 1955, 1957, 1961 by J.D. Salinger

Copyright © renewed 1989 by J.D. Salinger

Arabic language rights arranged with the J.D. Salinger Literary Trust through Andrew Nurnberg Associates Limited, London

للإعلام والثقافة والفنون

Al-mada for media, culture and arts

+ 964 (0) 770 2799 999 + 964 (0) 780 808 0800 بغداد: حي أبو نؤاس - محلة 102 - شارع 13 - بناية 141

+ 964 (0) 790 1919 290 Iraq/ Baghdad- Abu Nawas-neigh. 102 - 13 Street - Building 141

دمشق: شارع كرجية حداد- متفرع من شارع 29 أيار

Damascus: Karjieh Haddad Street - from 29 Ayar Street

+ 963 11 232 2276 + 963 11 232 2275

+ 963 11 232 2289 ص.ب: 8272

بيروت: بشامون - شارع المدارس

Beirut: Bchamoun - Schools Street

+ 961 175 2617 + 961 706 15017

+ 961 175 2616

10 10 2024 مكتبة

t.me/soramnqraa

ج. د سالينجر

مكتبة
t.me/soramnqraa

فراني وزوي

ترجمة: أسامة منزلجي

فراني

على الرغم من أنّ صباح يوم السبت كان مُشرِقاً برّاقاً فإنَّ غطاءً سميكاً من السُحب تشكل من جديد، ليس مجرد غطاء مرتفع، كما كان الحال طوال الأسبوع وتمنّى الجميع لو يدوم حتى عطلة الأسبوع الكبرى - العطلة الأسبوعيّة التي ستُقام خلالها مباراة جامعة ييل. ومن بين الشبّان العشرين ونيّف الذين كانوا ينتظرون في المحطّة وصول رفيقاتهم على متن رحلة الساعة العاشرة والثانية والخمسين دقيقة، لم يخرج إلى الرصيف البارد والمكشوف أكثر من ستة أو سبعة منهم. أما الباقون فوقفوا بلا قبعات، في مجموعات صغيرة يكتنفها الدخان من شخصين أو ثلاثة أو أربعة داخل غرفة الانتظار التي يشيع فيها الدفء، يتحدثون بأصواتٍ بدتْ، كلّها بلا استثناء، جازمة بصورة مدرسيّة، وكأنَّ كل شاب منهم كان، بأسلوبه البارع وعالي النبرة في الحديث، يوضِّح للمرة الأولى والأخيرة، مسألةً جدليّة إلى أقصى مدى، مسألة كان العالم الخارجيّ، بعيداً عن الهيئة الأكاديميّة، يُناقشها عشوائيّاً منذ قرون.

كان لين كاونتل، بمعطفه طراز بيربري المُبطَّن كما بدا واضحاً ببطانة من الصوف مُثبّتة عليه، واحداً من الشبّان الستة أو السبعة على رصيف المحطة المكشوف. أو، بالأحرى، كان واحداً منهم ولم يكن كذلك. على مدى عشر دقائق بقيَ واقفاً عن عمد بعيداً عن مجال الحديث الدائر بين الشبّان، مُستنداً بظهره إلى منصب أدب العلم المسيحي المجانيّ، ويداه المُجرّدتان من القفّاز في جيبيّ معطفه. كان يضعُ لفاعاً من الكشمير الأحمر الداكن يرتفع إلى أعلى عنقه، من دون أنْ يمنحه حِماية تُذكَر ضد البرد. أخرجَ على عجل، وبشيءٍ من الشرود، يده اليُمنى من جيب معطفه وبدأ يُعدِّل من وضع اللفاع،

ولكن قبل أنْ يفعل ذلك، غيَّرَ رأيه واستخدم اليد نفسها في لمس داخل المعطف وأخرج رسالة من الجيب الداخلي لسترته. وباشر بقراءتها على الفور، وفمه منفرج قليلاً.

كانت الرسالة مكتوبة -بالآلة الكاتبة- على ورقة رسائل لونها أزرق باهت. بدا أنها قديمة، ومُستعملة، كأنّما أُخرِجَتْ من مُغلّفها وقرئت مرّاتٍ عدّة من قبل:

أعتقد أنّنا في يوم ثلاثاء.

لين يا أعزّ الناس،

لا أعلم إنْ كنتَ ستتمكّن من سماع هذا بما أنَّ الضجيج في مهجع النوم لا يُطاق هذه الليلة وأنا نفسي أكاد لا أسمع صوت أفكاري. لذلك إذا نطقتُ أيّ شيءٍ بشكلٍ خاطئ أرجو أنْ تتغاضى عن ذلك الخطأ. بالمناسبة، لقد أخذتُ بنصيحتك ولجأتُ إلى القاموس كثيراً مؤخّراً، فإذا جعل ذلك أسلوبي مُعقّداً فاللوم يقع عليك. على أيّة حال، لقد استلمتُ تواً رسالتك الجميلة وأنا أحبّك حبّاً جمّاً طاغياً إلى آخره، ولا أطيق صبراً حتى حلول عطلة نهاية الأسبوع. من المؤسف أنكَ غير قادر على الوصول إليّ في كروفت هاوس[1]، ولكن في الحقيقة لا يهمّني أين أنتظر ما دام المكان دافئاً وخالياً من الحشرات وأنّني أراك أحياناً، أقصد، في كل دقيقة. مؤخراً صرت أقترب، أقصد نحو الجنون. إنني شديدة الولوع برسالتك، خاصة الجزء الخاص بإليوت منها. أعتقد أنني بدأتُ أستخفّ بكل الشعراء ما عدا الشاعرة سابو[2]. كنتُ أقرأها بجنون، أرجوك لا تُدلِ بملاحظات سوقيّة. قد أكتب أطروحتي الفصليّة عنها إذا رغبتُ في نيل مرتبة الشرف وإذا أصبحتُ حمقاء كما أرادوا لي أنْ أكون وعملت مُستشارة لكي يسمحوا لي بنيلها. «أدونيس الرقيق يحتضر، يا سينثيريا، ماذا نفعل؟ اضربن على صدوركن، أيتها الخادمات، وأحضرنَ

1- كروفت هاوس: شركة لتصنيع أثاث المنازل يدوياً ومن مواد طبيعيّة.
2- سابو: شاعرة إغريقيّة من العصور القديمة.

أثوابكن»[1]. أليس هذا *رائعاً*؟ وهي تُكرّر *فعل* ذلك أيضاً. أتحبّني؟ لم تقُل هذا ولا مرّة واحدة في رسالتكَ الفظيعة. إنني أكرهك عندما تتصرَّف كذَكَر متفوّق ومتحفّظ بصرامة (أهي سِمة إسبانيّة؟) لا أقصد أنني *أكرهك* حقاً بل أقصد أنني في الأساس أناهضُ الرجال الأقوياء، الصامتين. وهذا لا يعني أنكَ لستَ قويّاً لأنكَ تعلم ما أعني. إنَّ الضجيج يزداد كثيراً هنا حتى إنني أكاد لا أسمع أفكاري. على أيّة حال، أحبّك وأريد أنْ أرسل هذه الرسالة بالبريد الخاص لكي تتسلّمها باكراً إذا استطعتُ أنْ أعثر على طابع بريد في هذا المنزل الذي تعيثُ فيه الفوضى. أحبّك أحبّك أحبّك. هل تعلم أنني لم أرقص معك إلّا *مرّتين* خلال أحد عشر شهراً؟ ولم أضع في حسباني تلك المرّة في فانغارد عندما كنتَ شديد السُكر. قد أكون شديدة الخجل.

بالمناسبة سوف أقتلك إذا كان هناك لجنة استقبال الضيوف. ألقاك غداً، يا زهرتي!

فراني

XXXXXXXX

XXXXXXXX

ملاحظة: لقد أحضر والدي صور الأشعة من المستشفى ونحن مرتاحون كثيراً، فقد اتَّضحَ أنّه ورم لكنّه ليس خبيثاً. وليلة أمس تحدثتُ مع أمي عبر الهاتف. بل إنني حتى أعتقد أنّهم لم يسمعونا عندما دخلنا.

ملاحظة إضافيّة: أشعر بأنني غبيّة وبلهاء وأنا أكتب لك رسالة. لماذا؟ إنني أمنحك إذناً بتحليلها. فلنحاول أنْ نقضي وقتاً ممتعاً هذه المرة في العطلة الأسبوعيّة. إنني أتعمَّد ألّا أحاول القيام بتحليل كل شيء تحليلاً متعمقاً مرّة واحدة، إنْ استطعت، خاصّة أنا. أحبّك.

فراني (ختمها البريديّ)

كان لين قد وصل إلى قراءة نصف هذه الرسالة عندما قاطعه -أو تدخّلَ

1- مقطع من قصيدة للشاعرة سابو.

عليه، أو انتهك خصوصيته- شاب ضخم الجثّة اسمه راي سورينسون، أراد أنْ يعرف إنْ كان لين يعلم عمّا يتحدث ابن الحرام ذاك المدعو ريلكه. كان لين وسورينسون معاً يلتحقان بقسم الأدب الأوروبي الحديث 251 (الذي يستقبل فقط الطلاب المتقدّمين والخريجين) وكانا قد قرّرا دراسة المرثاة الرابعة من ديوان «مراثي دوينو» في يوم الإثنين. وضع لين، الذي كانت معرفته بسورينسون سطحيّة لكنّه يضمر كراهيّة مُطلقة، وغامضة لوجهه وسلوكه، وضع رسالته جانباً وقال إنّه لا يعلم لكنّه يعتقد أنّه يفهم معظمه. قال سورينسون «أنت محظوظ. أنت رجل محظوظ». استمرَّ صوته بأدنى قدر من الحيويّة، كأنّه جاء لكي يتحدث مع لين بدافع الضجر أو التململ، وليس من أجل إجراء أي نوع من الحوار الإنساني. قال «يا إلهي، الجو بارد»، وأخرج علبة السجائر من جيب سترته. لاحظَ لين وجود أثرٍ باهت ولكن مُحيِّر جداً لأحمر شفاه على طيّة صدر سترة معطف سورينسون المصنوع من شَعر الجِمال، كأنّه كان موجوداً هناك منذ أسابيع طويلة، وربما أشهر، لكنّه لم يكن يعرف سورينسون معرفة كافية تستحق الذكر، ولم يهتم بذلك، أيضاً. ثم إنَّ القطار يوشك أنْ يصِل، والتفتَ الشابان معاً نصف التفاتة نحو اليسار لكي يواجها القطار القادم. وفي الوقت نفسه تقريباً، فُتِحَتْ بوابة قاعة الانتظار بقوة، وبدأ الشبان الذين كانوا يستدفئون يخرجون لكي يستقبلوا القطار، وكانت غالبيتهم تُعطي الانطباع بأنَّ كلاً منهم يحمل بكل يد ثلاث سجائر مُشتعلة دفعة واحدة.

أشعل لين نفسه سيجارة حالما وصل القطار. وكالعديد من الأشخاص الذين كان ينبغي ربما أنْ يُفسَح لهم ممرّ تجريبي جداً لكي يستقبلوا القطارات، حاولَ أنْ يمسح عن وجهه أي تعبير يمكن أنْ ينمّ، ببساطة شديدة، بل وربما بجمال، عن شعوره حيال الشخص الواصل.

كانت فراني من بين أولى الفتيات اللائي ترجلنَ من القطار، من عربةٍ تقع في الطرف الشماليّ النائي من الرصيف. لمحها لين في الحال، وعلى الرغم مما كان يُحاول أنْ يفعل بوجهه، كانت ذراعه التي ارتفعت عالياً في الهواء هي الحقيقة كلها. وشاهدتها فراني، وشاهدته، ولوّحتْ بيدها له بحماس.

كانت ترتدي معطفاً مُنتَزَعاً من جلد الراكون، وقال لين في نفسه، وهو يمشي متقدّماً منها بخُطى سريعة ولكن بحركة وجه بطيئة، وبإثارةٍ مكبوتة، إنّه الوحيد على الرصيف الذي يعرف حقاً معطف فراني. وتذكَّرَ أنّه ذات مرّة، في سيارة مُستعارة، بعد أنْ قبَّلَ فراني طوال نصف ساعة أو نحوها، قبَّلَ أيضاً طيّة صدر معطفها، كأنها امتداد عضويّ، شهيّ تماماً لشخصها نفسه.

حيّته فراني بسرور «لين!» -ولم تكن من النوع الذي يُجرِّد وجهه من أي تعبير. وطوّقته بذراعيها وقبّلته. قبلة رصيف محطة قطار- عفويّة جداً، لكنّها كُبِحَتْ قبل أنْ تُنجَز، بما يُشبه ارتطام جبينين. وسألته «هل استلمتَ رسالتي؟»، ثم أضافتْ على الفور تقريباً، «تبدو كأنكَ متجمّد، أيّها المسكين. لِمَ لم تنتظر في الداخل؟ هل استلمتَ رسالتي؟»

قال لين، وهو يحمل حقيبة سفرها «أيّة واحدة؟». كانت حقيبة بلون أزرق بحريّ مع حاشية من الجلد الأبيض، وتشبه العديد من حقائب السفر الأخرى التي أُخرِجَتْ من القطار.

«ألم تستلمها؟ لقد أودعتها صندوق البريد منذ يوم *الأربعاء* أوه، يا ربي! بل إنني حملتها بنفسي إلى مكتب البريد-»

«أوه، تلك الرسالة. أهذه كل الحقائب التي أحضرتها؟ ما هذا الكتاب؟»

نظرتْ فراني نحو الأسفل إلى يدها اليُسرى، كانت تحمل بها كتاباً صغيراً مُغلّفاً بالقماش أخضر اللون. قالت «هذا؟ أوه مجرد كتاب». وفتحت حقيبة يدها وحشرت الكتاب داخلها، ولحقتْ لين على طول الرصيف نحو مكان وقوف سيارة الأجرة. شبكتْ ذراعها بذراعه، وتولَّتْ معظم الحديث، إذا لم نقُل الحديث كلّه. تكلّمتْ أولاً عن أنّه ينبغي كيّ الثوب الذي في حقيبتها. قالتْ إنها اشترت مكواة صغيرة جميلة حقاً كأنها تناسب بيت دمية، ونسيتْ أنْ تجلبها معها. قالتْ إنها لم تتعرَّف إلى أكثر من ثلاث فتيات في القطار - إلى مارثا فارار، وتيبي تيبيت، وإليانور التي لا تتذكّر كنيتها، وكانت قد قابلتها قبل سنين عديدة، أيام المدرسة الداخليّة، في إكسيتر أو ما شابه.

وقالت فراني إنَّ كل شخص آخر في القطار كان يُشبه سميث، ما عدا اثنين يُشبهان تماماً نمط فاسار وواحداً يشبه *تماماً* نمط بينينغتون أو سارا لورنس. ونمط بينينغتون وسارا لورنس جعلها تشعر كأنها أمضتْ مدّة الرحلة بأكملها تجلس في المرحاض، تنحتُ أو ترسم أو تفعل شيئاً ما أو كأنها ترتدي زي البهلوان تحت ثوبها. وقال لين، وهو يسير بخطى سريعة جداً، إنّه شديد الأسف لأنه لم يتمكّن من أخذها إلى كروفت هاوس -وهذا أمر ميئوس منه، طبعاً- لكنّه أحضرها إلى هذا المكان الأليف، الجميل جداً، والصغير لكنّه نظيف وما إلى ذلك، وهي أحبّته، كما قال، وفي الحال تراءت لفراني صورة لنُزُل مكسو بألواح بيضاء من الخشب، حيث ثلاث فتيات لا تعرف أي منهنّ الأخرى يشغلن غرفة واحدة. والأولى بينهن التي تصل إلى الغرفة تحصل على السرير النهاريّ غير المريح، وتتقاسم الاثنتان الأخريان سريراً مزدوجاً عليه فراش ضخم بكل معنى الكلمة. قالت بحماس «جميل». أحياناً كان تعاني كثيراً من إخفاء ضيق صدرها من الذَكَر الذي يتّصِف بالبلاهة التي يتصف بها الذكور في العموم، من لين على وجه الخصوص. ذكّرها ذلك بليلة ماطرة في نيويورك، بعد الخروج من دار المسرح، عندما سمح لين، بفيضٍ مُريب من عمل الخير على حافة الرصيف، لذلك الرجل الفظيع حقاً الذي يرتدي سترة العشاء بالاستيلاء على حقّه في ركوب سيارة الأجرة تلك. وليس هذا بالذات ما استفزّها -أي، *يا إلهي*، ما أسوأ أنْ يكون المرء رجلاً ويُضطر إلى الحصول على سيارة أجرة تحت وابل من المطر- لكنّها تذكّرتْ نظرة لين العِدائيّة، المُخيفة إليها وهو يعود إلى حافة الرصيف. والآن وهي تشعر بالذنب بصورة غريبة بسبب هذه الفكرة وأفكار أخرى، ضغطَتْ قليلاً على ذراع لين تعبيراً عن حبٍ اعتمل داخلها. ولجا معاً سيارة الأجرة. ووُضِعَت الحقيبة ذات اللون الأزرق وحاشية الجلد الأبيض على الكرسي الأمامي بجوار السائق.

قال لين «سوف نودع الحقيبة والأغراض مكان إقامتك -سوف نضعها عند الباب- ومن ثم نتناول وجبة الغداء. أكاد أموت جوعاً»، ومال إلى الأمام وأعطى العنوان للسائق.

قالت فراني بينما سيارة الأجرة تنطلق، «ما أجمل أنْ أراك! كم *اشتقتُ*

إليك». وحالما قالت هذا أدركتْ أنها لم تعنِ قط ما قالتْ. ومن جديد أمسكتْ بيد لين مع شعور بالذنب وشبكتْ أصابع يدها بقوة بأصابع يده.

بعد ذلك بساعة، كان الاثنان جالسين إلى طاولة منعزلة نسبيّاً في مطعم يُدعى مطعم سيكلر يقع في قلب المدينة، وهو مكان مُفضَّل بدرجة عالية في المقام الأول بين الفئة المُثقّفة من الطلاب في الجامعة -الطلاب أنفسهم الذين لو كانوا، بصورة أو بأخرى، ينتمون إلى جامعة ييل أو هارفرد، ربما كانوا سيُبعدون صديقاتهم بتصرّف عادي جداً عن مطاعم مثل موري وكرونين. قد يُقال إنَّ مطعم سيكلر هو المطعم الوحيد في المدينة الذي لا يُقدِّم شرائح لحم «سميكة *جداً*»- إذا أمسكتَ بها بين إبهامك وسبابتك لكان السُمك هو بوصة. وكان مطعم سيكلر معروفاً بطبق الحلزون. وفي مطعم سيكلر يطلب الطالب وصديقته معاً السلطة أو، في المعتاد، لا أحد منهما يطلبها، بسبب إضافة الثوم. وكانت فراني ولين معاً يشربان المارتيني. وعندما قُدِّمَ لهما المشروب للمرّة الأولى، قبل ذلك بعشر أو بخمس عشرة دقيقة، تذوّقه لين، ومن ثم استرخى على كرسيه وتلفّتَ حوله قليلاً في المكان مع إحساس يكاد يكون ملموساً بالرخاء لأنه وجد نفسه (لابد أنّه كان واثقاً من أنَّ لا أحد يمكن أنْ يشكّ في ذلك) في المكان الصحيح مع الفتاة الصحيحة بلا أدنى شك - فتاة ليست فقط ذات جمال خارق ولكن، وهذا أفضل بكثير، ترتدي سترة من الكشمير وتنورة من الفانيلا ليس بشكل صريح جداً. كانت فراني قد شاهدت ذلك المشهد القصير الخاطف، وقبِلته على علّاته، لا أكثر ولا أقلّ. لكنّها اختارت أنْ تشعر بالذنب باللجوء إلى ترتيبٍ قديم راسخ أجْرتْه مع نفسها، لأنها شاهدته، وحكمتْ على نفسها بالإصغاء إلى حديث لين الذي تلا ذلك باستغراق خاص مُشابه.

هنا أصبحَ لين يتكلّم طوال ربع ساعة أو نحوها كمَنْ يحتكر الحديث ويعتقد أنّه استطاع أنْ يصل إلى المستوى الذي لا يرتكب عنده صوته أي خطأ، كان يقول «أعني يمكن القول، بكل فظاظة، إنه يفتقر إلى الخصيتين. أتفهمين ما أعني؟». كان يميل بارتخاء متكلّف إلى الأمام، نحو فراني، جمهوره المتلقّي، ويستند بساعديه إلى كلا جانبيّ كأس المارتيني.

قالت فراني «يفتقر إلى ماذا؟». اضطرّتْ إلى التنحنح قبل أنْ تتكلّم، فقد كان قد مرَّ وقت طويل لم تقُل خلاله أي شيء.

تردّد لين. قال «إلى الذكورة»

«سمعتك منذ المرّة الأولى»

«على أيّة حال، كان هذا هو الدافع، إنْ صحّ التعبير - هذا ما كنتُ أحاول أنْ أُفصِح عنه بأسلوب شديد الرهافة»، قال لين هذا، مواصلاً بدقّة مسار حديثه. «أعني، *يا إلهي*، لقد اعتقدتُ بصدق أنَّ الرسالة الجامعيّة سوف تصلني كأنها بالون لعين من الرصاص، وعندما استعدتها وهي تحمل حرف *A* اللعين بارتفاع ستّة أقدام، أُقسِمَ بأنني كدتُ أنكفئ على وجهي»

من جديد تنحنحت فراني. من الواضح أنّها أحسنتْ نُطق الجملة التي فَرَضَتها على نفسها وتدلّ على حُسن إصغاء خالص. سألتْ «لِمَ؟». بدا على لين شعور ضعيف بأنّه قوطِع. «لِمَ ماذا؟»

«لِمَ تعتقد أنّها سوف تنتقل كأنها بالون من الرصاص؟»

«لقد أخبرتُكِ تواً. قلتُ ذلك تواً. هذا المدعو بروغمان ضخم يُشبه فلوبير. أو على الأقلّ هكذا اعتقدتُ»

قالت فراني «أوه». وابتسمتْ. ورشفت من كأس المارتيني. قالت، وهي تنظر إلى الكأس، «هذا رائع. أنا غاية في السعادة لأنَ النسبة ليست عشرين إلى واحد. أكرهه عندما يكون كلّه جين»

أومأ لين برأسه موافقاً. «على أيّ حال، أعتقد أنَّ الأطروحة اللعينة موجودة في غرفتي. وإذا أُتيحت لنا الفرصة خلال عطلة نهاية الأسبوع، سأقرأها عليك»

«رائع. أحبّ أنْ أسمع هذا»

من جديد أومأ لين برأسه موافقاً. «أعني أنني لم أقُل أي شيء يهزّ العالم اللعين أو ما شابه»، وغيَّرَ من وضعيّته على الكرسي، «ولكن -لا أعلم- أعتقد أنَّ التشديد الذي أضعه على التساؤل حول سبب شدّة انجذابه إلى الـ*mot just* (الكلمة الصحيحة) لا بأس به. أعني على ضوء ما نعرفه اليوم. ليس فقط التحليل النفسي وكل ذلك الهراء، ولكن حتماً بدرجة معيَّنة.

تعلمين ما أعني. إنني لا أتبنّى فِكر فرويد أو ما شابه، لكنَّ بعض الأشياء لا تستطيعين أنْ تمرّي عليها مرور الكِرام بكل بساطة. أعني أعتقد بدرجة معيَّنة أنني كنتُ مُحقّاً في الإشارة إلى أنّه لا أحد من الرجال الصالحين حقاً -على غرار تولستوي، ودستويفسكي، *وشكسبير*، وحتّى المسيح- كان فقط يحشو الكلام. كانوا فقط يكتبون. أتفهمين؟». ألقى لين إلى فراني نظرة شبه توقُّع. بدتْ له كأنها تُصغي بتركيز شديد.

«هل ستأكل حصّتك من الزيتون، أم لا؟»

ألقى لين نظرة مقتضبة إلى كأس المارتيني، ثم عاد ينظر إلى فراني. قال ببرود «كلا. أتريدينها؟»

قالتْ فراني «إذا لم تكن تريدها». استشفّتْ من تعبير وجه لين أنّها طرحتْ عليه السؤال الخطأ. والأسوأ من ذلك أنها فجأة لم تعُد ترغب قط في الزيتون وتساءلتْ لماذا *طلبته*. ولكن عندما قدَّمَ لين كأس المارتيني لها لم يعد أمامها إلّا أنْ تقبل حبّة الزيتون وتلتهمها بتلذّذ ظاهر. ثم تناولت سيجارة من علبة سجائر لين التي على الطاولة، وأشعلها لها وأشعل أخرى لنفسه. وبعد فترة المقاطعة بسبب حبّة الزيتون، رانت على الطاولة برهة من الصمت. وعندما كسرها لين، حدث ذلك لأنّه ليس من النوع الذي يحب أنْ يحتفظ بذروة القصّة بين يديه مدة طويلة، فقال بسرعة «إنّ هذا الشخص المدعو بروغمان يعتقد أنني يجب أنْ أنشر الأطروحة اللعينة في مكانٍ ما. لكنني لا أعلم ماذا أفعل»، ثم، كأنّه شعر بالإرهاق -أو كأنما استنزفه عالمٌ جشعٌ طالبه بتقديم ثمرة فكره، بدأ فجأة يُدلِّك جانب وجهه براحة يده، مُزيلاً، بدقّة غير واعية، قليلاً من النوم عن إحدى عينيه. «أعني أنّ مقالات نقديّة عن فلوبير وأولئك الشبّان لا قيمة لها»، وأخذ يتأمّل، وقد بدا عليه قليلٌ من الكآبة. «في الحقيقة، لا أعتقد أنّه أُنجِزَ حوله أي عمل واضح المعالم خلال الفترة الأخيرة-»

«إنك تتكلّم كمُحاضِر. لكنك على صواب»

قال لين بهدوء محسوب، «عفواً؟»

«أنت تتكلّم بالضبط كمُحاضِر. أنا آسفة، ولكن هذه هي الحقيقة. أنت كذلك حقاً»

«أحقاً؟ وكيف يتكلّم المُحاضِر؟»

لاحظتْ فراني أنّه غاضب بدرجة معيّنة، لكنّها شعرت، في تلك اللحظة، وبمقدار متساوٍ من احتقار الذات والخبث، بأنها تعبّر عمّا يجول في خاطرها، «في الواقع، لا أعلم ماذا يُسمّونه هنا، ولكن في المكان الذي أتيتُ منه المُحاضِر هو الشخص الذي يحلّ محل الأستاذ في الصف في أثناء غيابه أو إذا كان يُعاني من انهيارٍ عصبيّ أو كان في زيارة لعيادة طبيب الأسنان أو ما شابه. في المعتاد هو طالب في مرحلة التخرّج أو ما شابه. على أيّة حال، إذا كانت دورة في مادة الأدب الروسيّ، على سبيل المثال، فإنه يدخل، مرتدياً قميصه الصغير المُثبَّتْ بالأزرار حتى ياقته وربطة عنق مُخططة، ويبدأ بانتقاد تورغينيف بشدة طوال حوالي نصف ساعة. وبعد أنْ ينتهي، بعد أنْ *يُدمِّر* تورغينيف تماماً أمامك، يبدأ بالتحدث عن ستندال أو عن شخصيّة ما كتب أطروحته عنها لنيل شهادة الماجستير. وفي المكان الذي أذهب إليه يضم قسم اللغة الإنكليزيّة عشرة مُحاضرين صِغاراً يعملون على تدمير سمعة الشخصيات أمام المُستمعين، وكلهم لامعون إلى درجة أنهم يكادون لا ينطقون أيّة كلمة -عُذراً على كلامي المتناقض. أعني أنكَ إذا خضتَ نقاشاً معهم، فإنَّ كل ما يفعلونه هو أنهم يرسمون ذلك التعبير *الرقيق* على-»

«أنتِ شديدة الحماس هذا اليوم - أتعلمين هذا؟ ما خطبك؟»

نفضَت فراني بسرعه رماد سيجارتها، ثم قرَّبت المنفضة مسافة بوصة من جانبها من الطاولة. قالت «آسفة. أنا خرقاء. لقد شعرتُ بأنني *مُدمَّرة* طوال الأسبوع. شيء فظيع. أنا رهيبة»

«لم تبدُ رسالتك مُدمَّرة كثيراً»

أومأتْ فراني برأسها موافقة برصانة. كانت تنظر إلى بقعة صغيرة دافئة من أشعة الشمس على مفرش الطاولة، بحجم قرص لعبة البوكر. قالتْ «لقد اضطررتُ إلى بذل جهد مُضن لأكتبها». باشر لين بقول شيء تعليقاً على هذا، لكنَّ النادل وصل فجأة لكي يأخذ كؤوس المارتيني الفارغة. سألَ لين فراني «أترغبين في شرب كأس أخرى؟»، ولم يحصل منها على أي جواب.

كانت فراني تُحدِّق إلى بقعة أشعة الشمس الصغيرة بتركيز شديد، كأنها تفكّر في الاستلقاء هناك داخلها.

قال لين بصبر، لمصلحة النادل، «فراني، ما رأيك في شرب كأس أخرى من المارتيني؟»

رفعتْ بصرها. «آسفة. كلا. نعم. لا أعلم»

ضحك لين باقتضاب وهو ينظر إلى النادل. قال «أي جواب تختارين؟»

«نعم، من فضلك». بدت أكثر يقظة.

غادر النادل. تابعه لين بنظره وهو يُغادر المكان، ثم عاد ينظر إلى فراني. كانت تجمع رماد سيجارتها على جانب المنفضة الجديدة التي أحضرها النادل، وفمها مفتوح قليلاً. راقبها لين فترة وجيزة مع غضب متصاعد. في الغالب كان يمقت ويخشى أيّة دلالة على شرود فتاة يرتبط معها بعلاقة حب جديّة. في كل الأحوال، لا شك في أنّه كان قلقاً بشأن احتمال أنْ تُفسِد هذه الجرثومة التي أُصيبَتْ بها فراني العطلة الأسبوعيّة كلها. وفجأة مال إلى الأمام، واضعاً كلتا ذراعيه على الطاولة، وكأنما تمهيداً لقول هذا الشيء، لكنَّ فراني تكلَّمتْ قبل أنْ يفعل هو ذلك. قالتْ «أنا مزعجة اليوم. إنني شاردة اليوم». وجدتْ نفسها تنظر إلى لين كأنّه شخص غريب، أو كأنّه مُلصَق لإعلان تجاريّ عن نوع من أرضيات الشمع يغطي طول عربة قطار نفقيّ. ومن جديد شعرتْ بأثر الخيانة وبالذنب، كأنّ هذا هو سِمة ذلك اليوم، وتفاعلتْ معها بمدّ يدها لكي تُغطّي بها يد لين. ثم سحبتْ يدها في الحال تقريباً واستخدمتها لالتقاط سيجارتها عن المنفضة. قالت «سوف أخرج من هذا المزاج حالاً. أعدك». ابتسمت للين -ابتسامة صادقة، بصورة ما- وفي تلك اللحظة كان يمكن لابتسامة متبادلة أنْ يكون لها على الأقلّ أثر مُهدّئ بدرجةٍ ما على أحداث معيّنة سوف تلي، لكنَّ لين كان منشغلاً بافتعال نوع من الانفصال خاص به، وقرَّر ألّا يُبادل ابتسامتها بمثلها. أخذتْ فراني تستنشق دخان سيجارتها. قالتْ «لو لم أكنْ متأخّرة، ولو لم أكن قد قرّرتُ بحمق أنْ أسعى إلى نيل *الشرف*، لتخلّيت عن تدريس اللغة الإنكليزيّة. لا أعلم»، ونفضَتْ رماد سيجارتها. «لقد سئمت المتحذلقين ومُحطمي

المعنويات الحقيرين المغرورين حتى أكاد أصرخ»، ونظرتْ إلى لين. «آسفة. سوف أسكتْ. أعدك... كل ما في الأمر هو أنني لو كنتُ أتمتّع بأي قدرٍ من الشجاعة، لما رجعتُ إلى الجامعة قط في ذلك العام. لا أعلم. أعني أنها مهزلة لا تُصدَّق»

«رائع. هذا حقاً شيء رائع»

تقبّلتْ فراني التهكّم معتبرة أنها تستحقه. قالتْ «آسفة»

«هلّا كففتِ عن الاعتذار من فضلك؟ لا أعتقد أنكِ أدركتِ أنّكِ تُعمّمين. لو أنَّ كل العاملين في قسم اللغة الإنكليزيّة هم من مُحطمي المعنويات الحقيرين العِظام لاختلف الأمر كلّه-» قاطعته فراني، ولكن بصوتٍ يكاد لا يُسمَع. كانت تنظر عبر كتفه المكسوة بالفانيلا السوداء إلى شيء مُجرَّد يقع على الطرف المقابل من المكان.

سألها لين «ماذا قلتِ؟»

« قلتُ أعلم. أنت على صواب. إنني فقط شاردة، لا أكثر. لا تهتم بأمري»، لكنَّ لين لم يكن ليتخلّى عن أقلّ قدر من النقاش إلى أنْ ينتهي لمصلحته. قال «أعني، كم يُقابل المرء من غير الأكفاء على مسار حياته. أعني أنَّ هذا شيء أساسيّ. دعينا نترك موضوع المُحاضرين الملاعين قليلاً»، ونظر إلى فراني، «هل تُصغين إليّ؟»

«نعم»

«لديكم في قسم اللغة الإنكليزيّة اللعين أفضل رجلين في البلاد. مانليوس. وإسبوسيتو. يا إلهي، أتمنى لو أنَّ لدينا مثلهما *هنا*. على الأقلّ، هما شاعران»

قالت فراني «ليسا كذلك. وهذا أمر شنيع جداً جزئيّاً. أعني أنهما ليسا شاعرَين *حقيقيّين*. إنهما فقط يكتبان قصائد تُنشَر ويتم الاقتطاف منها في كل مكان، لكنّهما ليسا *شاعرين*»، وسكتتْ، بحياء، وأطفأتْ سيجارتها. بدا على مدى بضع دقائق أنَّ وجهها يمتقع. وفجأة، حتى أحمر شفتيها بدا كأنّه أصبح أكثر شحوباً بقليل، وكأنها طمسته بقطعة من منديل ورقيّ. قالت، بشبه فتور، وهي تسحق عقب سيجارتها داخل المنفضة، «فلنُغلق هذا الموضوع. إنني

شاردة. سوف أُفسِد العطلة الأسبوعيّة. ربما هناك باب سحريّ تحت كرسيّ، وسوف أختفي داخله»

اقتربَ النادل فترة وجيزة، وترك كأس مارتيني أخرى أمام كلٍ منهما.

أحاط لين عنق كأسه بأصابعه - النحيلة والطويلة، التي في المعتاد لا تغيب عن الأنظار. قال بهدوء «أنتِ لا *تُفسدين* أي شيء. كل ما في الأمر أنني مهتم بمعرفة ما يجري. أعني هل أنتِ مُضطرة إلى أنْ تكوني من النوع البوهيميّ، أو *ميّتة*، لكي تكوني شاعرة حقيقيّة، بحقّ الله؟ مَنْ تريدين - ابن حرام يقصّ شعره قصيراً؟»

«كلا. ألا نستطيع أنْ نُغلق الموضوع؟ أرجوك. أشعر بأنني مُزعجة جداً، وأُصبح مريعة»

«يُسعدني كثيراً أنْ أُقفل الموضوع برمّته - بل يبهجني. ولكن أخبريني أولاً مَنْ هو *الشاعر الحقيقيّ*، إذا لم يكن لديك مانع. سوف أكون ممتنّاً. حقاً». ولمعَ العرق قليلاً في أعلى جبين فراني. كان يمكن أنْ يعني هذا أنَّ جو المكان شديد الحرارة، أو أنَّ ثمّة اضطراباً في معدتها، أو أنَّ تأثير مشروب المارتيني قويٌ جداً؛ في كل الأحوال، لم يبد أنَّ لين لاحظه.

«لا أعلم مَنْ هو الشاعر الحقيقيّ. ليتك تسكتْ، يا لين. أنا جادّة. أشعر بالاضطراب وبالانزعاج، ولا أستطيع-»

قال لين «حسن، حسن - لا بأس، اهدئي. كنتُ فقط أحاول-»

قالتْ فراني «لا أعرف أكثر من هذا. إذا كنتَ شاعراً، فإنكَ تنجز عملاً جميلاً. أعني من المُفترَض أنْ *تخلّف* وراءك عملاً جميلاً بعد أنْ يطويك النسيان. إنَّ الذين تتحدّث عنهم لا يُخلّفون وراءهم أي عمل جميل. إنَّ كل ما يفعله أولئك الأفضل قليلاً هو ربما أنهم يتغلغلون إلى داخل رأسك ويُخلّفون *شيئاً* هناك، ولكن لمجرد أنهم يفعلون هذا، لمجرّد أنهم يعرفون كيف يُخلّفون *شيئاً*، لا ينبغي بالضرورة أنْ يكون *قصيدة*، إكراماً لله. بل قد يكون مجرد *بقايا روث* نحويّة، مُذهلة - اعذرني على هذا التعبير. على غرار مانليوس وإسبوسيتو وأمثالهما من المساكين»

استغرق من لين بعض الوقت لكي يُشعل سيجارة لنفسه قبل أنْ يقول أيّ

شيء. ثم قال: «حسبتُ أنكِ مُعجبة بمانليوس. في الحقيقة، قبل شهر من الزمان، إذا أسعفتني الذاكرة، قلتِ إنّه ظريف، وإنكِ-»

«إنني مُعجبة به فعلاً. لقد سئمت أنْ يُثير الناس إعجابي فقط. وأتمنى من الله أنْ ألتقي بشخص يحظى باحترامي... هلّا أذنتَ لي دقيقة واحدة فقط؟». فجأة نهضَتْ فراني واقفة، حاملة حقيبة يدها. كان وجهها شديد الامتقاع.

نهضَ لين واقفاً، ودفع كرسيه إلى الخلف، وفمه منفرج قليلاً. سألها «ما الأمر؟ أأنتِ على ما يُرام؟ هل من خطب؟»

«سأعود في الحال»

غادرت المكان من دون أنْ تسأل عن الاتجاهات، كأنها تعرف من تناول وجبات غداء سابقة في مطعم سيكلر كيف تتّجه.

بقيَ لين وحيداً على الطاولة، وجلس يُدخّن ويرشف رشفات معتدلة من مشروب المارتيني لكي يجعله يدوم إلى أنْ تعود فراني. كان جليّاً جداً أنَّ الإحساس بالرخاء الذي شعر به، قبل ذلك بنصف ساعة، بسبب وجوده في المكان الصحيح، مع الفتاة الصحيحة، أو صاحبة الشكل الصحيح، قد زال الآن تماماً. نظر إلى المعطف المصنوع من صوف الراكون، المُلقى بانحراف قليل على ظهر كرسي فراني الخالي -وهو المعطف نفسه الذي أثار إعجابه في محطة القطار بفضل معرفته الخاصّة به- الآن أخذ يتفحّصه بحبّ محدود. لسببٍ ما أزعجته التجاعيد التي ظهرت على البطانة الحرير. كفَّ عن النظر إليه وبدأ يُحدِّق إلى عنق كأس المارتيني، وبدا عليه القلق والإبهام، كأنّه يتعرَّض لمؤامرة ظالمة. هناك شيء واحد مؤكَّد. كانت عطلة نهاية الأسبوع مُقبلة على بداية غريبة جداً. ولكن في تلك اللحظة، تصادفَ أنْ رفع بصره عن الطاولة ورأى شخصاً يعرفه في الطرف المقابل من المكان - أحد رفاق المدرسة، مع رفيقة. اعتدل لين قليلاً في جلسته وعدَّلَ من التعبير المرسوم على وجهه من الترقُّب الكامل الخائف والسخط إلى تعبير رجل ذهبتْ رفيقته إلى المرحاض، وتركته، كما تفعل الرفيقات عادة، ولم يتبقَّ له في تلك الأثناء إلّا أنْ يُدخّن ويبدو عليه الضجر، ضجر ممتع وجذّاب.

كانت مراحيض السيدات في مطعم سيكلر رحبة كقاعة الطعام النظاميّة،

بالمعنى الخاصّ، وليست أقلّ منها اتّساعاً. عندما ولجتها فراني بدا أنّ لا أحد يتردَّد عليها ولا يوجد فيها أحد. وقفتْ برهة -كأنها على موعد من نوع ما مع أحدهم- وسط الأرضيّة المكسوّة بالآجرّ. كانت حُبيبات العَرق قد غطت جبينها عندئذٍ، وفغرتْ فمها بارتخاء، وأصبح وجهها أشدّ شحوباً مما كانت وهي في غرفة الطعام. وبسرعة، بل بسرعة كبيرة، ولجَت المرحاض الأبعد والأشد غموضاً بين المراحيض السبعة أو الثمانية -لحُسن الحظ لم تكن هناك من حاجة إلى وضع قطعة نقديّة من أجل ولوجه- أغلقت الباب خلفها، وأدارت القفل مع بعض الصعوبة، وجلست، من دون أنْ تولي الكثير من الانتباه إلى اتّساع المكان. ضمّتْ رُكبتيها بحزم، كأنما لكي تجعل حجمها أشدّ ضآلة وتماسكاً. ثم وضعتْ يديها، بشكلٍ شاقوليّ، على عينيها وضغطت الكاحلين بشدّة، وكأنما لكي تشلّ العصب البصريّ وتُغرِق كل الصور في فراغ أسود. بدت أصابعها الممدودة، على الرغم من ارتعاشها، أو لأنها كانت ترتعش، رشيقة بصورة غريبة، وجميلة. احتفظتْ بتلك الوضعيّة المتوترة، القاتلة تقريباً، مُعلّقة قليلاً - ثم انهارتْ. وبكتْ على مدى خمس دقائق. بكتْ ولم تحاول أنْ تكبت الضجيج المُرافق للحزن والاضطراب، مع كل الأصوات الحلقيّة المتشنّجة التي تُصدرها طفلة في حالة هستيريا عندما تُحاول الأنفاس أنْ تصعد أعلى اللهاة المغلقة جزئيّاً. ومع ذلك، عندما سكتت أخيراً، سكتت فقط من دون شهقات النَفَس المؤلمة والحادّة كنصل السكين تلك التي تلي في المعتاد الجيشان العنيف. عندما سكتت كان ذلك أشبه بحدوث تغيُّر خطير في القطبيّة داخل دماغها، ترك أثراً فوريّاً، مُهدِّئاً على جسمها. كانت عيناها غارقتين في الدموع لكنهما خاليتان من التعبير، شبه فارغتين، ورفعتْ حقيبة يدها عن الأرضيّة، وفتحتها، وأخرجتْ منها كتاباً ذا غلاف من القماش الأخضر، وضعته على حِجرها -بالأحرى على رُكبتيها- ونظرتْ إليه، حدّقتْ إليه، كأنَّ ذلك هو أفضل الأماكن قاطبة لوضع كتاب صغير ذي غلاف من القماش الأخضر. وبعد قليل، حملت الكتاب ورفعته إلى مستوى الصدر وضغطته على جسمها - بحزم ولبرهة وجيزة. ثم أعادته إلى حقيبة يدها، ونهضَتْ واقفة، وخرجت من المرحاض. غسلتْ وجهها بالماء البارد، وجفّفته بمنشفة موضوعة على منصب يقع أعلى من

مستوى الرأس، ووضعت طبقة جديدة من أحمر الشِفاه، ومشّطتْ شَعرها، ثم غادرت المكان.

بدتْ مُبهرة حقاً وهي تجتاز غرفة الطعام باتجاه الطاولة، تشبه فتاة يقظة مناسِبة للانضمام إلى حشد عطلة أسبوع ضخمة خاصة بالكليّة. وبينما هي تقترب برشاقة، مبتسمة، من كرسيها، نهضَ لين ببطء واقفاً، حاملاً فوطة بيده اليُسرى.

قالتْ فراني، «يا إلهي، أنا آسفة. هل ظننتَ أنني متُّ؟»

قال لين «لم أظنّ أنكِ متِّ»، وقرّب الكرسي لكي تجلس عليه. «لم أعلم ما الذي حدث لك»، وعاد إلى كرسيه، «في الواقع لم يعد يتوفّر لنا ما يكفي من الوقت» وجلس، «هل أنتِ بخير؟ عيناك مُحمرّتان قليلاً»، ونظر إليها بمزيد من الإمعان. «أأنت بخير، أم ماذا؟»

أشعلتْ فراني سيجارة. «أنا في أحسن حالاتي الآن. لم أشعر بأني مهزوزة هكذا طوال حياتي، هل طلبتَ شيئاً؟»

قال لين، وما زال ينظر إليها بإمعان، «انتظرتُ عودتك. ما المشكلة؟ أهي معدتك؟»

قالتْ فراني «لا. نعم ولا. لا أعلم». نظرتْ نحو الأسفل إلى قائمة الطعام التي على طبقها، وتفحّصت محتوياتها من دون أنْ ترفعها. أريد شطيرة من لحم الدجاج، وربما كأساً من الحليب... اطلب أنتَ ما تشاء. أعني اطلب حلزوناً وأخطبوطاً وما شابه. أنا لستُ جائعة حقاً». نظر لين إليها ونفثَ سيلاً رفيعاً، مُعبّراً بشكل وافر من الدخان نحو طبقه. قال «سوف تكون عطلة أسبوعيّة ممتعة جداً. تريدين شطيرة من لحم الدجاج، أيُعقل هذا»

كانت فراني منزعجة. «لستُ جائعة، يا لين. – أنا *آسفة*. يا إلهي. أرجوك. لِمَ لا تطلب ما تشاء، وسوف آكل في أثناء تناولك الطعام. ولكن لا أستطيع أنْ أستحضر شهيّتي لأنكَ تريد مني أنْ أفعل»

«حسنٌ، حسن»، واشرأبّ لين بعنقه ولفَتَ إليه انتباه النادل. وبعد برهة، أمر بإحضار شطيرة لحم الدجاج وكأس من الحليب من أجل فراني، وطلب حلزوناً، وأفخاذ ضفادع، وسلطة لنفسه. نظر إلى ساعة يده بعد أنْ ابتعد

النادل، وقال «بالمناسبة، من المُفترَض أنْ نكون في تنْبريدج بحلول الساعة الواحدة والربع، أو الواحدة والنصف. وليس بعد ذلك. لقد أخبرتُ والي بأننا قد نتوقف لكي نتناول مشروباً ومن ثم قد نذهب إلى الملعب بسيارته. فهل تمانعين؟ أنتِ تحبين والي»

«إنني حتى لا أعرفه»

«لقد قابلتِه حوالي عشرين مرَّة، بحقّ الله. إنّه والي كامبل. يا إلهي. إذا قابلته مرّة واحدة، فكأنكِ قابلته-»

«أوه، تذكّرت... اسمع، لا تكرهني لأنني لا أتذكّر شخصاً ما في الحال. خاصة عندما يُشبه كل شخص آخر» أجبرتْ فراني نفسها على السكوت. شعرتْ بأنّه ينمّ عن مجرد اعتراضات تافهة وقذرة، وشعرت بموجة من كراهية الذات إلى درجة أنَّ جبينها بدأ، بالمعنى الحرفيّ، يتفصّد عرقاً من جديد. لكنَّ صوتها خرج من جديد، رُغماً عنها. «لا أقصد أنْ أقول إن فيه شيئاً فظيعاً أو ما شابه. كل ما في الأمر هو أنني على مدى أربع سنوات كاملة كنتُ أُصادف آل والي كامبلز أينما ذهبت. أنا أعلم متى يكونون ممتعين، وأعلم متى سيبدأون بإسماعك ثرثرة قذرة عن إحدى الفتيات التي تنام في مهجعك، أعلم متى سيسألونني ماذا فعلتَ خلال فصل الصيف، وأعلم متى سيُقربون أحد الكراسي ويُفرشخون سيقانهم ويجلسون عليه باتجاه الخلف ويُباشرون بالتباهي بصوت شديد الهدوء - أو يُخاطبونك بلا كلفة بصوت *عادي*، وغاية في الهدوء. وهناك قانون غير مُدوَّن يقرّ بأنَّ المنتمين إلى فئة اجتماعيّة أو ماليّة معيّنة في وسعهم أنْ يُعاملوا الآخرين بلا كلفة قدر ما يشاؤون ما داموا يقولون شيئاً مُذلاً إلى أقصى مدى في حق الشخص حالما يُعاملونه بلا كلفة - يقولون إنَّه ابن حرام أو مهووس جنسيّاً ويتعاطى المخدرات طوال الوقت، أو أي شيء *مُهين*». وسكتتْ من جديد. هدأتْ برهة، وهي تُدير المنفضة بين أصابعها وتحرص على ألّا ترفع بصرها لترى تعبير وجه لين. قالت «آسفة. الأمر لا يتعلّق فقط بوالي كامبل، لقد اخترتُه لأنكَ أتيتَ على ذِكره، ولأنه يُشبه شخصاً أمضى فصل الصيف في إيطاليا أو في مكان ما»

قال لين «لمعلوماتك، في الصيف الفائت كان في فرنسا»، ثم أضاف على عجل، «أعرف ماذا تقصدين، لكنكِ-»

قالت فراني بضجر «حسن، في فرنسا»، وأخرجتْ سيجارة من العلبة التي على الطاولة. « الأمر لا يتعلّق فقط بوالي. يمكن أنْ تكون فتاة. أعني لو أنّه كان فتاة -أو شخصاً يُقيم في مهجعي، على سبيل المثال- لكان يرسم منظراً طبيعيّاً لمصلحة إحدى الفرق التمثيليّة طوال فصل الصيف، أو يتجوّل على متن دراجة في أرجاء ويلز، أو يستأجر شقّة في نيويورك ويعمل لمصلحة إحدى المجلات أو لشركة إعلانات. أعني، يمكن أنْ يكون ***أي شخص***. إنّ كل ما يفعله كل شخص -لا أعلم- ليس بالضرورة عملاً ***خاطئاً***، أو خسيساً، أو حتى غبياً، بل فقط ضئيل جداً ولا معنى له وأيضاً -يُسبِّب الحزن. وأسوأ ما في الأمر هو، إذا تصرّفتَ تصرّفاً بوهيميّاً أو مجنوناً هكذا، فأنت تتكيّف كأي شخص آخر، ولكن بطريقة مختلفة». وسكتتْ. هزّت رأسها نفياً بحركة مُقتضبة، وشحب وجهها حتى البياض، وتحسّستْ برهة جبينها بيدها- ليس لترى، كما بدا، إنْ كانت تتصبب بالعرق بل لترى إنْ كانت مُصابة بالحمّى، كما كان يفعل والداها. قالتْ «ينتابني شعور غريب. أعتقد أنني أُصاب بالجنون. ربما أصبحتُ مجنونة فعلاً»

كان لين ينظر إليها بقلق - بقلق أكثر منه بفضول.

سألَ «أنت شاحبة شحوب الموتى. شاحبة حقاً - أتعلمين هذا؟». هزّتْ فراني رأسها نفياً. «أنا بخير. سأصبح بخير في الحال». رفعَتْ بصرها حالما اقترب النادل ليتلقّى طلبيهما. «إنّ الحلزون الذي تقدّمونه يبدو جيداً جداً». كانت قد رفعت السيجارة إلى شفتيها، لكنها كانت قد خمدتْ. سألته «ماذا تفعل بعيدان الثقاب؟»

بعد مُغادرة النادل قدَّمَ لها لين شُعلة. قال «أنتِ تُفرطين في التدخين». رفع الشوكة الموضوعة بجوار طبق الحلازين، لكنّه عاد ينظر إلى فراني من جديد قبل أنْ يستخدم تلك الشوكة. «أنا قلق عليك. أنا جادّ. ماذا ألمَّ بكِ خلال الأسبوعين الأخيرين؟»

نظرتْ فراني إليه، وفي الوقت نفسه هزّتْ كتفيها استخفافاً وهزّت رأسها

نفياً. قالتْ «لا شيء، لا شيء على الإطلاق. كُل، كُل الحلزون. يُصبح مُقرفاً عندما يبرد»

«كُلي طعامك *أنتِ*»

أومأت فراني برأسها إيجاباً ونظرتْ نحو الأسفل إلى شطيرة لحم الدجاج. شعرتْ بموجة خفيفة من الغثيان، ورفعتْ بصرها في الحال، واستنشقت دخان سيجارتها.

سألها لين، وهو يُعالج حلزونه، «كيف تسير المسرحيّة؟»

«لا أعلم. لم أعد أمثّل فيها. لقد تركتها»

رفع لين بصره «تركتها؟ حسبتُ أنكِ شديدة الحماس لأداء الدور. ماذا حدث؟ هل أسندوه إلى ممثّلة أخرى؟»

«كلا، لم يفعلوا. كان مُخصصاً لي أنا. هذا شيء سيئ. سيئ جداً»

«فماذا حدث؟ لا أظنكِ تركتِ القسم كلّه، هل فعلتِ؟». أومأتْ فراني برأسها إيجاباً، وتناولتْ رشفة من كأس الحليب. انتظرها لين ريثما مضغت اللقمة وابتلعتها، ثم قال «لِمَ، بحقّ الله؟ حسبتُ أنَّ المسرح هو شغفك. إنّه الشيء الوحيد الذي سمعتك–»

قالت فراني «تركتُها، وانتهينا. لقد بدأ الأمر يُحرجني. بدأتُ أشعر بأنني أنانيّة حقيرة» وأخذتْ تتأمّل. «لا أعلم. يبدو لي أنَّ الرغبة في التمثيل تنطوي نوعاً ما على قلّة الذوق، أقصد بكلامي *ذاتي* كلّها. كنتُ أكره نفسي كثيراً، في أثناء تمثيل إحدى المسرحيات، عندما أخرج إلى الكواليس بعد انتهاء المسرحيّة. كرهت أصحاب كل تلك الذوات وهم يهرعون في المكان ويشعرون بأنهم مُحبّون للخير وودودون، يُقبّلون الجميع ويضعون مساحيق الوجه في كل مكان، ثم يُحاولون أنْ يبدوا طبيعيين وودودين إلى أقصى مدى عندما يأتي أصدقاؤهم إلى الكواليس لكي يُقابلوهم. لقد كرهتُ نفسي... وأسوأ ما في الأمر هو أنني في المعتاد كنت أشعر بما يُشبه الخجل لمجرّد وجودي في تلك المسرحيات التي مثّلتها. خاصّة في الفرق المسرحيّة الصيفيّة»، ونظرتْ إلى لين، «وقد مثّلتُ أدواراً جيّدة، فلا تنظر إليّ هكذا. ليس هذا هو السبب. كل ما في الأمر هو أنّني كنتُ أشعر بالخجل، على سبيل المثال، من شخصٍ أحترمه

-كإخوتي، مثلاً- إذا جاء وسمعني وأنا ألقي جزءاً من *الحوار* على خشبة المسرح. كنتُ أراسل بعض الأشخاص وأطلب منهم ألّا يأتوا ليشاهدوني»، وعادتْ إلى التأمّل من جديد. «ما عدا شخصيّة بيغين في مسرحيّة «بلاي بوي» في الصيف الفائت. أعني أنّه كان يمكن أنْ تكون جيدة جداً، لولا أنَّ ذلك الأبله الذي أدّى دور البلاي بوي أفسد كل متعة كان يمكن أنْ يمنحها. كان عاطفيّاً جداً - يا الله كم كان عاطفيّاً!». كان لين قد انتهى من أكل حلزونه، وجلس متعمداً ألا يرسم على وجهه أي تعبير. قال «لقد حصل على الكثير من المديح. أنت التي أرسلتِ إليّ مقالات المديح، إنْ كنتِ تتذكرين». تنهّدتْ فراني. «لا بأس، حسن، يا لين»

«كلا، أعني أنكِ تتكلمين منذ نصف ساعة كأنكِ الشخص الوحيد الذي يتمتّع بالحسّ السليم، وبأية مقدرة على النقد. أعني إذا رأى بعضٌ من أفضل النقاد أنَّ أداء هذا الممثل في المسرحيّة ممتاز، فربما هو كذلك، وربما أنتِ مُخطئة. هل خطر هذا في بالك مرّة؟ في الحقيقة، أنتِ لم تبلغي بعد مرحلة النضج، والسن التي-»

قالت فراني «كان ممتازاً بوصفه صاحب موهبة، أما إذا أردتَ أنْ تؤدي دور البلاي بوي كما ينبغي، فعليك أنْ تكون عبقريّاً. *حقاً*، هذا كل شيء - لا حيلة لي في ذلك»، وأحنتْ ظهرها قليلاً، ثم وضعتْ يدها على قمّة رأسها، وفمها فاغر قليلاً. «ينتابني إحساس بغثيان ودوار شديدين، لا أدري ماذا ألمَّ بي»

«أتعتقدين أنكِ *أنتِ* عبقريّة؟»

أنزلتْ فراني يدها عن قمة رأسها. «أوه، لين، لا تفعل هذا بي»

«أنا لا أفعل أي-»

قالت فراني «كل ما أعرف هو أنني أفقد عقلي. لقد سئمت الذات، الذات، الذات. ذاتي وذات أي شخص آخر. سئمت كل مَنْ يرغب في بلوغ أي هدف، وإنجاز أي عمل بارز وما إلى ذلك، وأنْ يُصبح شخصيّة مُثيرة للاهتمام؟ إنّه شيء يُثير الاشمئزاز - هو كذلك، هو *كذلك*. لا يهمني ما يقول أي شخص»

رفعَ لين حاجبيه لدى سماعه هذا الكلام، واسترخى في جلسته، لكي

يُدلي بوجهة نظره. سألها بهدوء متفحّص، «أواثقة أنتِ من أنكِ لا تخشين المنافسة؟ أنا لا أعرف الكثير عن الموضوع ولكن أستطيع أنْ أنافس مُحللاً نفسياً -أعني مُحللاً نفسياً حقيقياً- قد أعتبر هذه المقولة-»

«أنا لا أخشى المنافسة. على العكس. ألا تفهم هذا؟ أنا أخشى *اضطراري* إلى المنافسة - هذا ما يُخيفني. ولهذا تركت قسم المسرح. ومجرد كوني مُضطرة إلى قبول قيم كل شخص، ومجرد رغبتي في تلقّي المديح والتهليل من الناس، لا يجعل عملي أفضل. إنني خجلة منه. أكرهه. لقد سئمت افتقاري إلى الشجاعة لأكون نكرة. سئمتُ نفسي وكل شخص آخر يرغب في لفت الأنظار» وسكتتْ، وفجأة رفعتْ كأس الحليب وقرّبته من شفتيها. قالتْ، بعد أنْ أعادته إلى مكانه، «كنتُ أعلم ذلك، وهذا شيء جديد. أسناني تتحرك بطريقة غريبة. إنها تصطك. قبل يومين كدتُ أقضم طرف الكأس. ربما أنا متخشّبة، أحدّق كالمجنونة من دون أنْ أدري». كان النادل قد تقدَّم لكي يضع طلب لين من أفخاذ الضفادع والسلطة، فرفعتْ فراني بصرها إليه. وهو بدوره، نظر نحو الأسفل إلى شطيرة لحم الدجاج. سأل إنْ كانت الفتاة الشابة ترغب في تغيير الطلب، فشكرته فراني وقالت كلا. قالتْ «إنني فقط بطيئة في الأكل». بدا النادل، الذي لم يكن شاباً، ينظر برهة إلى شحوبها وإلى جبينها المُندّى بالعرق، ثم انحنى احتراماً وابتعد.

قال لين بسرعة «أتريدين أنْ تستخدمي هذا قليلاً؟». كان يمد يده التي تحمل منديلاً أبيض، مطويّاً. بدا صوته متعاطفاً، رقيقاً، على الرغم من بذله مُحاولة متحفّظة لجعله يبدو عاديّاً.

«لِمَ؟ هل أنا في حاجة إليه؟»

« أنتِ تتصببين بالعرق. لا أقصد كثيراً، بل أقصد أنَّ ندى العرق الغزير يغطي جبينك»

«أحقاً؟ ما أفظع هذا! آسفة...» قرَّبتْ فراني حقيبة يدها من مستوى الطاولة، وفتحتها، وبدأتْ تدعبس داخلها. «لديّ بعض مناديل الورق في مكان ما»

«استخدمي منديلي، إكراماً لله. ما الفرق؟»

قالتْ فراني «يا سلام – يعجبني هذا المنديل سوف أجعلة يغرق بالعرق»، كانت حقيبة يدها مُكدّسة بالأغراض. ولكي ترى ما بداخلها بصورة أفضل، بدأتْ تُفرغها من بعض الأشياء ووضعتها على مفرش الطاولة إلى يسارها وبجوار شطيرتها التي لم تلمسها. قالتْ «ها هي»، واستخدمت مرآةً علبة المساحيق، وبسرعة قامت بتجفيف جبينها بمنديل ورقيّ بحركة خفيفة. «يا الله، أبدو كالشبح. كيف تتحمّلني؟»

سألها لين « ما عنوان الكتاب؟»

قفزتْ فراني بالمعنى الحرفي للكلمة. ونظرت إلى الركام الصغير المُشوّش من محتويات حقيبة اليد على مفرش الطاولة. قالتْ «أي كتاب؟ تقصد هذا؟»، ورفعت الكتاب الصغير ذا الغلاف القماشيّ وأعادته إلى حقيبة يدها. «إنّه شيء اشتريته لأتسلّى به في القطار»

«دعينا نلقي نظرة عليه. ما موضوعه؟»

بدت فراني كأنّها لم تسمعه. ومن جديد فتحت علبة مساحيقها وألقتْ نظرة سريعة أخرى إلى المرآة. قالت «يا إلهي»، ثم أعادتْ كل شيء –علبة المساحيق، ومحفظة الجيب، وفاتورة الغسيل، وفرشاة الأسنان، وعلبة أسبرين، وعود مزج المشروبات المُلبَّس بالذهب– إلى حقيبة يدها. قالتْ «لا أعلم ما الذي يدعوني إلى حمل عود مزج المشروبات المُلبَّس الجنوني ذاك معي. لقد أعطاني إياه فتى سخيف عندما كنت في السنة الثانية الجامعيّة، بمناسبة عيد مولدي. اعتبره هديّة جميلة ومُلهِمة، وظل يراقب وجهي وأنا أفتح اللفافة. دائماً أفكّر في رميها، لكني ببساطة لا أستطيع. سوف آخذها معي عندما أنزل إلى القبر» وبدأتْ تتأمّل. «كان دائماً يُكشّر في وجهي ويُخبرني أني إذا احتفظت بها طوال الوقت فسوف أبقى محظوظة»

كان لين قد باشر بأكل أفخاذ الضفادع. سأل «عمّ يدور الكتاب، على أي حال؟ أم إنّه سرّ لعين؟»

قالت فراني «تقصد الكتاب الصغير الذي في حقيبة يدي؟»، وراقبته وهو يُقطِع أفخاذ ضفدعَين، ثم أخرجت سيجارة من العلبة الموضوعة على الطاولة وأشعلتها بنفسها. قالتْ «أوه، لا أعلم. عنوانه شيء يُشبه

«سبيل الحاجّ»». راقبتْ لين قليلاً وهو يأكل. «أحضرتُه من المكتبة العامة. كان الرجل الذي يُدرّس التقرير الدينيّ الذي أحضره قد أتى على ذكره»، واستنشقت دفعة من دخان سيجارتها.

«إنّه في حوزتي منذ أسابيع عديدة، ودائماً أنسى أنْ أُعيده»

«مَنْ ألّفه؟»

قالتْ فراني بلهجة عاديّة «لا أعلم. يبدو أنّه فلاح روسيّ»، واستمرّتْ في مراقبة لين وهو يأكل أفخاذ الضفدعين. «إنّه لا يأتي على ذكر اسمه. ولا تعرف اسمه طوال سرده لقصّته. هو فقط يُخبرك بأنّه فلاح وأنّه في الثالثة والثلاثين من العمر وأنَّ لديه ذراعاً مشلولة، وأنَّ زوجته متوفاة. والأحداث كلها تقع في القرن التاسع عشر»

حوَّلَ لين انتباهه من أفخاذ الضفدعين إلى السلطة. قال «أهو جيد؟ عمَّ يتحدث؟»

«لا أعلم. إنه غريب الأطوار. أعني أنّه في المقام الأول كتاب في الدين. وبصورة ما، أعتقد أنّه يمكن القول إنّه متعصِّب إلى أقصى حد، لكنّه بصورة ما هو ليس كذلك. أعني أنّه يبدأ بالقول إنَّ ذلك الفلاح -ذلك الحاجّ- يُريد أنْ يعرف معنى قول الكتاب المُقدس إنَّ على المرء أنْ يُصلّي بلا توقّف. أنت تعرف ما أعني. أي طوال الوقت. كما ورد في سِفري رسالة بولس إلى أهل تسالونيكي أو في موقع آخر. وهكذا انطلقَ يجوب أنحاء روسيا، بحثاً عن شخص يستطيع أنْ يُخبره كيف يُصلّي من دون توقف، وماذا يجب أنْ يقول إذا فعل ذلك». بدا الاهتمام الشديد على فراني بالطريقة التي كان لين يُقطِّع بها أفخاذ الضفدعين. وبقيتْ عيناها مُثبّتتين على طبقه وهي تتكلّم. «وكل ما حمل معه كان حقيبة الظهر هذه الممتلئة بالخبز والملح. ثم قابل شخصاً يُدعى المُرشِد -شخصاً متطوراً جداً من الناحية الدينيّة- ويُخبره المُرشِد عن كتاب عنوانه «ثيلوكاليا»[1] يبدو أنَّ الذين ألّفوه كانوا جماعة من الرهبان المتطورين كثيراً يدعمون هذا الأسلوب العجيب جداً من العبادة»

1- ثيلوكاليا: نصوص دينيّة من التراث الأرثوذوكسي الشرقي تضم تعاليم في التأمّل للرهبان. - المترجم

خاطب لين أفخاذ الضفدعين، «ابقوا حيث أنتم»

«على أيّة حال، تعلَّمَ الحاج كيف ينبغي الصلاة على طريقة أولئك الرجال الورعين - أعني أنّه واظب عليها إلى أنْ أتقنها وكل شيء. ثم تابع طريقه في التجوال في أنحاء روسيا، وقابل أنواعاً شتى من الأشخاص الممتازين وأخبرهم عن أسلوب الصلاة وِفقاً لتلك الطريقة العجيبة. أعني هذا كل ما يدور الكتاب حوله»

قال لين «أكره أنْ أقول إنَّ رائحة الثوم سوف تفوح مني»

قالتْ فراني «ويُقابل في إحدى رحلاته ذينك الزوجين اللذين أحببتهما أكثر من أي شخص قرأتُ عنه في حياتي كلّها. كان يسير في أحد طرقات الريف حاملاً حقيبة ظهره، وإذا بطفلَين صغيرين يركضان خلفه ويهتفان، «أيها الشحّاذ الصغير العزيز! أيّها الشحّاذ الصغير العزيز! يجب أنْ تعود معنا لكي تقابل أمّنا. إنها تحبّ الشحّاذين»، وهكذا رافقهما إلى المنزل، وخرجت أمّهما المحبوبة حقاً لكي تستقبله بكل سرور وأصرّتْ على مساعدته في خلع حذائه القذر الطويل وتقديم كوب من الشاي. ثم عاد الوالد إلى المنزل، ومن الواضح أنّه كان يحبّ أيضاً الشحاذين والحجّاج وجلسوا جميعاً لتناول وجبة العشاء. وفي أثناء تناول العشاء سأل الشحّاذ عن كل أولائك السيدات اللواتي كنَّ جالسات على المائدة، فأخبره الزوج أنهن جميعاً خادمات لكنّهن دائماً يجلسن معه ومع زوجته لتناول الطعام لأنهنّ أخوات في يسوع». وفجأة اعتدلتْ فراني قليلاً في جلستها، خجلة. «أعني لقد أحببتُ أنْ يطلب الحاج معرفة مَنْ هنّ السيدات»، وراقبتْ لين وهو يمسح قطعة الخبز بالزبد. «على أيّة حال، بعد ذلك يبيت الحاجّ عندهم في تلك الليلة، ويبقى هو والزوج ساهرين حتى وقتٍ متأخّر وهما يتحدثان عن أسلوب الصلاة من دون توقف. ويُخبره الحاج كيف يفعل ذلك. وفي الصباح يُغادر ويبدأ رحلة جديدة. ويُقابل أنواعاً شتى من الناس -أعني هذا ما يدور حوله الكتاب، في الحقيقة- ويُخبرهم جميعاً عن الصلاة بالطريقة الخاصّة»

أومأ لين برأسه إيجاباً، وبدأ بتقطيع السلطة بالشوكة. قال «أتمنى من الله أنْ يتوفّر لدينا الوقت في عطلة نهاية الأسبوع لكي تُلقي نظرة على تلك

الأطروحة اللعينة التي أخبرتك عنها. لا أعلم. قد لا أفعل أي شيء بها - أعني حاولي أنْ تطبعيها أو أنْ تطبعي ما بحوزتك- ولكن أريد منك أنْ تلقي نظرة سريعة عليها ما دمت هنا»

قالت فراني «أحبّ أنْ أفعل هذا»، وراقبته وهو يدهن قطعة أخرى من الخبز بالزبد. وفجأة قالتْ، «قد يُعجبك هذا الكتاب. أعني، إنّه غاية في البساطة»

«يبدو مُثيراً للاهتمام. ألا تريدين نصيبك في الزبد؟»

«كلا، خذه. لا أستطيع أنْ أعيرك الكتاب، لأنّ أوان إعادته قد فات أصلاً، ولكن ربما في استطاعتك أنْ تحصل عليه من المكتبة العامة هنا. أنا متيقنة من هذا»

فجأة قال لين «أنتِ لم تلمسي شطيرتك اللعينة، ألا تلاحظين ذلك؟»

نظرتْ فراني إلى طبقها كأنّه وُضِعَ أمامها تواً. قالت «سآكلها فوراً». بقيتْ جالسة برهة لا تأتي بحركة، ممسكة بسيجارتها بيدها اليُسرى، ولكن من دون أنْ تستنشق دخانها، وبيدها اليُمنى ثبّتت بإحكام قاعدة كوب الحليب. وسألته «ألا تريد أنْ تعرف الأسلوب الخاص في العبادة الذي أخبره عنه المرشدون؟ إنه شيء مُثير للاهتمام حقاً، بصورة ما». أومأ برأسه موافقاً، وهو يُقطّع ما تبقّى من أفخاذ الضفدعين. قال «طبعاً، طبعاً»

«حسنٌ، كما قلت، انطلق الحاجّ -هذا الفلاح البسيط- في رحلة الحج الطويلة من أجل العثور على معنى ما يقوله الكتاب المقدّس حول وجوب الصلاة من دون توقف. ومن ثم يُقابل المُرشد - أعني ذلك الشخص صاحب الفكر الديني المتطوّر الذي ذكرتُ، وواظب على دراسة الثيلوكاليا على مدى سنين لا حصر لها». فجأة لم تعُد فراني تفكّر وترتّب ما تقول «ويُخبره المُرشد أولاً عن صلاة يسوع، «يا ربنا يسوع المسيح، ارحمني»، أعني هذا ما يرد في الصلاة. ويشرح له قائلاً إنَّ هذه هي أفضل الكلمات التي يجب ذكرها في الصلاة، خاصة كلمة «ارحمني»»، لأنها كلمة غاية في الأهميّة ولها معانٍ كثيرة. أعني لا ينبغي بالضرورة أنْ تعني الرحمة» وسكتت فراني من جديد لكي تفكّر. لم تعد تنظر إلى طبق لين، بل كانت

تنظر خلفه، وتابعتْ «على أيّة حال، يُخبر المُرشد الحاج أنّه إذا واظب على ترتيل الصلاة -في أول الأمر عليك فقط أنْ ترتلها *بشفتيك*- فماذا يحدث بعد ذلك، تُصبح الصلاة ذاتيّة الفعاليّة. بعد فترة وجيزة يحدث أمر. لا أعلم ما هو، لكنَّ شيئاً يحدث، وتتزامن الكلمات مع دقّات قلب المرء، وبعد ذلك تُصلّي من دون توقف. وهذا له تأثير غامض، هائل، على كامل وجهة نظرك. أعني هذا هو المغزى كلّه، بصورة أو بأخرى. أعني أنكَ تُصلّي لتنقية وجهة نظرك بأكملها والحصول على تصوُّر جديد بالكامل لكل شيء». كان لين قد انتهى من الأكل. وبعد أنْ سكتت فراني قليلاً، استرخى في جلسته وأشعل سيجارة وراح يتأمل وجهها. كانت لا تزال تنظر أمامها بشرود، خلف ظهره، وتكاد لا تعي وجوده.

«لكنَّ الشيء الغريب، الشيء الرائع، هو أنكَ عندما تبدأ بتنفيذ الأمر، لستَ مُضطراً إلى أنْ تؤمن بما تفعل. أعني حتى إنْ كنتَ مُحرَجاً بشأنِ الأمر كلّه، فلا بأس بهذا على الإطلاق، ولا يُعتبَر *إهانة* لأحد. بعبارة أخرى، لا أحد يطلب منك أنْ تؤمن بأي شيء حالما تبدأ. بل لستَ مُضطراً إلى التفكير فيما تقول، كما يقول المرشد. وكل ما عليك أنْ تحصل عليه في البداية هو الكميّة. ولاحقاً تتحول الكمية تلقائيّاً إلى نوعيّة. بطاقتها الذاتيّة أو ما شابه. ويقول إنَّ أيّة تسمية لله -كل التسميات- تتمتّع بطاقتها الخاصّة، ذاتيّة الفعاليّة، وتبدأ بالظهور حالما تُحفّزها».

جلس لين بشبه استرخاء على كرسيه، يُدخّن، وأمعن النظر إلى وجه فراني. كان وجهها ما يزال شاحباً، لكنّه كان يُصبح أشدّ شحوباً أحياناً منذ جاءا إلى مطعم ستيكلر.

قالت فراني «في الواقع يبدو هذا منطقيّاً جداً، لأنّ المنتمين إلى طائفة الأرض النقيّة في البوذيّة، يُرددون عبارة «نامي أميدا بوتسو» مراراً وتكراراً -وتعني «الحمد لبوذا» أو ما شابه- فيحدث *شيءٌ ما*. بالضبط الشيء-»

قاطعها لين قائلاً «مهلاً - تمهّلي. أولاً، سوف تحرقين أصابعكِ في أيّة لحظة»

ألقتْ فراني نظرة مقتضبة سريعة إلى يدها اليُسرى، ورمت عقب

سيجارتها التي ما زالت مشتعلة في المنفضة. «الأمر نفسه يحدث في كتاب «غمامة الجهل» أيضاً. باستخدام كلمة «الله» فقط. أعني أنك تُكرر فقط كلمة «الله». وجّهتْ نحو لين نظرة مباشرة أكثر مما كانت قد فعلت على مدى بضع دقائق. «أعني أنَّ السؤال هو هل سبق لك أنْ سمعتَ شيئاً مُذهلاً كهذا في *حياتك*، بصورة ما؟ أعني من الصعب جداً قول إنّها مُصادفة صِرف والاكتفاء بهذه النتيجة -هذا هو المُذهل بالنسبة إليّ. على الأقل، هذا شديد الـ...»، وسكتت فجأة. كان لين يتململ بضجر على كرسيه. ورسم تعبيراً خاصاً على وجهه- تبدّى بشكل رئيسيّ في رفع حاجبيه - تعرفه جيداً. سألتْ «ما الأمر؟»

«أحقاً تؤمنين بهذا الكلام؟»

مدَّتْ فراني يدها إلى علبة السجائر وأخذتْ منها واحدة. قالت «أنا لم أقُل إنني أؤمن أو لا أؤمن به» وألقت نظرة شاملة على المائدة بحثاً عن عيدان الكبريت، «بل قلت إنّه مُذهل»، وقبلَت الشُعلة التي قدّمها لين لها. قالت وهي تستنشق الدخان، «إنني أعتقد أنّها مُصادفة غريبة حقاً، وأنك دائماً تُصادف مثل هذا النوع من النصائح -أعني كل أولئك الأشخاص المُتدينين الحقيقيين بكل معنى الكلمة يُرددون القول إنك إذا ردّدتَ اسم الله على الدوام، فإنَّ شيئاً ما سوف *يحدث*، حتى في الهند. في الهند يطلبون منك أنْ تتأمّل في «الأوم»، الذي له المعنى نفسه، حقاً، ومن المُفترَض أنْ يُعطي النتيجة نفسها. لذلك أعني أنّه ليس في استطاعتك أنْ تنظر إلى الأمر بعقلانيّة من دون حتى-»

قال لين باقتضاب «ما هي النتيجة؟»

«ماذا؟»

«أعني ما هي النتيجة التي ستلي كل ذلك التزامن والخزعبلات. هل ينتج عنها نوبة قلبيّة؟ لا أعلم إنْ كنتِ تعلمين أنه يمكن أنْ تتسبّبي لنفسك أو أنْ يتسبّب أي شخص لنفسه بالكثير من-»

«النتيجة هي أنكَ ترى الله. ثمة شيء يحدث في الجزء غير المادي على الإطلاق من القلب -حيث كما يقول الهندوس تكمن الذات الكونيّة، إذا

تقبّلتَ أي دين- وترى الله، هذا كل شيء». نفضَتْ رماد سيجارتها بخجل، وأخطأت المنفضة، فالتقطت الرماد بأصابعها ووضعته في المنفضة. «ولا تسألني مَنْ هو الله وما هو. أعني أنني لا أعلم حتى إنْ كان موجوداً. وأنا صغيرة، كنتُ أقول في نفسي-» وسكتتْ. كان النادل قد جاء لكي يجمع الأطباق ووزّع عليهما لوائح الطعام.

سألها لين «أترغبين بتناول فاكهة بعد الطعام أم شرب القهوة؟»

قالتْ فراني «أعتقد أنني سوف أُنهي شرب الحليب. اطلب أنتَ شيئاً». كان النادل قد رفع تواً طبقها الذي يضم شطيرة لحم الدجاج. لم تجرؤ على رفع بصرها إليه.

نظر لين إلى ساعة يده. «يا الله، لم يعُد لدينا متّسع من الوقت. سوف نكون محظوظين إذا وصلنا إلى مكان *المباراة* في الوقت المُحدَّد»، ورفع نظره إلى النادل. «أحضر لي قهوة فقط، من فضلك». راقبَ النادل وهو يمشي مبتعداً، ثم مال إلى الأمام، وذراعاه على الطاولة، وباسترخاء تامّ، وبطنه ممتلئة، والقهوة سوف تصل في أيّة لحظة، قال «حسن، الموضوع مُثير للاهتمام، على أيّة حال. كل ذلك الكلام... لا أعتقد أنكِ تركت هامشاً من أجل *علم النفس* الابتدائي. أعني أنَّ كل تلك التجارب الدينيّة لها خلفيّة نفسيّة واضحة جداً - أنت تعلمين ماذا أعني... لكنّه مُثير للاهتمام. أقصد أنّه لا يمكن إنكاره. ونظر إلى فراني وابتسم لها. «على أيّة حال، قبل أنْ أنسى. أنا أحبّك. هل سبقَ أنْ ذكرتُ هذا؟»

قالتْ فاني «هلا عذرتني من جديد برهة يا لين؟»، ونهضَتْ قبل أنْ تُكمِل سؤالها.

لين أيضاً نهضَ واقفاً، ببطء، وهو ينظر إليها. سألها «أأنتِ بخير؟ أتشعرين بالغثيان من جديد؟»

«فقط ينتابني شعور غريب. سوف أعود في الحال»

مشتْ بخُطى رشيقة عبر غرفة الطعام، متّخذة المسار نفسه الذي كانت قد اتّخذته سابقاً. لكنّها توقفتْ فجأة عند البار الصغير لتقديم الكوكتيل في الطرف النائي من الغرفة. نظر عامل البار إليها، وكان يقوم بتجفيف أحد

كؤوس الشيري وتلميعه. وضعتْ يدها اليُمنى على نُضد البار، ثم أخفَضَتْ رأسها -أحنته- ووضعتْ يدها اليُسرى على جبينها، فقط لمسته بأطراف أصابعها. وترنّحتْ قليلاً، ثم أُصيبتْ بالإغماء، وانهارت على الأرض.

لم تفق فراني من إغمائها إلّا بعد مرور ما يُقارب الخمس دقائق. كانت متمددة على أريكة غرفة مكتب المدير، وكان لين جالساً بجوارها، ووجهه قريباً منها ينمّ عن القلق، وهذه المرة كان الشحوب من نصيبه هو.

قال بنبرة صوت خافتة «كيف حالك؟ ألا تشعرين بتحسّن؟» أومأتْ فراني برأسها إيجاباً، وأغمضَتْ عينيها برهة بسبب الإضاءة المُسلّطة عليها من فوق، ثم فتحتهما من جديد. قالتْ «هل من المُفترَض أنْ أسأل «أين أنا»؟ فضحك لين «أين أنتِ؟ أنت في غرفة مكتب المدير، والجميع يُهرولون في كل مكان بحثاً عن غاز النشادر وعن الأطباء وعن أشياء يُعيدونك بها إلى وعيك. يبدو أنَّ وفاضهم قد خلا من النشادر. كيف تشعرين؟ أنا جادّ»

«أنا بخير. أشعر بأني ***بلهاء***، لكنني بخير. أحقاً أُصِبتُ ***بالإغماء***؟»

قال لين «ويا للطريقة التي حدث بها ذلك. لقد أُصِبتِ حقاً بالإغماء». ووضع يدها في يده. «ماذا ألمَّ بك في اعتقادك؟ أعني بدوتِ في أحسن حال عندما تكلّمتُ معك عبر الهاتف في الأسبوع الفائت. ألم تأكلي أي شيء في وجبة الإفطار؟» هزّتْ فراني كتفيها استخفافاً، وتلفّتت حولها في الغرفة. قالت «أنا مُحرجة جداً. هل اضطرَّ أحدهم إلى ***حملي*** إلى هنا؟»

«عامل البار وأنا. رفعناك وأدخلناك. لقد أخفتني، جديّاً»

أخذتْ فراني تتأمّل السقف من دون أنْ يرفّ لها جفن، بينما يدها تحملها يده. ثم التفتتْ وقامت بإيماء بيدها الحرّة كأنها تنوي أنْ تدفع طرف قميص لين إلى الخلف. سألته «كم الساعة؟»

قال لين «لا عليك. لسنا في عجلة من أمرنا»

«يجب أنْ تذهب لحضور حفل الكوكتيل»

«فلتذهب إلى الجحيم»

سألته فراني «ألم يصبح الوقت متأخراً أيضاً بالنسبة إلى المباراة؟»

قال لين «اسمعي، قلتُ فلتذهب إلى الجحيم. سوف تعودين إلى غرفتك في ذلك المكان المُسمّى -بلو شترز- لكي تأخذي قسطاً من الراحة، هذا هو الأمر الهامّ». واقترب قليلاً منها وانحنى لكي يُقبّلها، قبلة مُقتضبة. ثم التفتَ ونظر نحو الباب، وعاد ينظر إلى فراني. «في الجزء المتبقّي من النهار سوف *ترتاحين* فقط، ولن تفعلي أيّ شيءٍ آخر»، وداعب ذراعها برهة. «وربما بعد قليل، إذا أخذتِ قدراً معقولاً من الراحة، أستطيع إنْ أرتقي إلى الطابق العِلوي بصورة ما. أعتقد أنّه يوجد دَرَجٌ خلفيّ. أستطيع أنْ أعثر عليه». لم تردّ فراني بأي شيء، ونظرتْ إلى السقف.

قال لين «أتعلمين كم مرَّ من الوقت؟ منذ ليلة الجمعة تلك؟ كان ذلك في أوائل الشهر الفائت، أليس كذلك؟» وهزَّ رأسه نفياً. «هذا ليس جيداً. إنها مدّة طويلة، باختصار»، ونظر إلى فراني عن كثب. «أحقاً تشعرين بتحسّن؟»

أومأتْ برأسها إيجاباً. والتفتت إليه، «أشعر بالظمأ، لا أكثر. أتعتقد أنَّ في استطاعتي أنْ أشرب جرعة ماء؟ إذا لم يكن ذلك شاقاً عليك؟»

«يا إلهي، كلا! هل ستكونين بخير إذا غبتُ عنكِ قليلاً؟ أتعلمين ماذا أنوي أنْ أفعل؟»

هزّتْ فراني رأسها نفياً ردّاً على السؤال الثاني.

قال «سوف أطلب إحضار بعض الماء لك. بعد ذلك سوف أستدعي كبير النُدُل وأطلب منه إلغاء طلب النشادر - وأُسدد الفاتورة، في الوقت نفسه. ومن ثم سوف أستدعي سيارة أجرة كي لا نُضطر إلى البحث مطوّلاً عن واحدة. قد يستغرق الأمر بضع دقائق لأنَّ معظمها تتجول في المكان بحثاً عن أناس يريدون حضور المباراة»، ثم أفلتَ يد فراني ونهضَ واقفاً. قال «اتّفقنا؟»

«اتّفقنا»

«عظيم. سوف أعود في الحال. لا تتحركي»، وغادر الغرفة.

عندما انفردت فراني بنفسها، استلقت بهدوء، وأخذتْ تُحدِّق إلى السقف. بدأتْ شفتاها تتحرّكان، وتشكلان كلمات بلا صوت، واستمرتا في التحرّك.

زوي

من المُفترَض أنَّ الحقائق المتوفّرة هنا تعبِّر عن نفسها، ولكن بسوقيّة أكثر قليلاً في اعتقادي مما تفعل في المعتاد. إذن، من قبيل الموازنة نبدأ بذلك الشيء البغيض النضر دائماً، والمُثير: أي مقدّمة المؤلِّف التقليديّة. التي أقصدها ليستْ فقط بليغة ورصينة بصورة تفوق أشدّ أحلامي جموحاً بل، بالإضافة إلى ذلك، شخصيّة إلى أقصى مدى. فإذا واتاني الحظ المناسب ووضعتها فينبغي أنْ تكون مُشابهة في تأثيرها لجولة إجباريّة بمرافقة دليل داخل غرفة المحرّكات وأنا، الدليل، أقوم بعملي مرتدياً ثوب استحمام قطعة واحدة ماركة يانتزن.

فلأبدأ مباشرة بالأسوأ وأقول إنَّ ما سأقدِّمه ليست حقاً قصة قصيرة بل ما يُشبه الفيلم العائلي المُبتذل، والذين شاهدوه نصحوني بقوة بعدم القيام بأيّة عملية توزيع مدروس له. وامتيازي ومصدر متاعبي هو أنْ أكشف أنَّ الفريق المُعارِض يتألّف من الممثلين الثلاثة الأساسيين أنفسهم، من أنثيين وذَكر واحد. سوف نتناول السيدة التي تقوم بدور البطولة الأول التي ربما تفضِّل، في اعتقادي، أنْ توصَف بإيجاز بأنها من النوع الراقي، الواهن. إنها تشعر بأنَّه كان يمكن أنْ تسير الأمور على ما يُرام لو أنني وصفتها كذلك.

سوف يُشاهَد صبيٌّ وهو يقرأ رسالة طويلة جداً (أعِدُ بأنها سوف تُنشَر هنا ***بأكملها***) أرسلها إليه أخوه الأكبر سناً الحيّ، الذي اسمه بَدي غلاس. وقد قيل لي إنَّ أسلوب كتابة الرسالة يُشبه إلى حدٍ بعيد أسلوب راوي هذه القصّة، أو أنماط كتابته المُنمّقة، ولا ريب في أنَّ القارئ العام سوف يخلص إلى أنَّ كاتب تلك الرسالة وأنا هما شخص واحد. هذا ما سيفعل، وأخشى أنَّ هذا ما

ينبغي أنْ يفعل. لكننا من الآن فصاعداً سوف نترك هذا المدعو بدي غلاس في مرتبة الشخص الثالث. على الأقلّ، لا أرى سبباً وجيهاً لاستبعاده.

عند الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم إثنين في شهر تشرين الثاني عام 1955، كان شاب في الخامسة والعشرين، اسمه زوي غلاس، جالساً في مغطس استحمام ممتلئ يقرأ رسالة عمرها أربع سنوات، طويلة كأنما لا نهاية لها، مضروبة على الآلة الكاتبة على عدّة صفحات من الورق الأصفر النوع الثاني، وكان يواجه بعض المتاعب الصغيرة في إبقائها بارزة وثابتة على رُكبتيه الشبيهتين بالجزيرتين الجافتين. على يمينه كان يوازن سيجارة تبدو خامدة على حافة موضع قطعة الصابون المطلي بالمينا والمحفور داخل الجدار، ومن الجليّ أنها كانت مشتعلة كما ينبغي، لأنه كان بين حين وآخر يرفعها ويستنشق منها الدخان مرّة أو مرّتين، من دون أنْ يُضطر إلى رفع نظره عن رسالته. وكان الرماد يسقط حتماً داخل ماء المغطس إمّا بشكلٍ مُباشر أو على إحدى صفحات الرسالة. بدا غير واعٍ للفوضى المحيطة به. لكنّه كان واعياً فقط لأنّه بدأ يصبح لحرارة الماء تأثير مُجفِّف عليه. وكلما طالت مدة القراءة -أو إعادة القراءة- ازدادت مرّات استخدام خلفيّة رسغه وبتركيز أكبر لتجفيف جبينه وشفته العليا.

اعلَمْ منذ الآن، أنّنا مع زوي نحن هنا نتعامل مع الفقرات المُعقّدة، والمتراكبة، والمُشقّقة الشبيهة على الأقلّ بإضبارتين. أولاً، كان شاباً ضئيلاً، وذا بنية جسم صغيرة جداً. من الخلف -بالتحديد حيث تبرز الفقرات- كان يمكن أنْ يُعتَقَد أنّه أحد أطفال المدينة الفقراء الذين يرسلون في كل صيف إلى المعسكرات المجانيّة لكي يزدادوا بدانة ويتشمّسوا. عن قُرب، من صفحة وجهه المُباشرة أو من مسقط وجهه الجانبي، كان وسيماً وسامة لا تُضاهى، بل مُبهرة. وأخته الأكبر سناً (التي تفضّل بتواضع أنْ تُسمّى هنا بتاكاهو صانعة المطارق) طلبتْ مني أنْ أصفه بأنّه يبدو أشبه بالكشّاف الهندي الأحمر الأيرلندي-اليهودي أزرق العينين، الذي مات بين ذراعيك على طاولة لعبة الروليت في مونت كارلو. وثمة وجهة نظر عامة أكثر وحتماً أقلّ محدوديّة تقول إنّ وجهه بالكاد نجا من فرط الوسامة، بالإضافة إلى البهاء، بفضل بروز إحدى الأذنين قليلاً أكثر من الأخرى. وأنا نفسي أتبنّى

وجهة نظر مختلفة عن هذين الرأيين. إنني أُسلِّم بأنَّ وجه زوي يقترب كثيراً من كونه غاية في الجمال. وعليه، فإنه كان طبعاً شديد الهشاشة أمام التشكيلة نفسها من التقييمات الشجاعة بعفويّة والرحبة في المعتاد كما هو حال كل فن شرعيّ. وأعتقد أنه لم يتبقَّ غير قول إنَّ أحد التهديدات اليوميّة العديدة – كحادث سيارة، أو الإصابة بالزكام، أو التمدُّد قبل الإفطار– يمكن أنْ يتسبّب في تشويه وسامته الوافرة والنيل منها في غضون يوم أو لحظة. ولكن ما كان ثابتاً، ومصدر متعة دائمة، كما أُشير تواً بشكلٍ مُباشر، فهو *الظرف* الحقيقيّ الطاغي على كامل وجهه – خاصة في العينين، حيث يبدو في الغالب آسراً كقناع مُهرِّج، وأحياناً يكون أشدّ إذهالاً.

كان زوي يمتهن التمثيل، ويقوم بأدوار البطولة، في التلفزيون، منذ أكثر من ثلاث سنوات. وكان، في الواقع، «مطلوباً» (ووفقاً لتقارير مبهمة غير موثوقة وصلتْ إلى عائلته، يتلقّى أجوراً كبيرة) بوصفه ممثلاً شاباً مشهوراً يعمل في التلفزيون وليس في الوقت نفسه نجماً في هوليوود أو برودواي يحظى بسمعة عالميّة. ولكن ربما أيّ من هاتين الحقيقتين يمكن أنْ تؤدي، بلا قصد، إلى تخمين واضح. والذي حدث هو أنَّ زوي قام بأول أدواره الرسميّة والجديّة على خشبة المسرح وهو في سن السابعة. كان ثاني أصغر فرد بين ما كانوا سبعة إخوة وأخوات[1] –خمسة صِبية وبنتان– وكلهم كانوا

1– أخشى أنَّ الموقع المناسب للشر الجماليّ لتعليق أسفل الصفحة هو هنا. وفي كل ما يلي، وحدهما الأصغر سناً بين الأولاد السبعة سوف يُشاهدان ويُسمعان. أما الخمسة المتبقون، الأكبر سنّاً، فسوف يظهرون ويختفون جيئة وذهاباً بانتظام في الحبكة، كما يفعل العديد من أشباح بانكو. وعليه قد يرغب القارئ في أنْ يعرف منذ البداية أنّه في عام 1955 كان سيمور، الأكبر سناً بين أولاد آل غلاس، قد مضى على وفاته حوالي سبعة أعوام. انتحر في أثناء قضائه عطلة في فلوريدا مع زوجته. ولو أنّه بقيَ حيّاً، لأصبح عام 1955 في عمر الثامنة والثلاثين. والولد التالي الأكبر سناً، بدي، كان يُعرَف بلغة فهرس الجامعة بلقب «كاتب مُقيم» في كليّة الأحداث الخاصة بالبنات في المنطقة العليا من ولاية نيويورك. كان يعيش وحده في منزل صغير، غير مُهيّأ لمواجهة ظروف فصل الشتاء، وغير مُزوّد بالطاقة الكهربائيّة، ويبعد مسافة ربع ميل عن منحدر التزلّج المعروف. والبنت التالية الأكبر سناً بينهم كانت بوو بوو، متزوجة وأماً لثلاثة أطفال. وفي شهر تشرين الثاني من عام 1955 كانت تسافر في أرجاء أوروبا

يُسمعون بانتظام خلال عهد الطفولة على فترات متباعدة بشكل مناسب عبر الإذاعة، في برنامج للمسابقات خاص بالأطفال يُدعى «إنه طفل حكيم». وقد ساعد فرق السن الذي يبلغ ثمانية عشر عاماً بين أكبر أولاد آل غلاس سناً، سيمور، والأصغر سناً، فراني، ساعدَ بقدر كبير العائلةَ على حجزِ مقاعد معيّنة خاصة باسمها للجلوس أمام ميكروفونات برنامج «الطفل الحكيم» الذي دام بثّة أكثر من ستة عشر عاماً - بدءاً بعام 1927 وحتى عام 1943 وهي فترة زمنيّة ربطتْ بين عهدي رقصة تشارلستن وطائرة بوينغ B-17. (أعتقد أنَّ كل هذه البيانات متّصلة بعضها ببعض بدرجةٍ ما) وطوال كل الفترات المتباعدة والسنوات التي تمتد بين أيام ازدهارهم الفرديّة في تقديم البرنامج، يمكن القول (مع بعض التحفّظات القليلة، وليست ذات أهميّة كبيرة) إنَّ الأولاد السبعة نجحوا في الإجابة عبر أثير الإذاعة عن عددٍ استثنائيّ من الأسئلة المُستمدّة من الكتب والذكيّة إلى أقصى مدى -أرسلها المُستمعون- بنشاط وثقة في النفس، اعتُبِرا فريدين في إذاعة تجاريّة الطابع.

والاستجابة العامة للأطفال كانت في الغالب حارّة وليست فاترة البتّة. وفي العموم، انقسم المستمعون إلى قسمين، الجماعات المتململة بصورة غريبة، التي رأتْ أنَّ آل غلاس هم حفنة من أولاد الحرام الصِغار «المتفوقين» بدرجة لا تُطاق، وكان ينبغي إغراقهم أو خنقهم بالغاز عند الولادة، وأولئك الذين رأوا أنهم ثلّة من الأذكياء والعلماء الأغرار الصادقين، من النوع الفريد، ويُحسدون. وعند كتابة هذه الأسطر (في عام 1957) هناك مُستمعون سابقون لبرنامج «إنه طفل حكيم» يتذكرون، بدقّة متناهية، العديد من العروض الفرديّة لكل طفل من الأطفال السبعة. وفي هذه المجموعة نفسها التي يقلّ عدد أفرادها لكنها ما زالت متلازمة بصورة

مع زوجها وأطفالهما الثلاثة. وحسب ترتيب السن، يأتي التوأم، والت وويكر، بعد بوو بوو. كان والت قد توفي قبل أكثر من عشرة أعوام بقليل، قُتِلَ في حادث انفجار غريب بينما كان يلتحق بجيش الاحتلال في اليابان. أما ويكر، الأصغر منه بنحو اثنتي عشرة دقيقة، فأصبح كاهناً في الكنيسة الكاثوليكيّة، وفي شهر تشرين الثاني، عام 1955، كان في الإكوادور، يحضر مؤتمراً للجزويت من نوع ما. - المؤلّف

غريبة، يسود الإجماع على أنّه من بين أطفال آل غلاس كلهم كان الصبي الأكبر سناً، سيمور، في حقبة العشرينيات والثلاثينيات، هو «أفضل» مَنْ يمكن سماعه، والأكثر «استحقاقاً» على الدوام. وبعد سيمور، يأتي زوي، الصبي الأصغر سناً في العائلة، عموماً في المرتبة الثانية في الأفضليّة، أو الجاذبيّة. وبما أنَّ لدينا اهتماماً عاديّاً فريداً بزوي هنا، يمكننا أنْ نُضيف أنّه بوصفه مُشتركاً سابقاً في برنامج «إنّه طفل حكيم» كان متفوّقاً بين إخوته وأخواته (أو عليهم) ويحظى بمكانة مُميَّزة خاصة. وفي أثناء سنوات بثّ البرنامج كان الأطفال السبعة كلهم، وعلى فترات متقطّعة، يلعبون بإنصاف بالنسبة إلى مُحلّل نفسي أو مُعلّم مُحترِف صغير يُبدي اهتماماً خاصّاً بالأطفال الناضجين قبل الأوان. وفي هذه القضيّة، أو الخدمة، كان زوي، من بين أفراد آل غلاس كلهم، هو بكل سهولة أشدّ المتعرّضين للاختبار، وأكثرهم إجراءً للحوارات، وتعرّضاً للمضايقة. والبارز، بلا أي استثناء حسب عِلمي، أنَّ تجاربه في المجالات المتشعّبة بوضوح من علم النفس الطبيّ، والاجتماعيّ، وأخباره، كانت مُكلِفة جداً بالنسبة إليه، وكأنَّ الأماكن التي تعرَّض فيها إلى الاختبار كانت تضجّ بحيوية متناسقة إما بإصابات شديدة العدوى أو بمجرد جراثيم عاديّة عتيقة الطراز. على سبيل المثال، في عام 1942 (ومع الاعتراض الدائم لأخويه الأكبر سناً، وكان كلاهما في ذلك الوقت ملتحقاً بالجيش) أُجري له وحده اختبار على يد فريق أبحاث، في بوسطن، في خمس مناسبات منفصلة (وخلال معظم الجلسات كان في الثانية عشرة من العمر، وربما كانت رحلات السفر بالقطار –البالغة عشراً– تجد هوى في نفسه، على الأقلّ في البداية) قد يعتقد المرء أنَّ الهدف الرئيسيّ للاختبارات الخمسة كان عزل ودراسة، إذا أمكن، مصدر ذكاء زوي ومخيلته السابقين لأوانهما. وبنهاية الاختبار الخامس، عاد موضوع الاختبار إلى منزله في نيويورك مع ثلاثة أو أربعة أقراص من الأسبيرين داخل مُغلَّف عليه نقش لعلاج الزكام، الذي اتّضح أنّه نزلة شُعبيّة. وبعد ذلك بستة أسابيع، وصلتني مكالمة خارجيّة من هاتف مدفوع الأجر في بوسطن، وبصوت مجهول النبرة –بلا أيّة نيّة، كما يبدو، في أنْ يبدو مُزاحاً متحذلقاً– أبلغت السيد والسيدة غلاس بأنَّ ابنهما زوي، البالغ اثني عشر

عاماً، لديه مفردات إنكليزيّة تعادل مفردات ميري بيكر إدي[1]، إذا اضطر إلى استخدامها.

وأستأنف: يبدو أنَّ الرسالة الطويلة، التي مرَّ عليها أربع سنوات، ومضروبة على الآلة الكاتبة، التي تفحّصَها زوي وهو في مغطس الاستحمام، في صباح يوم إثنين من شهر تشرين الثاني عام 1955، كانت قد أُخرِجَتْ من مُغلّفها وفُتِحَت ثم طُوِيَتْ في مناسبات خاصّة عديدة خلال أربع سنوات، بحيث إنّه ليس فقط أصبحت ذات مظهر عام كريه بل كانت مُمزّقة من مواقع متعددة، وخاصة على طول التغضنات. وكما سبق أنْ ذكرت، كان كاتب الرسالة أخا زوي الأكبر الحيّ، بَدي. والرسالة بحد ذاتها كانت مفرطة في الطول حقاً، ومكتوبة بأسلوب مُنمَّق، تعليميّ، ومُكرَّر بشكلٍ مملّ، وتحمل رأياً متزمتاً، ونبرة احتجاجيّة، ومتنازلة، ومُحرِجة - وممتلئة، حتى الزبى، بالحب. باختصار، كانت رسالة من النوع الذي يحمله مُتلقّيها في جيبه بعض الوقت، شاء أم أبى. والكتّاب المُحترفون من هذا النوع يُحبّون أنْ يُعيدوا نشرها حرْفيّاً:

مكتبة
t.me/soramnqraa

في 18/ 3/ 1951

عزيزي زوي:

انتهيتُ تواً من فكّ شِفرة رسالة طويلة وصلتْ من الوالدة في صباح هذا اليوم، وكلها تدور حولك وحول ابتسامة الجنرال أيزنهاور وحول الفتية الصغار الذين ورد ذكرهم في صحيفة الديلي نيوز الذين سقطوا في مهوى المصعد وتسألني فيها متى سأتخلّص من هاتفي في نيويورك وأُركّب آخر هنا في *الريف*، حيث أنا في *حاجة* ماسّة إليه. لا ريب في أنَّ المرأة الوحيدة في العالم التي في استطاعتها أنْ تكتب رسالة بأحرف مائلة غير مرئيّة، هي العزيزة بيسي. إنني أحصل منها على نسخة من خمسمئة كلمة بانتظام مرة

1- ميري بيكر إدي (1821-1910): زعيمة دينيّة أميركيّة، وكاتبة أسّست كنيسة المسيح العلميّة في نيو إنغلند. أسست العديد من المجلات المسيحيّة، ولديها العديد من الكتب في مجالها.

كل ثلاثة أشهر تدور حول موضوع هاتفي الخاص العزيز المسكين وحول حماقة دفع مبلغ كبير من المال في كل شهر مقابل شيء لم يعد الشخص الذي *يستخدمه* موجوداً. وهذه كذبة كبيرة. فعندما أكون في المدينة فإنني دائماً أجلس وأتحدث على مدى ساعات طويلة مع صديقي الحميم ياما، إله الموت، والهاتف الخاصّ ضروري من أجل إجراء محادثاتنا الصغيرة. على أيّة حال، أرجوك أخبرها أنني لم أغيِّر رأيي. إنني أحبّ جهاز الهاتف القديم ذاك حبّاً جمّاً. لقد كان الشيء الوحيد الخاصّ حقاً الذي حصلنا عليه أنا وسيمور في مزرعة بيسي كلّها. وهو أساسيّ أيضاً لانسجامي الداخلي حين أرى قائمة الأسماء في دليل الهاتف اللعين الخاصّ بسيمور في كل عام. إنني أحبّ أنْ أستعرض مجلة إباحيّة سرّاً. قدّم لي معروفاً وانقل عني هذه الرسالة. ليس حرفيّاً، بل برفق. عامل بيسي بطريقة أشدّ لطفاً، يا زوي، كلما استطعتَ ذلك. لا أقصد لأنها أمّنا، بل لأنها مُرهقة. سوف تفعل بعد أنْ تبلغ سن الثلاثين أو نحوه، حين يُصبح الجميع أكثر هدوءاً بقليل (حتى أنت، ربما) أما الآن فابذل جهداً أكبر. لا يكفي أنْ تعاملها بوحشيّة مجنونة جديرة بمعاملة راقص من الهنود الحمر لشريكته - وبالمناسبة هي تتفهّم هذا سواء اعتقدتَ ذلك أم لا. أنت تنسى أنها بارعة في السلوك العاطفيّ بقدر نجاح ليس Les.

بغضّ النظر عن مشاكل هاتفي، أقول إنَّ رسالة بيسي الحاليّة هي في الحقيقة رسالة زوي. سوف أكاتبك وأخبرك بأنَّ حياتك بأكملها ما زالت أمامك وأنَّه من الإجرام ألّا تسعى لنيل درجة الدكتوراه قبل أنْ تسعى بحماس لتُصبح ممثّلاً. هي لا تقول إنها تريد منك أنْ تنال درجة الدكتوراه، بل أعتقد أنها أرادتْ لك أنْ تدرس الرياضيات وليس اللغة اليونانيّة، يا دودة الكتب الصغيرة القذرة. على أيّة حال، أعتقد أنّها تريد لك أنْ تحصل على شيء تعتمد عليه إذا تصادفَ وفشلتَ في مجال التمثيل. قد يبدو هذا الكلام معقولاً جداً، ولعله كذلك، لكنّي لا أرغب في قول هذا مباشرة. لقد كان أحد تلك الأيام التي رأيت فيها كل فرد من أفراد العائلة، بمَنْ فيهم نفسي، عبر الجهة الخاطئة من المنظار المُكبِّر. في الواقع لقد اضطررتُ إلى الصراع عند صندوق البريد في صباح هذا اليوم لكي أعرف مَنْ تكون بيسي عندما

رأيتُ اسمها في عنوان إعادة الرسالة على المُغلَّف. ولسبب وجيه واحد، شحنتني دروس الكتابة المتقدّمة بثمانٍ وثلاثين قصّة قصيرة لكي أجرّها معي والدموع في عيني وأنا في طريق عودتي إلى الوطن لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. وسبع وثلاثون من تلك القصص سوف تدور حول سحاقيّة ألمانيّة خجول، منعزلة، تريد أنْ تمارس الكتابة، والقصة تُروى بصيغة المتكلِّم من قِبَل كاتب أجير فاسق، على شكل حوار.

إنني أسلِّمُ بداهة بأنك *تعلم* أنّه على الرغم من كل تلك السنين التي كنتُ أنقل خلالها مهجع عهري الأدبي من جامعة إلى أخرى، فإنني لم أحصل حتى على الشهادة الجامعيّة. وكأنَّ دهراً من الزمن مرّ، ولكن أعتقد أنَّه في الأصل هناك سببان لعدم نيلي الشهادة (تفضّل بالجلوس. هذه هي المرة الأولى التي أكتب فيها لك منذ سنين عديدة) السبب الأول هو أنني كنتُ متعجرفاً بكل معنى الكلمة في الجامعة، بوصفي خريجاً قديماً من برنامج «الطفل الحكيم» وضليعاً مستقبلياً في اللغة الإنكليزيّة وحتى آخر الحياة، ولم أرغب في نيل أيّة درجة عِلميّة إنْ كان كل الجهلة من المثقفين ومُذيعي الراديو والبلهاء المدرسين الذين عرفتهم حصلوا عليها عنوة. والسبب الثاني هو أنَّ سيمور نال شهادة الدكتوراه في سنٍ كان عندها الشبّان الأميركيون كلهم يتخرجون من المدرسة الثانويّة، ولما كان الوقت قد فات بالنسبة إليّ لكي ألحق به فيما يتعلَّق بالأسلوب، لم أحصل على أيّة شهادة. وأيضاً، تيقّنتُ وأنا في مثل سنّك أنني لن أُجبَر أبداً على القيام بالتدريس، وأنّه إذا فشل إلهامي بدعمي، فسوف أقوم بشحذ العدسات في مكان ما، كما فعل بوكر ت. واشنطن. ولكن لا أستطيع أنْ أقول إنّني ندمت من الناحية الأكاديميّة، بأي معنى من المعاني. وفي الأيام السوداء على وجه الخصوص أقول لنفسي أحياناً لو أنني حصلتُ على عدد كبير من الشهادات عندما كان في استطاعتي ذلك، لما وصل بي الحال الآن إلى تدريس أي شيء ذي سِمة جامعيّة ولا أمل يُرجى منه كمادة الكتابة التقدّمية. ولكن لعلّ هذا كله هراء. لقد وقع الغش بالأوراق (ربما هذا من بنات خيالي) على الرغم من كل الجماليات المهنيّة، ولا شك في أننا جميعاً نستحق الميتات الأكاديميّة، المُنمّقة، القاتمة، التي ستكون من نصيبنا جميعاً عاجلاً أو آجلاً.

إنني أؤمن حقاً بأنَّ حالتك تختلف كثيراً عن حالتي. على أيّة حال، لا أعتقد أنني أقف إلى جانب بيسي. إنْ كان ما تسعى إليه هو الأمان، أو هذا ما تريده بيسي لك، ودرجة الماجستير على الأقلّ سوف تؤهّلك دائماً لاجتياز اختبار جداول اللوغاريتم في أيّ مدرسة إعداديّة من الصبية الكئيبين في البلاد، وفي معظم الجامعات. من ناحية أخرى، لن تقدم لغتك اليونانيّة الجميلة لك أي معروف في أية جامعة كبيرة إلّا إذا نلت درجة الدكتوراه، ونحن نعيش في عالم راقٍ، متقدِّم. (طبعاً، في استطاعتك دائماً أنْ تنتقل إلى أثينا. أثينا العزيزة المُشمسة) ولكن كلّما فكّرت في الأمر، أقول في نفسي لستَ في حاجة إلى المزيد من الشهادات. والحقيقة، إذا أردتَ أنْ تعلم، هي أنّه لا يسعني إلّا أنْ أرى أنه كان يمكنكَ أنْ تكون أفضل في موقع الممثل لو أنني وسيمور لم نضف مؤلفات اليوبتنيشاد وكتاب السوترا الماسيّة وكتب إكهارد وكل كتبنا الحبيبة القديمة إلى باقي الكتب المنزليّة التي أوصونا بقراءتها ونحن صغار. والحقيقة هي أنّ على الممثل أنْ يُسافر خفيفاً. وعندما كنا أنا وسيمور صغيرين كنا نتناول وجبات غداء لذيذة مع جون باريمور. كان مُشرقاً جداً، وممتلئاً بالمعرفة المكتسبة، لكنّه لم يكن مُثقلاً بأي من الحمولة الضخمة من المعرفة المغرقة في التقليديّة. إنني أذكر هذا لأنني كنتُ أتحدث مع أحد المستشرقين الطنّانين خلال العطلة الأسبوعيّة، وفي أثناء ذلك، خلال فترة خمول ميتافيزيقيّة، شديدة العمق، من الحديث، أخبرته بأنّه كان لديّ أخ صغير ارتبط بعلاقة حب تعيسة عندما حاول أنْ يُترجم كتاب منداكا يوبانيشاد إلى اللغة الإغريقية التقليديّة. (فضحك ضحكاً مُدوّياً – أنت تعلم كيف يضحك المستشرقون)

ليتْني كنت أعلم شيئاً عما سيحدث لك كممثّل. أنت ممثل بالفطرة، حقاً. حتى صاحبتنا بيسي تعلم هذا. ولا شك في أنك وفراني الوحيدان في العائلة اللذان يتمتعان بالجمال. ولكن أين ستمارس التمثيل؟ هل فكّرتَ في هذا؟ في السينما؟ إذا كان الأمر كذلك، فإنَّ الخوف الشديد ينتابني من أنّه إذا زاد وزنك فسوف يُضحّى بك كأي ممثل شاب بدفعك إلى المُساهمة في المزيج الهوليوديّ الذي لا يُخطئ المؤلَّف من المُصارع المُحترِف والمُبهم، وحامل المُسدس والطفل المُعدَم، وراعي البقر وضمير الإنسان، وآخرين.

هل سترضى بتلك السِمة العاطفيّة التقليديّة الرائجة؟ أم أنكَ ستحلم بشيء عالميّ أكثر قليلاً - على سبيل المثال، القيام بدور شخصيّة بيير أو أندريه في نسخة ملوّنة من فيلم «*الحرب والسلم*»، مع مشاهد حربيّة مُذهلة، وحذف كل التفاصيل الدقيقة للشخصيات (على أساس أنها تفاصيل أدبيّة ولا يمكن تصويرها) وإسناد دور نتاشا بكل جرأة إلى الممثلة آنّا مانياني (فقط لإبقاء مستوى الإنتاج راقياً وصادقاً)، وجعل الموسيقى التصويريّة الرائعة من وضع ديمتري بوبكن، وجعل الذكور كلهم الذين يقومون بالأدوار الرئيسيّة على فترات يُحرّكون فكوكهم المُدججة بالعضلات تعبيراً عن انفعالاتهم الشديدة، والعرض الأول العالمي للفيلم يُقدَّم في الحديقة الشتويّة تحت فيض من الأضواء الساطعة ويقوم مولوتوف وميلتن بيرل والحاكم ديوي بتقديم الشخصيات المشهورة مع توافدهم إلى دار العرض. (وطبعاً، أقصد بالشخصيات المشهورة عشّاق تولستوي العزيز - السيناتور ديركسون، وزازا غابور، وغيلورد هاوزر، وجورجي جيسيل، وتشارلز من فندق الريتز) كيف يبدو هذا، وإذا دخلتَ دار العرض، هل ستتشكّل لديك أوهام حول *هذا*؟ هل سبقَ لك أنْ شاهدتَ إنتاجاً جميلاً حقاً، على سبيل المثال، لمسرحيّة بستان الكرز؟ لا تقُلْ إنكَ شاهدت. لا أحد شاهد ذلك. لعلك شاهدتَ عروضاً «مُلهِمة»، عروضاً «وافية»، ولكن ليس أيٌّ منها جميلاً. لم يُعادل أيٌّ منها موهبة تشيخوف، لا في الرهافة، ولا في الحساسيّة المُفرِطة، عبر أيّ شخص مثّل على خشبة المسرح. أنت تُثير قلقي الشديد، يا زوي. اغفر لي تشاؤمي، إذا لم أقُل لهجتي الطنّانة. لكني أعلم كما تطلب من أي شيء، أيها اللعين. وقد مررتُ بتجربة الجلوس اللعين إلى جوارك في دار العرض، ورأيتُ بوضوح شديد ما تطلبه من الفنون الاستعراضيّة ولا تراه في تلك العروض. انتبه، بحق الله.

لنفترض أنني في عطلة هذا اليوم. إنني أحتفظ بأجندة عُصابيّة، وقد مرّتَ حتى هذا اليوم ثلاث سنوات على انتحار سيمور. هل سبق أنْ أخبرتك بما حدث عندما ذهبتُ إلى فلوريدا لكي أُعيد الجثّة؟ بكيتُ كأخرق وأنا على متن الطائرة طوال خمس ساعات كاملة، وبين حين وآخر كنتُ أُعدِّل من وضعيّة خماري لكي لا يراني أي شخص عبر الممر بين المقاعد - الحمد

لله، كنتُ أحجز مقعداً خاصاً بي. وقبل أنْ تحط الطائرة على المدرج بخمس دقائق، صرتُ أعي وجود أناسٍ يتحدثون في المقعد خلفي. كان ثمة امرأة تقول، بصوت يحمل لكنة منطقة باك بيه بوسطن وساحة هارفرد، «... وفي *صباح اليوم التالي* استخرجوا من جثمانها الشاب الجميل مقدار وعاء من القيح». هذا كل ما أتذكّر أنني سمعت، ولكن عندما ترجّلتُ من الطائرة بعد ذلك ببضع دقائق وتقدّمت الأرملة المبتلاة مني وهي تتدثّر بالسواد، فرسمت التعبير الخطأ على وجهي. رسمتُ ابتسامة واسعة. وهو ما أشعر به في هذا اليوم، من دون أيّ سبب مفهوم. وعلى الرغم من كل شيء أنا متيقّن من أنّه في مكان قريب جداً -ربما في أول منزل في الشارع- هناك شاعر يحتضر، ولكن أيضاً في مكان قريب من هنا هناك امرأة تحصل على مقدار وعاء هائل من القيح استُخرِج من جثمانها الشاب والجميل، وأنا لا أستطيع أنْ أهرع منتقلاً جيئة وذهاباً إلى الأبد بين الألم ومنتهى الفرح.

في الشهر الفائت، اقترب العميد شيتر مني (الذي يستحضر اسمه في المعتاد صورة فراني عندما أذكره) مع ابتسامة جميلة وهو يحمل سوطاً مضفوراً، وها أنا الآن ألقي محاضرات على أعضاء الهيئة الإداريّة، وعلى زوجاتهم، وعلى بضعة من الطلاب غير المتخرجين من النوع العميق بشكلٍ مُستبدّ في كل يوم جمعة حول فلسفلة الزن وبوذيّة الما - هايانا. وهو إنجاز أنا متيقّن من أنّه سوف يُتيح لي في نهاية المطاف نيل منصب أستاذ الفلسفة الشرقيّة في جامعة هيل. والمشكلة هي أنّه مع دوامي الآن في الجامعة خمسة أيام في الأسبوع بدل أربعة، بالإضافة إلى عملي ليلاً وخلال العطل الأسبوعيّة، لا يكاد يتوفّر لديّ وقت لأقوم بأي قدر من التفكير المُحدَّد، وهذه طريقتي التأمليّة لقول إنني أقلق عليك وعلى فراني كلما أُتيح لي، ولكن ليس بقدر ما أرغب في ذلك. وما أحاول أنْ أخبرك به هو أنَّ رسالة بيسي يكاد لا يكون لها أيّة صِلة بجلوسي وسط عدد كبير من منافض السجائر لكي أكتب لك في هذا اليوم. إنها تمدّني ببعض المعلومات الأوّليّة عنك وعن فراني في كل أسبوع ولا أفعل أيّ شيء بهذا الخصوص، إذن ليست لها أيّة صِلة. أما ما يستحضرها فهو أمر وقع معي في سوبرماركت محلّي في هذا اليوم. (لا توجد فِقرة جديدة، سوف أوفّر عليك هذه). كنتُ أقفُ عند نضد بيع

اللحم، أنتظر أنْ يتم قطع شرائح من ضلع لحم الغنم لأجلي. وكانت أمٌ شابة مع ابنتها الصغيرة تنتظران في المكان أيضاً. كانت الفتاة الصغيرة تبلغ حوالي أربع سنوات من العمر، ومن باب تزجية وقتها اتّكأتْ بظهرها على واجهة عرض من الزجاج وراحت تُحدِّق إلى ذقني غير الحليقة، فقلتُ لها إنها أجمل فتاة وقعت عليها عيناي طوال اليوم. فأعجبها كلامي، وأومأتْ برأسها إيحاباً. قلتُ إنني أراهن على أنَّ لديها العديد من الأصدقاء الشبّان، فهزّتْ رأسها إيجاباً من جديد. فسألتها عن عدد أصدقائها من الفتية، فرفعت إصبعين في وجهي. قلت «اثنان! هذا عدد كبير من الأصدقاء. وما اسماهما، يا حلوتي؟». فقالت بصوت حادّ ثاقب «*بوبي ودوروثي*». ثم حملتُ نصيبي من شرائح لحم الغنم وهرعتُ مبتعداً. ولكن هذا الحادث هو بالضبط ما استحضر هذه الرسالة – أكثر مما فعله إلحاح بيسي عليّ لكي أكتب هذه الرسالة لك عن شهادة الدكتوراه وعن التمثيل. هذا، بالإضافة إلى قصيدة مكتوبة بأسلوب الهايكو عثرتُ عليها في غرفة الفندق الذي أطلقَ فيه سيمور النار على نفسه. كُتِبَتْ بقلم رصاص على نشّافة طاولة المكتب: «أنا فتاة صغيرة على متن طائرة / أدير رأس دميتي حول محورها / لكي أجعلها تنظر إليّ». فكّرتُ، وأنا أحمل هذين الشيئين في ذهني وأقود السيارة منطلقاً من السوبر ماركت، في أنني بعد طول انتظار أستطيع أنْ أكتب لك وأخبرك سبب تولينا س. وأنا أمر تعليمك في وقت مُبكر وبتعسّف. لم نُخبرك بهذا صراحة، وأعتقد أنّه حان الوقت لكي يفعل أحدنا ذلك. ولكن الآن لستُ متيقناً من استطاعتي أنْ أفعل هذا. كانت الفتاة الواقفة عند نضد بيع اللحم قد رحلتْ، ولا أستطيع أنْ أرى الوجه المؤدّب للدمية الصغيرة على متن الطائرة. وبدأ الرعب القديم من كوني كاتباً مُحترفاً، والرائحة النتنة المعتادة للكلمات المُرافقة لذلك، يجعلانني أتململ على مقعدي. ولكن كان أمراً هاماً جداً أنْ أقوم بالمحاولة.

لطالما بدا أنَّ الفروق في السن ضمن العائلة تُفاقِم مشاكلنا بصورة لا ضرورة لها ومنحرفة. ليس بين س. والتوأم وبوو بوو وبيني، بل بينكما أنتما الاثنين ثم بين فاني وس. وبيني. أنا وس. كنا بالغَين –كان قد مرّ وقت طويل على تركه الجامعة– في الوقت الذي بدأتما أنت وفراني تتعلّمان

القراءة. في تلك المرحلة، لم يكن لدى أيّ منا حافز حقيقي حتى لكي يدفع المؤلفات الكلاسيكيّة المُفضّلة نحوكما لقراءتها - أو، بالأحرى، ليس بالحماس نفسه الذي أبديناه مع التوأم أو مع بوو بوو. كنا نعلم أنّه لا سبيل إلى الاحتفاظ بمثقف جاهل بالفطرة، وأعتقد أنّه في قرارتنا لم نكن نرغب حقاً في ذلك، لكننا كنا متوترين، بل وخائفين، من الإحصاءات حول المتحذلقين الأطفال والمتعجرفين الأكاديميين الذين تربوا ليُصبحوا علماء داخل غرفة الاستجمام في الجامعة. لكنَّ الشيء الأهمّ بكثير هو أَن سيمور بدأ يُصدق (وأنا أتّفقتُ معه، بقدر فهمي للأمر) أنَّ التعليم تحت أيّة تسمية كان سيبدو عذباً، بل أكثر عذوبة، لو لم يبدأ بالسعي إلى المعرفة بل بالسعي، حسب تعبير فلسفة الزن، إلى اللا - معرفة. وفي موقع ما يقول الدكتور سوزوكي إنّه لكي تكون في حالة الوعي النقيّ -أو *الساتوري*- يعني أنْ تكون مع الله قبل أنْ يقول، فليكن نور. ورأينا سيمور وأنا أنّه من الأفضل أنْ نحجب عنك وعن فراني هذا الضوء (قدر استطاعتنا على الأقلّ) وكل المؤثرات الضوئيّة الأكثر خفوتاً، والأكثر رواجاً -الفنون، والعلوم، وعيون الأدب الكلاسيكيّ، واللغات- إلى أنْ تُصبحا قادرين على الأقلّ على بلوغ مرحلة إدراك العقل مصدر كل نور. رأينا أنّه شيء بنّاء بشكلٍ رائع أنْ نخبركما على الأقلّ (أي إذا وقفت «حدودنا» الشخصيّة عائقاً) قدر ما نعرف عن الرجال-القديسين، والكهنة البوذيين الذين بلغوا مرحلة النيرفانا، وكهنة البودهيستافا، والجيفانموستا-الذين يعرفون شيئاً ما أو كل شيء عن هذه الحالة من الكينونة. أي، أردنا لكما أنْ تعرفا ما كان عليه يسوع وغوتاما ولاو تسه وتشانكاراتشاريا وهوي -ننغ وسري راماكريشنا، إلى آخره، قبل أنْ تعرفا الكثير أو أيّ شيء عن هومر وشكسبير أو حتى بليك أو ويتمن، ناهيك عن جورج واشنطن وشجرة الكرز التي يمتلكها أو تعريف شبه الجزيرة أو إعراب جملة. على أيّة حال، هذه كانت الفكرة الهامة. وبالإضافة إلى ذلك، أعتقد أنني أحاول أنْ أقول إنني أعرف كم تمقت السنوات التي كنتُ مع س. خلالها نعدّ بانتظام أطروحات منزليّة، وخاصة الجلسات الميتافيزيقيّة. إنني فقط آمل أنّ نتحدث حول هذا ذات يوم- ويُفضّل أنْ نكون سكارى. (في غضون ذلك لا يسعني إلّا أنْ أقول إنّه لا سيمور ولا أنا خطر لنا، في تلك

الفترة البعيدة، أنك سوف تصبح ممثلاً. لا شك في أنّه كان ينبغي أنْ نفكر في هذا، لكننا لم نفعل. ولو أننا فعلنا، أنا متيقّن من أنَّ س. كان سيحاول أنْ يقوم بعمل بنّاء في هذا الشأن. ولا شك في أنّه في مكان ما هناك مسار للإعداد لمرحلة النيرفانا ويشير نحو الشرق أُعدّ خصيصاً من أجل الممثّلين، وأعتقد أنَّ س. كان سيكتشفه). ينبغي إنهاء الفِقرة، لكنني لا أستطيع أنْ أكفّ عن الثرثرة. وسوف تجفل عندما ستعرف ماذا سيحدث بعد ذلك، لكنّه يجب أنْ يحدث. أعتقد أنكَ تعلم أنَّ نواياي طيبة في بحثي بين حينٍ وآخر أمر موت س. لأتبيَّن كيف تواجه أنت وفراني الأمر. كنتما في الثامنة عشرة، وأنا لم أقلق بشأنكما كثيراً. على الرغم من أنني سمعت من أحد الثرثارين في أحد صفوفي الدراسيّة أنّه معروف عنك في أحد المهاجع أنكَ تذهب لكي تجلس وتتأمّل على مدى عشر ساعات دفعة واحدة، *وهذا* ما دفعني إلى التفكير. لكنَّ فراني كانت في ***الثالثة عشرة*** في ذلك الوقت، لكنني لم أتمكّن من التحرك. كنتُ أخشى أنْ أعود إلى المنزل، لم أخشَ أنْ تقفا أنتما الاثنين في وسط الغرفة، وأنتما تبكيان، وتنهالان عليّ بكامل مجموعة ماكس مولر من كتب الشرق المقدّسة، كتاباً بعد كتاب. (لعلَّ ذلك كان سيكون مصدر نشوة مازوشيّة بالنسبة إليّ)، لكنني كنتُ أخشى الأسئلة (أكثر بكثير من خشيتي من الاتّهامات) التي يمكن لكما أنْ تطرحاها عليّ. وحسب ما أتذكّر جيداً، سمحتُ لعامٍ كامل أنْ ينصرم بعد الجنازة قبل أنْ أعود إلى نيويورك. وبعد ذلك، أصبح سهلاً الخروج لحضور أعياد الميلاد وقضاء فترات العطل والتيقّن تماماً من أنَّ الأسئلة سوف تنهال عليّ حول موعد الانتهاء من تأليف كتابي التالي وما إذا قمت مؤخراً بالتزلج على الجليد، إلى آخره. بل إنكما مكثتما هنا طوال عدد كبير من عطل نهاية الأسبوع خلال السنتين الأخيرتين، وعلى الرغم من أنّه دارت بيننا أحاديث طويلة، اتّفقنا جميعاً على ألّا نتفوه بأية كلمة. واليومَ هي المرة الأولى التي أرغب فيها بالجهر بما لديّ. وكلّما تعمّقتُ أكثر في هذه الرسالة اللعينة، فقدتُ أكثر شجاعة قناعاتي. لكنني أُقسم لك على أنّه كانت لديّ رؤية صغيرة عن الحقيقة يمكن نقلها بكل سهولة (كأضلاع لحم الغنم) بعد ظهيرة هذا اليوم حالما أخبرتني تلك الطفلة أنَّ اسمَي صديقيها من الشبّان هما بوبي ودوروثي. وكان سيمور

قد أخبرني ذات مرّة –ونحن على متن حافلة في المدينة، من دون الأماكن كلها– بأنّ كل دراسة دينيّة حقيقيّة يجب أنْ تؤدي إلى إلغاء الفروق، الفروق الوهميّة، بين الفتية والفتيات، والحيوان والحجر، والنهار والليل، والحرارة والبرد. خطرت لي هذه الفكرة وأنا واقف عند نضد بيع اللحم، وبدا لي فجأة أنَّ قيادة السيارة إلى المنزل بسرعة سبعين ميلاً في الساعة لكي أبعث رسالة إليك هي مسألة حياة أو موت. أوه، يا الله، كم أتمنى لو أنّي أمسكتُ بقلم رصاص وأنا هناك في السوبر ماركت ولم أفعل ذلك وأنا في الطرق المؤدية إلى المنزل. ولكن يمكن لهذا أيضاً أنْ يكون أفضل. وأحياناً أعتقد أنك نسيت سيمور تماماً أكثر من أيّ منا. وذات مرة قال ويكر لي شيئاً مُثيراً جداً للاهتمام حول هذا الموضوع – في الحقيقة أنا فقط أُردِّد ما قاله لي. قال إنك الشخص الوحيد الذي شعر بالمرارة جرّاء انتحار س. والوحيد الذي سامحه على ما فعل. وقال، أما بقيّتنا فقد أظهرت عدم الإحساس بالمرارة فقط أما في أعماقها فلم تغفر له. ربما هذا صحيح كل الصحّة. كيف لي أنْ أتيقّن؟ أمّا ما أنا متيقّن منه فهو أنّه كان لديّ شيء مُفرح ومُثير أنقله إليك – وعلى أحد جانبيّ الورقة، المكتوب عليها سطراً بعد سطر– وعندما وصلتُ إلى المنزل أدركتُ أني نسيت معظمه، أو كلّه، ولم يتبقَّ أمامي ما أفعل غير أنْ أباشر العمل، أنْ أخبرك عن شهادة الدكتوراه، وعن حياة الممثل. كم هي حياة تعيث فيها الفوضى، ومرحة، وكم كان يمكن لسيمور نفسه أنْ يبتسم كثيراً – وربما كان سيُطمئنني، ويُطمئننا كلنا، ويطلب مني ألّا أقلق حول هذا الشأن.

يكفي هذا. *مثّلْ*، يا زاكاري مارتن غلاس، متى شئت وحيثما شئت، ما دمتَ تشعر بأنَّ عليك أنْ تمثّل، ولكن نفِّذ ذلك *بكل طاقتك*. إذا أدّيتَ أي دور جميل على خشبة المسرح، أي شيء لا اسم له ويُشيع السعادة في النفس، أي شيء يفوق نداء الإبداع المسرحيّ ويتجاوزه، فسوف نستأجر س. وأنا سترتين رجاليتين وقبعتين لامعتين ونأتي بكل رصانة إلى باب خشبة المسرح مع باقات من زهر أنف العجل. على أيّة حال، اتّكل على تعاطفي، ودعمي، مهما بعُدت المسافة، على الرغم من ضآلة تأثيرهما.

– بدي Buddy

كالمعتاد، إنَّ إشاراتي إلى المعرفة الكليّة لا معنى لها، أما أنت، من بين الناس جميعاً فعليك أنْ تتعامل بأدب مع الجزء مني الذي يخرج ببراعة. قبل سنوات عديدة، خلال سنوات حياتي ككاتب واعد المُبكّرة والشاحبة، قرأتُ ذات مرّة قصّة جديدة بصوت مرتفع على مسمع س. وبوو بوو. وبعد أنْ انتهيت قالت بوو بوو بكل صراحة (ولكن وهي تنظر إلى سيمور) إنَّ القصّة «بارعة أكثر مما ينبغي»، وهزَّ س. رأسه ونظر إليّ بإشراق وقال إنَّ البراعة هي مشكلتي الدائمة، هي نقطة ضعفي، وأنَّ ما يدلّ على قلّة الذوق لفت انتباه المجموعة إليها. وأقول لك يا زوي، من رجلٍ مُعاق إلى آخر، دعنا نتعامل بعضنا مع بعض بكياسة ولطف.

مع كل حبي ب.

كانت الصفحة الأخيرة، والسفلى، من الرسالة التي يعود عهد إرسالها إلى أربعة أعوام مُبقّعة بلون يشبه لون الجلد القُرطبيّ، ومُمزَّقة في موقعَين على طول الجزء المطويّ. انتهى زوي من القراءة، وأعاد وضع الرسالة بإهمال بدءاً بالصفحة الأولى. وربت على الصفحات لكي يجعلها في حالة متناسقة على رُكبتيه الجافتين. وتجهَّمَ. ومن ثم قام، بحركة متلصّصة بحشرها كأنها سيف إكسليسيور داخل مُغلّفها، وكأنّه قرأ الرسالة للمرة الأخيرة في حياته. وضع المُغلّف السميك على حافة مغطس الاستحمام وبدأ يعبث به. أخذ يربت بإحدى أصابعه على المُغلَّف الممتلئ إلى الأمام وإلى الخلف على طول حافة المغطس، ليرى، كما بدا، إنْ كان يستطيع أنْ يجعله في حالة حركة من دون أنْ يتسبّب في سقوطه إلى مياه المغطس. وبعد مضيّ خمس دقائق كاملة من هذا العبث، سدَّد إلى المغلَّف ربتة خاطئة واضطرّ إلى الإسراع بتلقّفه. وانتهى العبث. أبقى المُغلَّف المُستعاد في يده، وانخفض أكثر في جلسته، وأعمق داخل المياه، تاركاً رُكبتيه تغوصان. أخذ يُحدِّق بإبهام بعض الوقت إلى الجدار المكسو بحجارة الآجر الذي يقع بعد حافّة المغطس، ثم ألقى نظرة سريعة إلى سيجارته الموضوعة على كوة قطعة الصابون، ورفعها، واستنشق منها الدخان مرّتين على سبيل الاختبار،

لكنّها كانت قد انطفأتْ. اعتدل في جلسته من جديد، بسرعة كبيرة، مُحدِثاً ضجيجاً صاخباً بالماء، وأخرج يده اليُسرى عبر حافة المغطس. كان المخطوط المضروب على الآلة الكاتبة موضوعاً، ووجهه إلى أعلى، على ممسحة الحمّام. فرفعه ووضعه على الحافة. وتفحّصه برهة، ثم أقحم رسالته التي عمرها أربع سنوات وسط صفحاته، حيث أسلاك المخطوط أكثر تماسكاً. ثم دعم المخطوط برُكبتيه اللتين أصبحتا الآن مُبلّلتين، فوق مستوى الماء بمقدار بوصة أو نحوها، وبدأ يُقلّب الصفحات. عندما وصل إلى الصفحة رقم 9، قام بطيّ المخطوط، كما يطوي مجلّة، وباشر بالقراءة أو بالدراسة. مكتبة سُر مَن قرأ

دور شخصية «ريك» وُضِعَ تحته خط سميك بالقلم الرصاص الخفيف اللون.

تينا (بكآبة): أوه، حبيبي، حبيبي، حبيبي. أنا لا أصلح لك، أليس كذلك؟

ريك: لا تقولي هذا. إياك أنْ تقولي هذا، أتسمعين؟

تينا: لكنَّ ما أقول صحيح. أنا جالبة للنحس. أنا جالبة للنحس فظيعة. فلولاي لكان سكوت كينْكيد عيَّنكَ في مكتب بوينس أيريس منذ زمن بعيد. لقد أفسدتُ هذا كلّه. (*تقترب من النافذة*) إنني واحدة من الذين يُفسدون الأمور، وأشعر كأنّي أمثّل في مسرحيّة راقية جداً. والغريب في الأمر هو أنني لستُ راقية. أنا نكرة. لستُ أكثر من نفسي. (*تستدير*) أوه، ريك، ريك. أنا خائفة. ماذا ألمَّ بنا. لم أعد أشعر *بوجودنا*. أحاول أنْ أتواصَل وأحاول ولا أنجح. أنا فزعة. أنا طفلة فزعة. (*تطلّ من النافذة*). كم أكره هذا المطر. أحياناً أتخيّل أنني ميّتة في المطر. **ريك** (بهدوء): حبيبتي، أليس هذا الكلام مُقتبَساً من رواية «*وداعاً للسلاح*»؟ **تينا** (*تستدير بحنق*): اخرج من هنا. اخرج! اخرج من هنا قبل أنْ أقفز من هذه النافذة. أتسمعني؟

ريك (ممسكاً بها بقوة): والآن جاء دورك لتُصغي إليّ، أيتها الحمقاء الصغيرة الجميلة. أيتّها المحبوبة، السخيفة، التي تحبين الاستعراض –

قاطع قراءة زوي فجأة صوتُ أمّه -الملحِف، وشبه الاستنتاجيّ- مُخاطبة إيّاه من خارج باب الحمّام «زوي! أما زلتَ في المغطس؟»

«نعم، ما زلتُ في المغطس. لماذا؟»

«أريد أنْ أدخل برهة قصيرة. لديّ شيء أُقدّمه لك»

«أمي، أنا في المغطس، إكراماً لله»

« ***دقيقة واحدة*** فقط، حبّاً بالله. أسدل ستارة الحمّام». ألقى زوي نظرة وداع على الصفحة التي كان يقرأها، ثم أغلقَ المخطوط وأسقطه خارج المغطس. قال «يا يسوع المسيح القادر»

«أحياناً أتخيّل نفسي ميتة في المطر». رُفِعَ طرف ستارة الدش النايلون، ذات اللون القرمزي، والمكسوة بأشكال صفراء اللون حادّة، مستوية، ومفاتيح موسيقيّة، عند نهاية المغطس، المُثبّتة بحلقات من البلاستيك إلى عمود من الكروم فوق الرأس. مدَّ زوي يده نحو الستارة، وهو جالس منحنياً نحو الأمام ومدّها بحركة سريعة على طول المغطس، حاجباً نفسه عن الرؤية. قال «حسن، يا إلهي. ادخلي إنْ كنتِ تريدين أنْ تدخلي». لم يكن صوته يتّسِم بوضوح بأسلوب الممثل، بل كان مرتعشاً بشدّة؛ عندما لا يرغب في التحكّم في صوته كان «يستمرّ» بعناد. وقبل ذلك بسنين عديدة، عندما كان يشترك في برنامج «إنّه طفل حكيم» كان يُنصَح باستمرار أنْ يبقى على مسافة معيَّنة من المايكروفون.

فُتِحَ الباب ودخلت السيدة غلاس الممتلئة والمتوسطة الحجم باستحياء إلى الحمّام، مُلملمة شَعرها بشبكة. عمرها، تحت أي ظرف، مُبهم بالكامل، وخاصة عندما تضع شبكة لملمة الشَعر. كان دخولها إلى الغرف دائماً لفظيّاً بقدر ما هو جسديّ. «لا أفهم كيف تستطيع أنْ تجلس في المغطس كل هذا الوقت»، ثم أغلقت الباب خلفها في الحال، كأنها تخوض حرباً طويلة الأمد بالنيابة عن أولادها لكي لا يتم سحبهم إلى الجيش بعد الاستحمام. قالت «حتى هذا ليس أمراً صحيّاً»

«أتعلم كم مرّ عليك من وقت وأنتَ في ذلك المغطس؟ بالضبط خمس وأربعون -»

«لا تُخبريني! فقط لا تخبريني، يا بيسي»، «ماذا تعني بألا أخبرك؟»، «كما قلت لكِ بالضبط. اتركي لي الوهم اللعين بأنك لم تكوني هناك في الخارج تُحصين الدقائق التي-»

قالت السيدة غلاس «لا أحد كان يُحصي أيّة دقائق، أيّها الشاب». وانهمكتْ في العمل. كانت قد أحضرَتْ إلى الحمّام لفافة صغيرة، مستطيلة الشكل، ملفوفة بورقة بيضاء ومربوطة بشريط ذهبيّ، كأنها تضم غرضاً حجمه يقترب من حجم حجر ألماس ثمين أو قطعة غيار. وعندما رفضَت العقدة أنْ تنفكّ، استعانت بأسنانها. كانت ترتدي رداء المنزل العادي - الذي أطلق عليه ابنها بَدي (الذي كان كاتباً، وبالتالي، وكما قال لنا كافكا، ولا أقلّ، *إنّه ليس شخصاً لطيفاً*) اسم زيّها الذي يُنذر بالموت. كان يتألّف في مُعظمه من زي كيمونو ياباني وقور بلون أزرق قاتم، وكانت ترتديه على الدوام تقريباً في جميع أرجاء الشقّة طوال النهار، وكان بكل طيّاته العديدة البدائيّة الشكل بمنزلة مستودع لمُعدّات مُدمن على التدخين وعامل متنوّع الأعمال؛ يتألّف من جيبين واسعين أُضيفا عند الوركين، وكانا في المعتاد يحتويان على علبتين أو ثلاث من السجائر، وعددٍ من علب الكبريت، ومفك براغٍ، ومطرقة طرفها على شكل مخلب، وسكين جيب للكشّاف تخصّ أحد أبنائها، ومقبض حنفيّة أو اثنين مطليين بالمينا، بالإضافة إلى تشكيلة من براغ، والمسامير، والمفصلات، وحاملات الكريات - كل هذه الأشياء كانت تجعل السيدة غلاس تُصدر رنيناً ضعيفاً وهي تتنقّل في أرجاء شقّتها الواسعة. وطوال عشرة أعوام أو أكثر، غالباً ما تآمرت بناتها، ولكن بلا نجاح، لرمي ثوب الكيمونو العتيق. (كانت ابنتها المتزوجة، بوو بوو، قد صرّحتْ بأنّه ربما ينبغي إطلاق رصاصة الرحمة عليه بأداة ثلمة قبل أنْ يُرمى في سلّة النفايات). وعلى الرغم من الطابع الشرقي للزخرفة التي قُصِدَ أنْ يبدو على ورق التغليف، فإنّ ذلك لم يُقلّل مقدار ذرّة من الانطباع القوي، الوحيد، الذي تركته السيدة غلاس، *chez elle* (في منزلها)، لدى نوع خاص من المُراقبين. كان آل غلاس يعيشون في شقّة منزل عتيق لكنّه كان، من ناحية التصنيف، حديث الطراز في منتصف عقد السبعينيات، حيث كان ربما ثُلثا النساء المُقيمات البالغات يمتلكن معاطف من الفرو، وعندما يُغادرن المبنى

في صباح يوم عطلة أسبوعيّة مُشرق، كان يمكن أنْ يُشاهدنَ، بعد ذلك بنصف ساعة أو نحوها، يستقلن أو يخرجن من أحد مصاعد محلات لورد أند تيلز أو محلات ساكس أو محلات برونْويت تيلر. وفي هذا الموقع ذي طابع حي مانهاتن بكل وضوح، كانت السيدة غلاس (من وجهة نظر امرأة صخّابة لا ريب فيها) شيئاً قبيحاً بصورة منعشة. أولاً، بدتْ كأنها لم تغادر المبنى في المُطلَق، ولكن إنْ كانت قد فعلتْ حقاً، فذلك وهي تُحيط نفسها بوشاح قاتم اللون وتتوجه في العموم صوب شارع أوكونل، لكي تُطالب بجثمان أحد أبنائها أنصاف الأيرلنديين، أنصاف اليهود، الذي أُرديَ قتيلاً بسبب خطأ كهنوتيّ بأيدي رجال قوات بلاك أند تانز.

ارتفعت نبرة صوت زوي فجأة وبصورة مُريبة: «*أمي*؟ ماذا تفعلين هناك بحقّ المسيح؟»

كانت السيدة غلاس قد أزالتْ ورقة تغليف اللفافة ووقفتْ تقرأ ما كُتِبَ بخطٍ رفيع على خلفيّة علبة كرتون معجون الأسنان. قالت، بشرود، «فمك جميل»، وتقدّمت من صيدليّة الحمّام. كانت مُثبَّتة على الجدار فوق المغسلة. فتحت بابها المُثبّتة عليه مرآة واستعرضتْ ما على الأرفف المزدحمة بعين بستانيّ مُخلص مختص بصيدليّة الأدوية، أو عين خبير مُدقِّق. وجدتْ أمامها، إنْ صحّ التعبير، حشداً من المستحضرات الصيدلانيّة الذهبيّة، ضمن صفوف أنيقة، بالإضافة إلى بضع مواد أقلّ طبيعيّة تقنيّاً. كانت الأرفف تحمل اليود، والميكروكروم، وكبسولات الفيتامينات، وخيط تنظيف بين الأسنان، وأقراص الأسبرين، ومُسكنات الآلام، ومُطهِّراً للبلغم، ومرهماً مُخفِّفاً للآلام، ومُسهلات، وملحاً مُليِّناً، ولباناً مُخففاً للآلام، وموسَي جيليت للحلاقة، وموسى حلاقة ماركة شيك إنجكتر، وأنبوبتي معجون حلاقة، وصورة فوتوغرافيّة منحنية وممزّقة قليلاً تبين قطة بدينة بالأبيض والأسود نائمة على درابزين شرفة أماميّة، وثلاثة أمشاط، وفرشاتين لتسريح الشعر، وزجاجة مرهم لتصفيف الشعر، وزجاجة سائل لمكافحة قشرة الرأس، وعلبة صغيرة بلا علامة من تحميلات الغليسيرين، وقطرات فيكس لمكافحة الرشح، ومرهم فيكس فابوراب، وست قطع من صابون زيت الزيتون، وأرومـات ست بطاقات مسرح لحضور عرض مسرحي

موسيقيّ هزليّ إنتاج عام 1946 (عنوانه «خاطبني بـ«يا سيد»»)، وأنبوباً من كريم مزيل للشعر، وعلبة من مناديل الورق، وصدفتَي بحر، وتشكيلة من قطع ورق الزجاج تبدو مُستعملة، وبرطمانين من كريم التنظيف، وثلاثة مقصّات، ومبرداً لتشذيب الأظافر، وكلّة زرقاء لامعة (المشهورة عند لاعبي الكلّة، على الأقل في حقبة العشرينيات، باسم «نقيّة»)، وكريماً من أجل تقليص المسام المُتّسعة، وملقاطاً صغيراً، وهيكلاً بلا طوق لساعة يد من الذهب لفتاة أو امرأة، وعلبة تحتوي بيكاربونات الصوديوم، وخاتم تخرّج خاصاً بمدرسة حكوميّة للفتيات مزوّداً بحجر من العقيق المُشذّب، وزجاجة لمستحضر تجميل -وأكثر من هذا بكثير، يمكن تصوره أو لا يمكن. رفعت السيدة غلاس يدها برشاقة وأنزلتْ غرضاً عن الرف السفلي وأسقطته، بضجيج قصير مكبوت، في سلة النفايات. وأعلنتْ من دون أنْ تلتفتْ، «سوف أضع هنا بعضاً من معجون تنظيف الأسنان الجديد الذي يتحدث عنه الجميع بحماس من أجل استعمالك»، ونفّذتْ ما قالت. «أريد منك أنْ تتوقّف عن استعمال تلك البودرة الرديئة، لأنها سوف تبلي طبقة المينا الجيدة عن أسنانك. أنتَ *لديك* أسنان جميلة. وأقلّ ما في استطاعتك أنْ تفعل هو أنْ تتخذ-»

صدر ضجيج مياه المغطس من خلف ستارة الدوش. «مَنْ قال هذا؟ مَنْ قال إنها ستتسبّب بإزالة كل طبقة المينا عن أسناني؟»

ألقتِ السيدة غلاس نظرة منتقدة ختاميّة على حديقتها. «أنا قلتُ هذا»، ولكزتْ زجاجة الأملاح غير المفتوحة قليلاً بوساطة أصابعها الممدودة لكي تجعلها منتظمة ومتساوية مع الأغراض الدائمة الأخرى، ثم أغلقَتْ باب خزانة الصيدليّة، وفتحت صنبور المياه الباردة، وقالت بتجهّم «أودّ أنْ أعرف مَنْ الذي غسل يديه ولم يُنظّف الحوض بعد الانتهاء. من المفترَض أنَّ هذه عائلة تتألّف من أفراد ناضجين». وقامت بتنظيف حوض المغسلة قليلاً ولكن بشكلٍ كامل بيد واحدة. قالت «أعتقد أنك لم تتحدث بعد مع أختك الصغيرة»، ثم التفتت نحو ستارة الدش.

«كلا، لم أتكلّم مع أختي الصغرى بعد. ما رأيك في أنْ تخرجي من هنا الآن؟»

سألته السيدة غلاس «لِمَ لم تفعل؟ لا أعتقد أنَّ هذا أمر جيد، يا زوي. لا أعتقد أنَّ هذا أمر جيد *على الإطلاق*. أرجوك على وجه الخصوص أنْ تذهب وترى إنْ كان هناك أي شيء-»

«أولاً، يا بيسي، لم يمر على استيقاظي أكثر من ساعة. وثانياً، في الليلة الفائتة تحدثتُ معها على مدى ساعتين كاملتين، وبصراحة لا أعتقد أنها ترغب في التحدث مع أي منا اليوم. وثالثاً، إذا لم تخرجي من هذا الحمّام فسوف أضرم النار في هذه الستارة القبيحة اللعينة. أنا جادّ فيما أقول، يا بيسي». وسط هذه النقاط التوضيحيّة الثلاث، توقفت السيدة غلاس عن الإصغاء وجلستْ. قالتْ «أحياناً أكاد أرغب في قتل بَدي لأنه ليس لديه جهاز هاتف. ليس هذا ضروريّاً أبداً. كيف يمكن لرجل كامل النضج أنْ *يعيش* هكذا - بلا *هاتف*، بلا أي شيء؟ لا أحد يرغب في اقتحام خصوصيته، إنْ كان هذا *ما يُريد*، لكنني حتماً لا أعتقد أنَّه من الضروري أنْ يعيش حياة *ناسك*»، وتململت بعصبيّة، ووضعت ساقاً فوق ساق. «إنّه حتى ليس أمراً آمناً، وحقّ الله! ماذا لو كسر ساقه أو ما شابه، وهو في أعماق الغابة هكذا. إنني قلقة حول هذا طوال الوقت»

«أتقلقين، حقاً؟ تقلقين حول ماذا؟ حول كسر ساقه أم حول عدم حيازته جهاز هاتف كما تريدين له؟»

«إنني قلقة بشأنْ الأمرين، أيّها الشاب، لمعلوماتك»

«حسن... لا تقلقي. لا تُبدّدي وقتك. أنتِ شديدة الحمق، يا بيسي. لِمَ أنتِ بهذا الحمق؟ أنتِ تعرفين بدي، بحق الله. حتى لو كان على مسافة عشرين ميلاً داخل الغابة، وكانت ساقاه مكسورتين وثمة سهم يبرز من ظهره، فسوف يزحف عائداً إلى كهفه فقط لكي يتيقّن من أنَّ لا أحد تسلل إلى الداخل وجرّب انتعال الحذاء الواقي في أثناء غيابه. صدر من خلف الستارة صوت قهقهة قصيرة، ظريفة، لكنها خشنة. «صدّقيني، إنّه يقلق كثيراً بشأن خصوصيته بحيث لا يمكن أنْ يموت في أيّة غابة»

قالت السيدة غلاس «لا أحد أتى على ذِكر *الاحتضار*». قامت بحركة لا لزوم لها لتعديل وضع شبكة شَعرها. «إنني *طوال* الفترة الصباحيّة أحاول أنْ

أتصل بالأشخاص القاطنين على طول الشارع هاتفياً. لكنهم لا يُجيبون. إنَّ عدم القدرة على الاتّصال به يُثير الغضب. كم من مرّة *توسّلتُ* إليه كي ينزع جهاز الهاتف الذي في الغرفة القديمة التي كان يقيم فيها هو وسيمور. إنه أمر غير طبيعيّ. ماذا لو طرأ طارئ واحتاجا إلى جهاز هاتف -شيء يُثير الحنق. قمتُ بالمحاولة مرّتين ليلة أمس، وحوالي أربع مرات في هذا-»

«ما سبب كل ذلك «الحنق»؟ أولاً، لِمَ يكون بعض الغرباء الذين يسكنون في الشارع نفسه رهن إشارتنا؟»

«أنا لا أقول إنَّ أحداً رهن إشارتنا، ويا زوي. فقط لا تكن جلفاً، أرجوك. ولمعلوماتك، أنا *شديدة* القلق على ذلك الطفل، وأيضاً، أعتقد أنَّ على بَدي أنْ يطّلع على الأمر كله. ولمعلوماتك فقط، لا أعتقد أنّه سوف يُسامحني إذا لم أتّصل به في وقت كهذا»

«حسنٌ إذن! لِمَ لا تتصلين بالجامعة، بدل إزعاج جيرانه؟ على أيّة حال لن يكون موجوداً في كهفه في مثل هذا الوقت من النهار - أنتِ تعلمين هذا»

«فقط تلطّف وأخفض صوتك، من فضلك، أيّها الشاب. لا أحد مُصاب بالصمم. ولمعلوماتك، اتّصلتُ بالجامعة. لقد تعلّمتُ من التجربة أنَّ هذا لا يفيد البتّة. إنهم يكتفون بترك رسائل على طاولة مكتبه، وعلى أيّة حال لا أعتقد أنّه يقترب من غرفة مكتبه». وبسرعة مالت السيدة غلاس بثقلها نحو الأمام، من دون أنْ تنهض، ومدَّتْ يدها والتقطتْ شيئاً عن قمة ركام الغسيل. سألته «هل لديك خرقة للتنظيف هناك؟»

«الكلمة الصحيحة هي «ممسحة» وليس «خرقة»، وكل ما أريد، يا بيسي، هو أنْ أُترَك وشأني في هذا الحمّام. هذه هي رغبتي البسيطة. ولو كنتُ أرغب في أنْ يمتلئ هذا المكان بكل زهرة أيرلنديّة بدينة عابرة، لطلبتُ هذا. والآن، هيا، اخرجي»

قالت السيدة غلاس بنزق «زوي، إنني أحمل خرقة نظيفة *بيدي*. أتريدها أم لا؟ فقط قُلْ نعم أو لا، من فضلك»

« أوه، يا إلهي! نعم، نعم، *نعم*. أريدها أكثر من أي شيء في العالم. ارميها إليّ»

«لن *أرميها* إليك، بل سأسلّمك إياها. في هذه العائلة الجميع يرمون الأشياء». نهضَت السيدة غلاس واقفة، واقتربت من ستارة الدش بمقدار ثلاث خطوات، وانتظرت ظهور اليد المُطالبة بالممسحة.

«شكراً جزيلاً. والآن غادري المكان، من فضلك. لقد فقدتُ منذ الآن مقدار عشرة أرطال»

«لا عجب في ذلك! إنك تجلس في ذلك المغطس إلى أنْ يزرقّ لون وجهك، ثم - ما *هذا*؟»، تنحني السيدة غلاس باهتمام شديد وترفع المخطوط الذي كان زوي يقرأه قبل أنْ تدخل الحمّام. سألته «أهذا هو المخطوط الجديد الذي أرسله السيد لوساج؟ الذي على *الأرض*؟». لم تحصل على جواب منه. وكأنَّ حوّاء سألتْ قابيل إنْ كان ما يستقر تحت المطر هو المعزقة الجديدة الجميلة. «يجب أنْ أعترف بأنَّ هذا مكان رائع تضع فيه مخطوطاً»، ونقلت المخطوط إلى النافذة ووضعته بعناية على المشعاع. ونظرتْ إليه، كأنها تتبين مقدار بلله. كانت ستارة النافذة مُسدلة -كان زوي قد قام بالقراءة وهو في المغطس على ضوء ثلاثة مصابيح مُثبّتة فوقه- لكنَّ شُقّة من نور الصباح تسلّلتْ من تحت الستارة واستقرّتْ على صفحة عنوان المخطوط. أمالت السيدة غلاس رأسها على أحد الجانبين، لكي تتمكّن من قراءة العنوان بصورة أفضل، وفي الوقت نفسه أخرجتْ من جيب ثوب الكيمونو علبة سجائر من الحجم الكبير. قرأتْ بتأمُّل، وبصوت مرتفع، «القلب جوّال في الخريف». عنوان غريب». وصلتها الإجابة من خلف الستارة متأخّرة قليلاً لكنّها مبتهجة «ماذا قلتِ؟ ماذا قلتِ عن العنوان؟»

كان حَذَر السيدة غلاس قد ازداد، وعادت إلى الجلوس من جديد، وفي يدها سيجارة مشتعلة. «قلتُ، إنه عنوان غريب. لم أقُل إنه جميل أو أي شيء، لذلك-»

«آه، يا الله. يجب أنْ تستيقظي باكراً جداً في الصباح لكي تحصلي على أي شيء راقٍ، أيتها الفتاة بيسي. أتعلمين ما هو قلبك، يا بيسي؟ أتريدين أنْ تعرفي ما هو قلبك؟ إنَّ *قلبك*، يا بيسي، هو مرأب خريفيّ. ما رأيك بهذا العنوان الجذّاب، هه؟ يا إلهي، إنَّ العديد من الأشخاص -العديد

من الأشخاص ***الجهلة*** - يعتقدون أنَّ سيمور وبدي هما الكاتبان اللعينان الوحيدان في العائلة. وعندما ***أفكر***، عندما أجلس قليلاً وأفكّر في النثر الحسّاس، وبالمرائب، أنسى كل يوم من أيام-»

قالت السيدة غلاس «حسن، حسن، أيّها الشاب». مهما كان نوع ذائقتها فيما يتعلّق بعناوين المسلسلات التلفزيزنيّة، أو مفهومها عن الجمال في العموم، فإنَّ وَمضاً لمع في عينيها -ليس أكثر من ومض، لكنّه ومض- يدلّ على استمتاع شبه خبير في التنمُّر، وإنْ كان منحرفاً، بأسلوب ابنها الأصغر سنّاً، والمنفرد بوسامته. ولجزءٍ من الثانية، كشف الومض عن مظهر الإرهاق العام، وأيضاً، بوضوح، عن قلق معيَّن، تبدّى على وجهها منذ أنْ ولجَت الحمّام. لكنّها عادتْ في الحال تقريباً إلى وضعيّة الدفاع عن النفس: «ما خطب العنوان؟ إنّه ***فعلاً*** شديد الغرابة. وأنت! لم يحدث مرَّة أنني سمعتك تقول عن أي شيء أنّه غريب أو جميل-»

«***ماذا؟ مَن*** الذي لم يسمع؟ ما الذي بالضبط لم أر أنّه جميل؟». صدر ضجيج خفيف لمياه تتحرك في العمق من خلف ستارة الدش، وكأنَّ دولفيناً جانحاً بدأ يعبث فجأة. «اسمعي، لا يهمني ما تقولين عن عرقي، أو عقيدتي، أو ديانتي، قولي إنني بدين، ولكن لا تقولي إنني لستُ حسّاساً تجاه الجمال. إنَّها نقطة ضعفي، فلا تنسي هذا. بالنسبة إليّ، كل شيء جميل. أريني أشعة شمس زهريّة اللون وسوف أنهار، وحقّ الله. أريني أيّ شيء. «بيتر بان». حتى قبل أنْ تُرفع الستارة عن عرض «بيتر بان» أبدأ بذرف الدموع السخيّة. وأنت تتكلمين بوقاحة وتحاولين أنْ تقولي إنني-»

قالت السيدة غلاس، بشرود، «أوه، اخرس»، وأطلقتْ تنهيداً عميقاً. ثم استنشقت نفساً عميقاً من سيجارتها، وعلى وجهها تعبير متجهّم، ثم نفثت الدخان من منخريها، وقالت -أو بالأحرى، انفجرت قائلة- «أوه، ليتني عرفتُ كيف يجب أنْ أتعامل مع ذلك الطفل!» وأخذتْ نَفَساً عميقاً. «لقد نفد صبري». وألقت على ستارة الدش نظرة ثاقبة. «لا يُرجى من أي منكم أيّة فائدة. لا أحد منكم! بل إنّ والدكم لا يحبّ حتى أنْ ***يتحدث*** حول أي شيء بهذا الشأن. أنت تعلم هذا! هو أيضاً شديد القلق، طبعاً -أنا أعرف تلك النظرة التي ترتسم على وجهه- لكنّه ببساطة لن يواجه أي شيء». زمّت

السيدة غلاس شفتيها. وحسب معرفتي به لم يحدث قط أنْ واجه أيّ شيء. إنّه يعتقد أنّه إذا أدار مفتاح الراديو وترك أحد المطربين البلهاء يغني، فإنَّ أي شيء غريب أو *كريه* سوف يتلاشى ببساطة»

انطلق هدير ضحك مرتفع من زوي المُستتر. كان هناك شيء مختلف، لكنَّه لم يكن ظاهراً من قهقهته.

أصرّت السيدة غلاس، من دون أي حس فكه «كان يعتقد ذلك فعلاً!»، ومالت نحو الأمام وهي جالسة. سألته «أتريد أنْ تعرف ماذا أعتقد؟ *أتريد*؟»

«بيسي، إكراماً لله. سوف تُخبرينني في كل الأحوال، فما الفرق إذا-»

«أعتقد بكل صدق -أنا *جادّة* فيما أقول، الآن- أعتقد *بكل صدق* أنّه يتمنى دائماً أنْ يسمعكم أيها الأولاد كلكم في الراديو من جديد. أنا جادّة الآن». أخذتْ بيسي نَفَساً عميقاً آخر. «وكلما فتح والدك جهاز الراديو، أعتقدُ بكل صدق أنّه يتوقع أنْ يستمع إلى برنامج «الطفل الحكيم» ويُصغي إليكم أيها الأولاد كلكم، *واحداً إثر آخر*، وأنتم تُجيبون عن الأسئلة من جديد». زمّتْ شفتيها وسكتت برهة، بلا وعي، من أجل إظهار تشديد إضافيّ. ثم قالت «كلّكم بلا مبالغة»، ومن ثم قامت بسرعة بالاعتدال قليلاً في جلستها، «بمَنْ فيهم سيمور ووالت»، ثم استنشقت دفعة رشيقة لكنّها غزيرة من دخان سيجارتها. «إنّه يعيش منغمساً في الماضي. بالكامل. ويكاد لا يشاهد التلفزيون، إلّا إذا *ظهرتم* فيه. ولا تضحك، يا زوي. الأمر ليس مُضحكاً»

«مَن الذي يضحك، بحقّ الله؟»

«حسن، إنَّ ما أقوله صحيح! ليس لديه أيّ تصوّر عن وجود أي خطب حقيقيَ بفراني. لا شيء! وبعد انتهاء نشرة أخبار الساعة الحادية عشرة ليلة أمس، عمَّ في اعتقادك سألني؟ سألني إنْ كنتُ أعتقد أنَّ فراني تحب اليوسفي! إنّ الطفلة تستلقي مدة طويلة وتبكي بحُرقة إذا أذيتها بكلمة، وتُتمتم بكلام *مُبهم* مع نفسها، ووالدك يتساءل إنْ كانت تحبّ اليوسفي. وأكاد أشعر برغبة في قتله»، واندفعت السيدة غلاس تقول، «في المرة التالية-»، وحدّقتْ بغضب إلى ستارة الدش. سألتْ «ما الذي يُضحكك؟»

«لا شيء، لا شيء، لا شيء. أنا أحبّ اليوسفي. حسن، مَنْ

أيضاً لم يفدكِ بأي شيء؟ أنا. لِس. بدي. مَنْ أيضاً؟ أفضي إليّ بما في قلبك، يا بيسي. لا تكوني كتومة. هذه هي مشكلة هذه العائلة - إننا نكتم الكلام مطوّلاً داخلنا»

قالت السيدة غلاس «أوه، أنت مُضحك كعكّاز، أيها الشاب». استغرق منها بعض الوقت لإبعاد كتلة ضالة من الشعر من تحت شبكة الشعر المطاطيّة. «أوه، ليت في استطاعتي أنْ أدفع بدي إلى رفع سمّاعة الهاتف بضع دقائق. إنّه الوحيد القادر على معرفة كل شيء عن هذا الأمر الغريب» وأخذتْ تفكّر، بحقد ظاهر. «إنها لا تُمطِر، بل تنهمر سيولاً»، ونفضَتْ رماد سيجارتها داخل تجويف يدها اليُسرى. « بوو بوو لن تعود قبل *العاشر* من الشهر. وأخشى أنْ أحكي لويكر عن الأمر، حتى إنْ استطعتُ أنْ *ألتقي* به. لم أعرف عائلة كهذه العائلة طوال حياتي. أنا جادّة فيما أقول. من المُفترض بكم جميعاً أنْ تكونوا *أذكياء* وما إلى ذلك، كلكم، ليس بينكم من هو ذو فائدة عندما أحتاج إليه. ولا واحد. لقد سئمتُ-»

«عمَّ تتحدثين، بحق الله؟ عن أيّة حاجة تتكلّمين؟ ماذا تنتظرين منا، يا بيسي؟ أنْ نذهب إلى هناك ونعيش حياة فراني بالنيابة عنها؟»

«اسكت الآن! لا أحد يتكلّم عن عيش حياتها بالنيابة عنها. أنا ببساطة أودّ لو أن يدخل أحد إلى غرفة الجلوس تلك ويعرف ما الذي يجري -هذا ما أريده. أريد فقط أنْ أعرف متى تنوي تلك الفتاة أنْ تعود إلى الجامعة وتنهي دراستها. وأريد أنْ أعرف متى تنوي أنْ تأكل شيئاً مُغذياً قليلاً. إنها لم تأكل أي شيء بالمعنى الحرفي للكلمة منذ عودتها إلى المنزل مساء يوم السبت- لكنّها لم تأكل أي شيء، وقد حاولتُ معها -قبل نصف ساعة لا أكثر- لجعلها تتناول بعضاً من حساء الدجاج. وتناولتْ بالضبط مقدار ملعقتين منه، لا أكثر. وقد تقيّأتْ بالأمس كل ما أجبرتها على أكله، بالمعنى الحرفيّ». سكتَ صوت السيدة غلاس فترة طويلة كافية لإعادة شحنه. «قالتْ إنها قد ترغب لاحقاً في أكل شطيرة من الجبن. ما قصة *شطيرة الجبن* تلك؟ كما فهمتُ، كانت تعيش على أكل شطائر الجبن وشرب الكوكاكولا طوال فترة الفصل الدراسيّ حتى الآن. أهذا ما يُطعمون فتاة شابة في الجامعة هذه الأيام؟ أنا أعرف *شيئاً واحداً*. لن أقوم بتغذية فتاة مُرهقة كهذه بطعام ليس حتى-»

«هذه هي الروح العالية! إمّا حساء الدجاج أو لا شيء. هذا ما يُسمّى بالتصميم. إذا صمّمتْ على الإصابة بانهيار عصبيّ، فأقلّ ما في وسعنا فعله هو ألّا نتركها تتناوله بسلام»

«فقط لا تكن *جلفاً*، أيّها الشابّ – أوه، كم أنتَ ثرثار! لمعلوماتك، لا أستبعد أن تكون لنوعية الطعام الذي تأكله تلك الطفلة صِلة إلى أقصى مدى بهذا الأمر الغريب بأكمله. حتى وأنتَ *طفل* كنتَ تُضطر إلى إجبار تلك *الطفلة* حتى على لمس السَلَطة أو أي من أصناف الطعام *المفيدة* لها. لا يمكن للمرء أنْ يستمر في الإساءة إلى جسمه إلى الأبد، عاماً بعد عام – بغضّ النظر عمّا تعتقد»

«أنتِ على صواب تامّ. أنتِ على صواب تامّ. مُذهلة الطريقة التي تقفزين بها إلى لبّ المسألة. إنني أشعر بقشعريرة شاملة... يا الله، أنت تُلهمينني، تُلهبينني، يا بيسي. أتعلمين ماذا فعلتِ؟ أتدركين ماذا فعلتِ؟ لقد أضفيت على هذه المسألة اللعينة انحرافاً *توراتياً* جديداً ونضراً. لقد وضعتُ أربع أطروحات حول صلب المسيح –في الحقيقة، هي خمس– وكل واحدة منها أثارت قلقي حتى الجنون لأنني ظننتُ أنَّ هناك شيئاً مفقوداً، والآن عرفتُ ما هو. الآن اتّضحَ لي. إنني أنظر إلى المسيح من *زاوية مختلفة تماماً*. إنّه تعصّبه المَرَضيّ، معاملته الفظّة مع أولئك الفريسين اللبقين، العاقلين، المُحافظين الذين يُسددون ما عليهم من ضرائب. أوه، هذا شيِّق! لقد عثرتِ على النغمة المفقودة في كامل العهد الجديد، يا بيسي، بأسلوبكِ الصريح والمتعصِّب. إنها *الحِمية غير المناسِبة*. لقد عاش المسيح على أكل شطيرة الجبن وشرب الكوكاكولا. وحسب معلوماتنا، لعلّه كان يتغذّى على الحليب المملّت–»

انفجرت السيدة غلاس قائلة، بصوتها الهادئ ولكن الخطر، «*كفى، الآن*. أوه كم أودّ أنْ أُكمّم فمك هذا!»

«أوه، يا إلهي. إنني فقط أحاول أنْ أُجري حديثاً مُهذّباً في الحمّام»

«أنت مُضحك جداً. أوه، كم أنت مُضحك! لقد *تصادف*، أيّها الشاب، أنني لا أنظر إلى أختك الصغرى بالطريقة نفسها التي أنظر بها إلى الرب. قد أكون غريبة الأطوار، ولكن هذا هو واقع الأمر. إنني لا أرى أي وجه

للمقارنة بين الرب وفتاة جامعيّة صغيرة، أرهقها بالعمل، ومُنهكة، تبالغ في قراءة الكتب الدينيّة وما شابهها! أنت حتماً تعرف أختك الصغرى بقدر معرفتي بها - أو ينبغي أنْ أعرفها. إنها تترك انطباعاً قوياً جداً ولطالما كانت كذلك، وأنت تعلم هذا جيداً!».

ران صمت غريب على الحمّام برهة من الوقت.

«أمي؟ أما زلت تجلسين هناك؟ لديّ انطباع مزعج بأنك تجلسين هناك وتدخنين خمس سجائر دفعة واحدة. هل هذا صحيح؟». انتظرَ. لكنَّ السيدة غلاس لم تُقرّر إعطاء جواب. «لا أريد منك أنْ تجلسي هناك، يا بيسي. أريد أنْ أخرج من هذا المغطس اللعين... بيسي؟ أتسمعينني؟»

قالت السيدة غلاس، «أسمعكَ، أسمعكَ». كانت قد اجتاحت وجهها موجة جديدة من القلق. جعلت ظهرها مُستقيماً بحركة متململة. قالت «لقد نامت مع ذلك المجنون بلومبيرغ على الأريكة، وهذا ليس تصرّفاً *صحياً*»، وزفرتْ تنهيداً. ظلّتْ تحمل رماد سيجارتها في تجويف يدها. ثم مدّت يدها، من دون أنْ تنهض، وأفرغت الرماد داخل سلّة المهملات. أعلنتْ «لا أعلم ماذا يُفتَرَض بي أنْ أفعل. ببساطة، لا أعلم، وهذا كل شيء. المنزل في حالة اضطراب تام. وعمال الدهان يكادون *ينتهون* من إنجاز عملهم في غرفتها، وسوف يرغبون في الانتقال إلى غرفة الجلوس بعد وجبة الغداء مباشرة. لا أعلم هل أوقظها أم ماذا. إنها تكاد لا تحظى بأي قسط من النوم. وأكاد ببساطة أفقد عقلي. أتعلم منذ متى كنتُ *حرّة* في إحضار عمال الدهان إلى هذه الشقّة؟ منذ حوالي عشـ...»

«تقولين عمّال الدهان! آه، لقد اتّضح الأمر. كنتُ قد نسيت مسألة عمّال الدهان تماماً. اسمعي، لِمَ لم تدعيهم إلى هنا؟ هناك حيِّز رحب. ماذا سيقولون عن ضيافتي عندما لا أدعوهم إلى الحمّام وأنا-»

«اسكتْ قليلاً، أيها الشاب. أنا أفكّر»

بدأ زوي باستخدام الممسحة، كأنّما إذعاناً لأمر. ولفترة وجيزة كان ضجيجها الخافت هو الصوت الوحيد المسموع في الحمّام. كانت السيدة غلاس جالسة على مسافة ثمانية أقدام أو عشرة من ستارة الدش، تُحدِّق

عبر أرضيّة الآجر إلى ممسحة القدمين الزرقاء على طول المغطس. كانت سيجارتها قد احترقت حتى آخر نصف إنش. أمسكت بها بين طرفيّ إصبعين في اليد اليُمنى. من الواضح أنَّ أسلوبها في الإمساك بها يُقصَد منه إعطاء ما يُشبه انطباعاً أوّليّاً قوياً (وما زال موجوداً) ذا طابع أدبيّ بأنَّ ثمة وشاحاً إيرلندياً خفيّاً يغطي كتفيها. لم تكن أصابعها فقط طويلة بصورة لافتة وجميلة -من النوع الذي لا يتوقّع المرء، في العموم، أنْ يُشاهده عند امرأة شبه بدينة- بل تتميَّز برعشة فخمة؛ من النوع الأنيق الذي يُصيب ملكة بلقانيّة معزولة أو محظيّة مُفضّلة متقاعدة. ولم يكن هذا هو التناقض الوحيد لدافع وضع الوشاح الأيرلندي الأسود. كانت هناك حقيقة ساقيّ السيدة غلاس المُدهشة، الجميلتين بكل المعايير. كانتا تخصّان ذات يوم امرأة جميلة بإجماع عام، راقصة رشيقة جداً على مسارح المنوعات. الآن هي جالسة تضع إحداهما على الأخرى وتحدّق إلى ممسحة أرض الحمّام، تضع اليُسرى فوق اليُمنى، وخفّ أبيض اللون من قماش وبريّ يبدو كأنّه يمكن أنْ ينزلق ويسقط في أيّة لحظة عن القدم الممدودة. وكانت القدمان صغيرتين بشكل غريب، والكاحلان لا يزالان نحيلين، والشيء الأشدّ إدهاشاً ربما هو أنَّ الربلتين كانتا لا تزالان صلبتين ولم تظهر عليهما العُقد.

فجأة صدر عن السيدة غلاس تنهيد أعمق بكثير من المعتاد - كأنه جزء من قوة الحياة نفسها. فنهضَت واقفة وحملتْ سيجارتها إلى حوض المغسلة، وفتحت صنبور الماء البارد وتركته يجري عليها، ثم أسقطت العقب المنطفئ في سلّة النفايات وجلستْ من جديد. لم يكن سِحر الاستبطان الذي رمته على نفسها قد انكسر، كأنّها لم تتحرك عن مقعدها البتّة.

«سوف أخرج من هنا بعد ثلاث ثوان من الآن، يا بيسي. إنني أعطيك تحذيراً مُنصِفاً. دعينا لا نستهلك ترحيبنا، يا صاحبتي»

أومأت السيدة غلاس برأسها موافقة بشرود على «تحذيره المُنصِف»، وكانت قد استأنفتْ تحديقها إلى ممسحة الحمّام الزرقاء. وفي تلك اللحظة، لو أنَّ زوي رأى وجهها، وخاصة عينيها، وألقى أكثر من مجرد نظرة عابرة، لاستولى عليه حافز قويّ، عابر أو غير عابر، لتذكّر، أو إعادة بناء، أو تغيير الجزء الأكبر من نصيبه من الحديث الذي جرى بينهما - وتعديله، وترقيقه.

ومن ناحية أخرى، قد لا يفعل ذلك. في عام 1955، كان أمراً دقيقاً جداً معرفة فحوى ما يرتسم على وجه السيدة غلاس، وخاصة ما يظهر في عينيها الزرقاوين الواسعتين. كان في استطاعة عينيها وحدهما، قبل ذلك ببضع سنوات، أنْ تنقلا الخبر القائل (إمّا للناس أو لمماسح الحمّام) إنَّ اثنين من أبنائها توفيا، واحد انتحاراً (ابنها الأثير لديها، الأكثر تنظيماً، والأشد رقّة) وواحد قُتِلَ في الحرب العالميّة الثانية (ابنها الأشد مرحاً حقاً) - وحيث كان في وسع عينيّ بيسي غلاس وحدهما أنْ تنقلا هذه الحقائق، بفصاحة وبحماس لإعطاء تفاصيل لم يكن في استطاعة زوجها أو أي من أولادها الباقين البالغين أنْ ينتبهوا إليها، ناهيك عن تقبّلها، الآن، في عام 1955، كانت تميل إلى استخدام هذه الأداة الكلتيّة الرهيبة نفسها من أجل نقل هذا النبأ، الذي يتمّ في المعتاد عند باب المنزل، الذي يقول إنَّ عامل توصيل الأغراض الجديد لم يجلب فخذ لحم الغنم في الوقت المناسب لتقديمه على مائدة العشاء أو إنَّ زواج نجمة هوليوود بعيدة على شفا الانهيار.

أسرعتْ بإشعال سيجارة جديدة من الحجم الكبير، وأخذت تسحب الدخان منها، ثم نهضتْ واقفة، واستنشقت الدخان. قالت «سوف أعود في الحال». بدا الإعلان، ببراءة، كأنّه وعد. ثم أضافت، «فقط من فضلك استخدم ممسحة الحمام عندما تخرج، فهذا هو الغرض منها»، وغادرت الحمّام، وأغلقت الباب بإحكام خلفها. وكأنَّ السفينة «كوين ميري» أبحرت خارجة، على سبيل المثال، من والدن بوند، فجأة وبانحراف كما كانت قد دخلتها، بعد أنْ بقيتْ على مدى أيام داخل حوض سفن جافّ مؤقتٍ. وخلف ستارة الدش، أغمضَ زوي عينيه برهة، وكأنَّ براعته الصغيرة الخاصّة تكمن في عمليّة الجدولة بارتياب في اليقظة. ثم أزاح ستارة الدش ووجّه تحديقه نحو الباب الموصد. كان تحديقاً مُثبّتاً، ولم يشكّل الارتياح جزءاً كبيراً منه. وكأي شيء آخر، كان تحديق شخص مُحبّ للخصوصيّة، وهذا ليس بالأمر الغريب، حالما انتُهِكَتْ تلك الخصوصيّة لم يُحبِّذ نهوض المُنتهِك ومغادرته، هكذا بكل *بساطة*.

بعد أقلّ من خمس دقائق، وقف زوي حافي القدمين عند حوض المغسلة، وشعره المُبلَّل مُمشَّط، مرتدياً بنطلوناً فضفاضاً من جلد سمك القرش بلون

رمادي غامق وبلا حزام، ويُحيط كتفيه بمنشفة لتجفيف الوجه. وكانت مراسم ما قبل حلاقة الذقن قد بدأتْ، وارتفعت ستارة النافذة إلى منتصف المسافة، وفُتِحَ باب الحمام بمقدار فُرجة من أجل السماح للبخار بالخروج ولكي تُصبح المرايا نظيفة، وأُشعِلَتْ سيجارة، وسُحبَ منها الدخان، ووُضِعَت على مسافة قريبة على حافة الزجاج المتجمّد تحت مرآة علبة الصيدليّة. وعند هذه اللحظة، كان زوي قد انتهى من ضغط كريم الحلاقة على طرف فرشاة الحلاقة، ووضع أنبوب الكريم في موقع عند الخلفيّة المكسوة بالمينا، بعيداً عن وجهه، من دون أنْ يُعيد وضع الغطاء عليه. ثم مرّر راحة يده جيئة وذهاباً مع صوت حاد عبر مرآة علبة الصيدليّة، ماسحاً مُعظم الغشاوة. ثم باشر بوضع الرغوة على وجهه. كانت طريقته في وضع الرغوة غير اعتياديّة، على الرغم من تطابقها في الجوهر مع عمليّة الحلاقة نفسها. أي، على الرغم من أنّه كان ينظر في المرآة في أثناء وضع الرغوة، فإنّه لم يكن يُراقب أين تتحرك الفرشاة، وبدل ذلك كان ينظر مباشرة في عينيه هو، كأنَّ عينيه هما منطقة مُحايدة، أرض مُجرّدة من السلاح خلال حرب ضد النرجسيّة كان يخوضها منذ أنْ كان في السابعة أو الثامنة من العمر. والآن، وقد أصبح في الخامسة والعشرين، ربما أصبحت الخدعة الصغيرة في الغالب حركة مرتدّة، كما يضرب لاعب بيسبول متمرس، في المباراة، مساميره بهراوته سواء احتاج إلى ذلك أم لا. ومع هذا، قبل ذلك ببضع دقائق، عندما مشَّطَ شَعره، فعل ذلك بأقلّ قدر من المُساعدة من المرآة. وقبل ذلك نجح في تجفيف نفسه أمام مرآة بحجم الطول الطبيعي من دون أنْ ينظر فيها.

كان قد انتهى من وضع الرغوة على وجهه عندما ظهرتْ صورة أمّه فجأة من جديد على مرآة حلاقته. وقفتْ عند ممر الباب، على مسافة بضعة أقدم خلفه، وإحدى يديها على أُكرة الباب – بدت رمزاً للتردُّد الزائف في القيام بحركة أخرى لدخول الغرفة.

قال زوي في وجه المرآة «أوه، يا للمفاجأة الجميلة والسارة! تفضّلي، تفضّلي!»، وضحك، أو أصدر هديره، ثم فتح باب الصيدليّة وأنزل موساه.

تقدّمت السيدة غلاس تتأمّل، قالت «زوي، كنتُ أفكّر». كان مكان جلوسها المُريح المعتاد يقع مباشرة إلى يسار زوي، وهمَّتْ بالجلوس.

«لا تجلسي، دعيني أسمعك أولاً»

قال زوي. بدا كأنَّ الخروج من المغطس، وارتداء بنطلونه، وتمشيط شعره قد رفع معنوياته. «غالباً لا نستقبل زوّاراً في كنيستنا الصغيرة، وعندما يحدث هذا، نجعلهم يشعرون بـ...»

«انتظر برهة». قالت السيدة غلاس، وهي تجلس. وضعت ساقاً فوق ساق. «كنتُ أفكّر. أتعتقد أنّه من المفيد مواجهة ويكر؟ شخصياً، ***لا أعتقد*** ذلك، ولكن ما رأيك أنت؟ أعني حسب رأيي أنّ ما تحتاج إليه تلك الفتاة هو طبيب نفسي، وليس إلى كاهن أو ما شابه، ولكن قد أكون ***مُخطئة***»

«أوه، كلا، كلا، كلا. لستِ مُخطئة. أنا لم أعهدكِ قط تخطئين، يا بيسي. إنَّ الحقائق التي تدلين بها تكون إمّا غير صحيحة أو مُبالَغاً فيها، لكنكِ لا تُخطئين - كلا، كلا، كلا». قام زوي بتبليل موساه بكثير من الابتهاج وباشر في الحلاقة.

«زوي، أنا أسألك - كفاكَ مزاحاً الآن، أرجوك. أتعتقد أم لا تعتقد أنني يجب أنْ أتواصل مع ويكر؟ كان في استطاعتي أنْ أتّصل بذلك الأسقف المدعو بينشو أو كائناً ما كان اسمه، وربما كان في استطاعته أنْ يُخبرني أين يمكن أنْ ***أتّصل*** به، إنْ كان لا يزال على متن سفينة ما»، ومدّت السيدة غلاس يدها وقرّبتْ سلّة المهملات منها واستخدمتها كمنفضة للسيجارة المشتعلة التي حملتها معها.

قالتْ «***سألتُ*** فراني إنْ كانت ترغب في مكالمته هاتفيّاً، وإنْ كان في وسعي أنْ أتّصل به»

شطف زوي موساه قليلاً. سألها «تسألين ماذا ستقول؟».

عدّلت السيدة غلاس من وضعيّة جلوسها بحركة انتقال وجيزة غامضة جهة اليمين. «سوف تقول إنها لا ترغب في التحدث إلى أي شخص»

«أه، نحن نعلم أنَّ هذا غير صحيح؟ لن نقبل جواباً مُباشراً كهذا، أليس كذلك؟»

أسرعت السيدة غلاس بالقول «لمعلوماتك، أيّها الشاب، لن أتقبّل أي جواب من أي طفلة هذا اليوم». وجّهَتْ كلامها إلى المسقط الجانبي من

وجه زوي المكسو بالرغوة. «إنْ كانت لديكَ طفلة تبكي في إحدى الغرف وتتمتم بكلام غير مفهوم مع نفسها طوال ثمان وأربعين ساعة، فإنكَ لن تذهب إليها من أجل الحصول على جواب»

واصل زوي حلاقة ذقنه، من دون أنْ يُدلي بأي تعليق.

«أجِبْ عن سؤالي، من فضلك. أتعتقد أم لا أنّني يجب أنْ أحاول أنْ أتّصل بويكر؟ بصراحة، *أخشى* أنْ أفعل. إنّه عاطفيّ جداً - سواء أكان كاهناً أم لم يكن. إذا أخبرتَ ويكر بأنّه يبدو أنّها سوف تُمطر، فسوف تدمع عيناه»

تقاسم زوي استمتاعه بهذه الملاحظة مع انعكاس عينيه في المرآة. قال «ما زال لديك أمل، يا بيسي»

قالت السيدة غلاس، «حسن، إذا لم أتمكن من الاتصال بيَدي هاتفيّاً، وحتى *أنت* لا تُقدِّم لي المساعدة، فيجب أنْ *أتصرَّف*». جلستْ تدخّن قليلاً، وقد بدا عليها الاضطراب الشديد. ثم قالتْ «إذا كان الأمر ذا طابع دينيّ صارم، أو ما شابه، فقط أتمكّن أنا نفسي من تقديم المُساعدة لها. أنا لم أنسَ كل شيء. ولكن لا أحد منكم أيّها الأولاد نشأ نشأة دينيّة، وفي الحقيقة لا أفهم-»

قاطعها زوي. قال، مُديراً وجهه المكسو بالرغوة نحوها، «لقد خرجتِ عن الموضوع. خرجت عن الموضوع. ابتعدت عنه كثيراً. قلتُ لك هذا ليلة أمس. إنّ مشكلة فراني ليست طائفية البتّة». غمس الموسى واستأنف الحلاقة. «صدّقيني، أرجوك».

حدقتِ السيدة غلاس مباشرة وبإصرار إلى المسقط الجانبي لوجهه، كما لو أنّه يمكن أنْ يقول شيئاً آخر، لكنّه لم يقُل شيئاً. وأخيراً، تنهّدتْ، وقالت «قد أرضى قليلاً إنْ استطعت أنْ أُبعِد ذلك الشنيع بلومبيرغ عن الجلوس معها على الأريكة. بل إنّ الأمر غير عقلاني»، واستنشقت الدخان من سيجارتها. «ولا أعلم ماذا يجب أنْ أفعل مع عمال الدهان. لقد انتهوا من عملهم في غرفتها في هذه اللحظة بالذات، وسوف يكونون تواقين للانتقال إلى غرفة الجلوس»

قال زوي «في الواقع أنا الشخص الوحيد في هذه العائلة الذي ليست

لديه أيّة مشاكل. أتعلمين لماذا؟ لأنني كلما شعرت بالحزن، أو بالحيرة، أقوم بدعوة عدد من الأشخاص لزيارتي وأنا في الحمّام، و - حسن، نحل بعض المشاكل معاً، لا أكثر»

بدا أنَّ أسلوب زوي في التعامُل مع مشاكله يكاد يُشتّت انتباه السيدة غلاس، لكنّها في ذلك اليوم كانت تكبت كل أشكال الإحساس بالتسلية. حدّقتْ إليه برهة، ومن ثم، وببطء، تكوّنت نظرة جديدة في عينيها - واسعة الحيلة، ماكرة ويائسة قليلاً. قالتْ «في الواقع، أنا لستُ حمقاء بقدر ما تعتقد، أيّها الشاب. كلّكم كتومون، أيها الأولاد. وإنْ كان لابد أنْ تعرف، فكثيراً ما يحدث أنْ أعرف ما يكمن خلف هذا أكثر مما تعتقد». وتأكيداً على قولها هذا، زمّتْ شفتيها، ونفضتْ بعض نثار التبغ الوهمي عن حجر ثوبها الكيمونو. «ولمعلوماتك، أنا أعرف أنَّ ذلك الكتاب الصغير الذي كانت تحمله معها وهي تتنقّل في أرجاء المنزل كله بالأمس هو في العموم أساس هذا الأمر كلّه».

التفتَ زوي ونظر إليها. كان يرسم على وجهه ابتسامة واسعة. قال «كيف خرجتِ بهذه النتيجة؟»

قالت السيدة غلاس «لا ***عليك*** من الطريقة التي خرجتُ بهذا بهذه النتيجة. إنْ كان لابد أنْ تعلم، فإنَّ لين اتّصل مرات ***عِدّة*** إلى هنا وعبَّر عن قلقه الشديد على فراني».

شطف زوي الموسى. سألها «ومن يكون لين؟». كان بلا أدنى شك سؤالاً يصدر عن شاب ما زال غرّاً لا يميل، في اللحظة الراهنة، إلى الاعتراف بأنه يعرف الأسماء الأولى لبعض الأشخاص.

قالت السيدة غلاس بتشديد «أنت تعلم جيداً من يكون، أيّها الشاب. إنّه لين ***كوتي***. صديق فراني طوال عام كامل. وحسب عِلمي أنت قابلته مرات عديدة على الأقلّ، فلا تتظاهر بأنكَ لا تعرفه». أطلقَ زوي هدير ضحك من القلب، كأنّه يستمتع حقاً برؤية أي تكلُّف صريح، بما فيه تكلّفه هو. وتابع حلاقة ذقنه، ولا يزال مبتهجاً. قال «الصِفة الصحيحة هي «الشاب» المُرافِق لفراني وليس «صديقها». لِمَ أنتِ مُتخلّفة يا بيسي؟ لِمَ؟ لِمَ؟»

«لا عليك من كوني متخلّفة. قد ترغب في معرفة أنّه جاء إلى هنا خمس مرّات أو ستاً منذ أنْ عادت فراني إلى المنزل - جاء مرّتين في صباح هذا اليوم حتى قبل أنْ *تستيقظ*. كان غاية في الكياسة، وأبدى قلقه الشديد على حالة فراني»

«إنّه لا يُشبه بعض الأشخاص الذين نعرفهم، أليس كذلك؟ في الواقع، أكره أنْ أُخيِّب أملك، لكنني جلستُ معه مُطوّلاً ولم أجده كيّساً البتّة. إنّه فتى فاتن وزائف. بالمناسبة، ثمة مَن كان يحلق شعر إبطه هنا أو شعر ساقيه اللعينتين بالموسى خاصتي. أو *أسقطه*. كان طرفُه معوجّاً-»

«لا أحد لمسَ موساك، أيّها الشاب. هل لك أنْ تشرح لي لِمَ تقول إنّه فاتن وزائف؟»

«تسألين عن السبب؟ لأنه كذلك، لا أكثر. ربما لأنَّ هذا القول يفي بالغرض. وأستطيع أنْ أقول لك شيئاً واحداً. إنْ كان يشعر بأي قلق بشأنِ حالة فراني، فإني أراهن على أنَّ ذلك من أجل أشد الأسباب تفاهة. لعلّه قلق لأنّه فكر في التخلّي عن متابعة مباراة كرة القدم اللعينة قبل انتهائها - أو قلق لأنّه أبدى اهتمامه بالأمر ويعلم أنَّ فراني حادّة الذكاء بحيث تلاحظ ذلك. وأستطيع أنْ أتخيّل ابن الحرام التافه ذاك وهو يستدعي سيارة أجرة ثم يجعلها تستقل القطار متسائلاً إنْ كان في استطاعته أنْ يعود ليستأنف مُشاهدة المباراة قبل انتهاء الشوط الأول»

«أوه، إنَّ الحديث معك أمر مستحيل! بل مستحيل تماماً. لا أعلم حتى لِمَ أحاول. أنتَ تُشبه بدي. تعتقد أنَّ الجميع يفعلون شيئاً *لسببٍ معيَّن*. أنت لا تعتقد أنَّ أي شخص يتّصل بأي شخص آخر من دون أنْ يكون هناك سبب قذر، وأنانيّ»

«بالضبط - في تسع حالات *من بين* عشر. وهذا الأبله المدعو لين ليس استثناءً، لا شك في ذلك. اسمعي، لقد تحدثتُ معه طوال نصف ساعة لعينة ذات ليلة بينما كانت فراني تستعد للخروج، وأنا أقول إنّه ضخم تافه». أخذ يفكّر، موقفاً حركة الموسى. «ما الذي كان يُخبرني به؟ كان شيئاً *فاتناً*. ما هو؟... أوه، نعم، نعم. كان يُخبرني بأنّه وهو طفل كان يُصغي إليّ وإلى

فراني كل أسبوع - أتعلمين ماذا كان يفعل، ابن الحرام الوضيع ذاك؟ كان يدعمني على حساب فراني. لسببٍ وحيد هو إرضاء نفسه والتباهي بذكائه الأكاديميّ القليل». أبرز زوي لسانه وهلّل تهليلاً مُخفّفاً ومُلطّفاً. قال «فووي»، واستأنف استخدام الموسى، «إنني أُهلّل لكل طلاب الجامعة ذوي الأحذية البيضاء الذين يحرّرون المجلات الأدبيّة الجامعيّة. أعطيني اسم شخص مُحتال صادق»

وجّهتِ السيدة غلاس نظرة طويلة وشاملة بصورة غريبة إلى مسقط وجهه الجانبيّ. قالت برصانة شديدة، لا تليق بها، «إنّه شاب صغير ولم يتخرَّج من الجامعة بعد، وأنت تجعل الناس متوتري الأعصاب، أيّها الشاب. إنكَ إما أنْ تتوافق مع شخص ما أو لا تتوافق. وإذا توافقت، فإنك تتولى الحديث كلّه ولا يُتاح لأي شخص آخر بالإدلاء بكلمة واحدة. وإذا لم تُعجب بشخص -وهذا ما يحدث في الغالب- فإنك تكتفي بالجلوس وعدم الإتيان بأيّة حركة وتترك الشخص الآخر يُحدّث نفسه. لقد شاهدتك تفعل ذلك»

استدار زوي استدارة تامة لكي يواجه أمّه بالكامل.

استدار ونظر إليها، في تلك اللحظة، كما كان إخوته وأخواته (وخاصة إخوته)، في وقت من الأوقات، في عامٍ من الأعوام، قد استداروا ونظروا إليها. ليس فقط بتعجّبٍ موضوعي أمام ظهور الحقيقة، مُجزّأة أم كاملة، من خلال ما بدا في الغالب كتلة ضخمة من الضغائن، والعبارات والملاحظات المُبتذلة، بل بإعجاب، وحبّ، وأخيراً وليس آخراً، بامتنان. كانت السيدة غلاس دائماً تتقبل هذا «الثناء»، عندما يأتي، سواء اعتبرته غريباً أم لا، تقبّلاً جميلاً. كانت تبادل بجمال وتواضع النظر إلى ابنها أو ابنتها التي نظرتْ إليها. إنها الآن تواجه زوي بهذه السحنة الجميلة والمتواضعة. قالت، بصوت خالٍ من أي نبرة اتّهام «شاهدتك. لا أنت ولا بدي تعرفان كيف تتحدثان مع أناس لا تعرفانهم». وفكّرتْ في الأمر. ثم صحّحت كلامها «أو لا تحبانهم حقاً». واستأنف زوي تحديقه إليها، وتوقف عن حلاقة ذقنه. وقالت - بجديّة، وبحزن، «وهذا غير صائب. أنتَ تُصبح أقرب شَبَهاً بما كان عليه بدي وهو في مثل سنّك. حتى والدك لاحظ ذلك. إذا لم يحظ شخصٌ ما بإعجابك خلال دقيقتين، تتخلّى عنه وإلى الأبد». مدّت السيدة غلاس نظرة شاردة

نحو ممسحة الحمّام الزرقاء على أرضيّة الآجر. وقفَ زوي بثبات قدر استطاعته كي لا يقطع عليها مزاجها. قالت السيدة غلاس لممسحة الأرض، «لا يمكنك أنْ تعيش في العالم على أساس ما يعجبك وما لا يعجبك بشكلٍ صارم»، ثم التفتت من جديد نحو زوي ورمته بنظرة طويلة، خالية تماماً تقريباً من أيّة سِمة أخلاقيّة. قالت «بغضّ النظر عمّا تعتقد، أيّها الشاب».

التفتَ زوي نحوها ونظر إليها بثبات، مع ابتسامة خفيفة ثم أدار وجهه من جديد لكي يتفحّص لحيته في المرآة. تنهّدت السيدة غلاس وهي تراقبه. وانحنت وأطفأتْ سيجارتها على الجهة الداخليّة المعدنيّة لسلّة النفايات. وأشعلتْ سيجارة جديدة في الحال تقريباً، وقالتْ، بأقصى ما في وسعها من وضوح، «على أيّة حال، تقول أختك إنّه رجل لامع، أقصد لين»

قال زوي «هذا فقط من الناحية الجنسيّة. أنا أعرف ذلك المعنى. أوه، كم أعرف ذلك المعنى!». كان آخر أثر للرغوة قد أُزيل عن وجهه ونحره. وتحسّس نحره متفحّصاً بإحدى يديه، ثم تناول فرشاة الحلاقة وباشر بوضع الرغوة من جديد على المواقع الاستراتيجيّة من وجهه. سألها «حسن، ماذا قال لين عبر الهاتف؟ في اعتقاد لين، ما سبب اضطرابات فراني؟». جلستِ السيدة غلاس وهو تميل إلى الأمام قليلاً وبتوق، وقالت «حسن، يقول *لين* إنَّ الأمر كلّه -الأمر برمّته- يتعلّق بذلك الكتاب الصغير الذي تحمله معها طوال الوقت. تعرف ما أعني. الكتاب الصغير الذي لم تتوقف عن القراءة فيه بالأمس وتحمله معها أينما تذهب-»

«أعرف ذلك الكتاب الصغير. تابعي»

«حسن، يقول، أقصد لين يقول، إنَّ الكتاب ذو طابع دينيّ متطرّف - متعصِّب وما إلى ذلك- وإنها حصلت عليه من المكتبة العامة في الجامعة، والآن هي تعتقد أنّها ربما-»، وفجأة سكتت السيدة غلاس. كان زوي قد التفتَ نحوها بما يُشبه الانتباه المُهدِّد.

سألته «ما الخطب؟»

«قال إنها حصلت عليه من أين؟»

«من المكتبة العامة. في الجامعة. لِمَ تسأل؟»

هزَّ زوي رأسه نفياً، والتفتَ من جديد نحو حوض المغسلة. ترك فرشاة الحلاقة وفتح باب صندوق الصيدليّة.

طلبت السيدة غلاس قائلة «ما الأمر؟ ما خطب هذا الأمر؟ ما أهميّة هذا الكتاب، أيّها الشاب؟»

لم يُدل زوي بجواب إلّا بعد أنْ فتح حزمة جديدة من شفرات الموسى. ثم، حلّ شفرته عن الآلة، وقال «أنتِ شديدة الحمق، يا بيسي»، وأخرج الشفرة من آلة الموسى.

«لِمَ أنا شديدة الحمق؟ بالمناسبة، أنت *بَدَّلتَ* شَفرة الموسى بالأمس فقط». ركَّبَ زوي، بوجهٍ خالٍ من التعبير، شفرة جديدة على آلة الموسى وباشر الحلاقة للمرة الثانية.

«لقد طرحتُ عليك سؤالاً، أيّها الشاب. لِمَ أنا شديدة الحمق؟ *أليس صحيحاً* أنها حصلتْ على ذلك الكتاب الصغير من المكتبة العامة في الجامعة، أم ماذا؟»

قال زوي، وهو يستأنف الحلاقة، «كلا، لم تفعل، يا بيسي. وعنوان ذلك الكتاب الصغير هو «الحاجّ يواصل طريقه»، وهو جزء ثانٍ من كتاب صغير آخر عنوانه «طريق الحاج»، وهذا أيضاً تحمله معها أينما ذهبَتْ، وقد حصلتْ على الكتابَين من غرفة سيمور وبدي القديمة، حيث كانا يجلسان على طاولة مكتب سيمور فترات طويلة حسب ما أتذكّر. يا لله القادر»

«لا تكن مُهيناً في هذا الشأن! أتعتقد أنّه شيء *فظيع* أنْ تكون قد حصلت عليهما من مكتبة الجامعة العامة وجلبتهما بكل بساطة-»

«نعم، شيء فظيع. فظيع عندما يكون الكتابان قابعَين على طاولة مكتب سيمور اللعين طوال سنين عديدة. شيء مؤسِف»

أُضيفَتْ إلى نبرة صوت السيدة غلاس نغمة غير مُستفزّة بصورة نادرة وغير متوقّعة، وهي تقول «لو أنَّ الأمر بيدي لما ولجتُ تلك الغرفة، وأنت تعلم هذا. لا أريد أنْ أنظر إلى أشياء سيمور القديمة - إلى أغراضه كلّها»

قال زوي بسرعة «حسن، أنا آسف»، من دون أنْ ينظر إليها، وعلى الرغم من أنّه لم ينته بعد من حلاقته الثانية، أنزل منشفة الوجه عن كتفيه ومسح

ما تبقّى من رغوة عن وجهه. قال «دعينا نغلق هذا الموضوع قليلاً»، ورمى بمنشفة الوجه على المشعاع، فاستقرّتْ على الغلاف الخارجي لمخطوط ريك – تينا. فكّ الموسى ووضع الشفرة تحت مياه الصنبور الباردة الجارية. كان اعتذاره صادقاً، وأدركت السيدة غلاس ذلك، ولكن من الواضح أنّها لم تستطع أنْ تقاوم استغلال تلك الفرصة، ربما لأنها فرصة نادرة. قالت، وهي تراقبه يشطف الشفرة، «أنت لستَ رقيقاً، لستَ رقيقاً على الإطلاق، يا زوي. أنت راشد بما يكفي لكي تُحاول على الأقلّ أنْ تُبدي بعض الرقّة عندما تشعر بالخسّة. إنَّ بدي، على الأقلّ، عندما يشعر بـ–»، في الوقت نفسه أخذتْ نَفَساً وأجفلتْ بشدّة عندما سقطت موسى زوي، مع الشفرة الجديدة وكل شيء، داخل سلّة النفايات المعدنيّة مُحدِثة ضجيجاً.

من المُحتمل جداً أنَّ زوي لم يقصد أنْ يجعل الموسى ترتطم بقوة بسلّة النفايات بل قام فقط بتحريك يده اليُسرى بشكلٍ فُجائيّ وعنيف بحيث أفلتت الموسى منه. وعلى أيّة حال، من المؤكّد أنّه لم يتعمّد أنْ يضرب رسغه على جانب سلّة النفايات ويؤلمه. قال «بدي، بدي، بدي، وسيمور، سيمور، سيمور». كان قد استدار نحو أمّه، التي كان ارتطام الموسى القويّ قد أجفلها وأفزعها لكنّه لم يُخِفها حقاً. «لقد سئمت كثيراً اسميهما إلى درجة أنَّ في استطاعتي أنْ أنتحر». كان وجهه قد شحب ولكنه كان خالياً من التعبير تقريباً. «إنَّ نتانة الأشباح تفوح من هذا المنزل اللعين. لا يهمّني إذا سكنني شبح أحد الموتى، لكنني أشمئزّ بشدّة أنْ يتلبّسني شبح شخص شبه ميتٍ. أتمنّى من الله أنْ يتّخذ بدي قراره بهذا الشأن. إنّه يقلّد سيمور في كل شيء آخر يفعله – أو يُحاول أنْ يفعل ذلك. لِمَ لا ينتحر بحقّ الله ويضع حداً للأمر؟

طرفت السيدة غلاس بعينيها، مرّة واحدة فقط، فأشاح زوي بنظره فوراً بعيداً عن وجهها، ثم مال وأخرج الموسى من داخل سلّة النفايات. وأعلن وهو يقف معتدلاً، «نحن الاثنين، فاني وأنا، مخلوقان *غريبا الأطوار*. أنا غريب الأطوار في الخامسة والعشرين وهي غريبة الأطوار في العشرين من عمرها، وهذان الاثنان مسؤولان عن ذلك». وضع الموسى على حافة حوض المغسلة، لكنّها انزلقت بصخب إلى داخل الحوض، فأسرع بإخراجها، وهذه المرّة بأطراف أصابعه. «الأعراض تأخّرت قليلاً في حالة

فراني أكثر مما حدث معي، لكنّها هي أيضاً غريبة الأطوار، فلا تنسي هذا. وأُقسِم لك، في وسعي أنْ أقتلهما معاً من دون أنْ يرفّ لي جفن. الأستاذان العظيمان. المُحرّران العظيمان. يا إلهي. إنني حتى لا أستطيع أنْ أجلس لكي أتناول الغداء مع رجل بعد اليوم وأُجري معه حديثاً لائقاً. لأنني إما سأُصاب بالضجر أو سألجأ إلى النبرة التبشيريّة بحيث إنّه إذا كان ابن الحرام ذاك يتّصف بأي حسّ سليم، فسوف يكسر الكرسي على رأسي». وفجأة فتح باب صندوق الصيدليّة، وحدّقَ برهة ببلاهة إلى داخلها، كأنّه نسيَ لماذا فتحها، ثم وضع الموسى الذي لم يجفّ بعد داخلها على أحد الرفوف.

جلستِ السيدة غلاس بسكون، تراقبه، والسيجارة تشتعل حتى آخرها بين إصبعيها. راقبته وهو يضع غطاء أنبوب رغوة الحلاقة. كان قد واجه صعوبة في العثور على مسار الإغلاق.

«إنني، حتى يومي هذا، لا أستطيع أنْ أجلس وأتناول أيّة وجبة لعينة، على الرغم من أنَّ لا أحد يأبه لذلك، إلّا بعد أنْ أتلو بيني وبين نفسي التعهدات الأربعة العِظام وأراهن أيضاً على أي شيء تريدين ولا تستطيع فراني أنْ تراهن عليه. لقد درّبونا بالكثير من-»

قاطعته السيدة غلاس، ولكن بحذر، «ما هي الأشياء الأربعة العظام؟».

وضع زوي يداً على كلٍ من جانبَي حوض المغسلة ومال قليلاً بصدره إلى الأمام وعيناه مُبْتّتان على الخلفيّة العامة المكسوة بالمينا. وعلى الرغم من نحول جسمه، فإنّه بدا في تلك اللحظة مستعداً وقادراً على دفع حوض المغسلة مباشرة خلال الأرضيّة. قال «*التعهّدات* الأربعة العِظام»، وأغمضَ عينيه بحقد. «هي: مهما بلغ عدد الكائنات، أتعهّد بإنقاذها؛ ومهما بلغ عدد الأهواء، أتعهّد بإخمادها؛ ومهما بلغت ضخامة الفضائل، أتعهّد بالالتزام بها؛ ومهما بلغت فرادة حقيقة بوذا، أتعهّد بالارتقاء إليها»، نعم، أيّها الفريق. أعلم أنَّ في استطاعتي أنْ أتعهّد بها. فقط اختبرني، أيها المُدرِّب»» أبقى عينيه مُغمضتين. «يا الله، لقد واظبتُ على تلاوة هذا في وجبات طعامي الثلاث في كل يوم من حياتي منذ أنْ كنتُ في العاشرة من العمر. ولا أستطيع أنْ *آكل* إلّا إذا تلوتها. وذات مرّة حاولتُ أنْ أتغافل عنها في أثناء تناول وجبة الغداء

مع الحكيم، فاختنقتُ ببذرة ثمرة كرز لعينة، بسبب ذلك»، وفتح عينيه، متجهّماً، لكنّه احتفظ بوضعيته الغريبة. قال «ما رأيك في أنْ تخرجي من هنا الآن، يا بيسي؟ أنا جادّ. دعيني أُنهي عمليّة اغتسالي اللعينة بسلام»، وأغمض عينيه من جديد، وبدا مستعداً للقيام بمحاولة جديدة لدفع حوض المغسلة على طول الأرضيّة. وعلى الرغم من أنَّ رأسه كان منحنياً قليلاً نحو الأسفل، فإنَّ كميّة كبيرة من الدم تدفّقتْ من وجهه.

قالت السيدة غلاس بسرعة، وبكآبة، «ليتك تتزوج».

كان كل فرد من أفراد عائلة غلاس -وزوي أوّلهم- يعرف بأمر هذا النوع من الخروج عن الموضوع من السيدة غلاس. كان يظهر بشكل أفضل، وأكثر سموّاً، وسط مثل هذا الحماس الانفعاليّ. ولكن هذه المرّة، فوجئ زوي به بقوة. أصدر صوتاً مُدوّياً، خرج من خلال أنفه في معظمه، إمّا من الضحك أو من عكس الضحك. مالت السيدة غلاس إلى الأمام بسرعة وبقلق لكي تتبيَّن أيّهما. كان ضحكاً، تقريباً، فاسترختْ في جلستها، بارتياح. وأصرَّتْ «حقاً، *أتمنّى* لك هذا. ولِمَ *لا تتمنّى* أنت؟»

استرخى زوي في وضعيته، وأخرجَ منديلاً مطويّاً من جيبه الجانبيّ، وفتحه، ثم استخدمه لكي يتمخّط مرةً، ومرّتين، وثلاث مرّات. ودسّ المنديل، وقال «أنا أحبّ ركوب القطارات حبّاً جمّاً. وعندما يتزوج المرء لا يعود يجلس بجوار النافذة»

«هذا ليس سبباً»

«بل هو سبب مثاليّ. اخرجي، يا بيسي. دعيني وحدي بسلام هنا. لِمَ لا تذهبين وتتسلين بركوب المصعد؟ بالمناسبة، سوف تحرقين أصابعك إذا لم تُطفئي تلك السيجارة اللعينة»

أطفأت السيدة غلاس سيجارتها بسحقها من جديد على الجانب الداخلي لسلّة النفايات. وبعد ذلك جلست بهدوء قليلاً، ولم تمدّ يدها لإخراج سيجارة أخرى من العلبة مع عود ثقاب. راقبتْ زوي وهو يتناول مشطاً ويُعيد فرق شَعره. قالتْ «يمكنك أنْ تقصّ شعرك، أيّها الشاب. أصبحتَ تُشبه أحد أولئك الهنغاريين المجانين أو ما شابه إبّان خروجه من بركة *السباحة*»

ابتسم زوي متفهّماً، واستأنف تمشيط شَعره قليلاً، وفجأة التفتَ إليها. ثم هزَّ المشط بحركة وجيهة باتجاه أمّه. قال «ثمة شيء آخر. قبل أنْ أنسى. وأصغي إليّ، يا بيسي. إذا خطرتْ لك المزيد من الأفكار، كما حدثَ ليلة أمس، حول الاتصال هاتفيّاً بالطبيب النفسيّ اللعين الخاصّ بفيلي بانز من أجل فراني، افعلي فقط شيئاً واحداً - هذا كل ما أطلبه، فقط فكّري فيما فعله التحليل النفسي من أجل سيمور» وسكت من أجل توكيد ما قال. «أتسمعينني؟ هلّا فعلتِ هذا؟»

في الحال قامت السيدة غلاس بحركة لا لزوم لها لتعديل وضع شبكه شعرها، ثم أخرجت سيجارة وعلبة كبريت، لكنّها احتفظت بها برهة بيدها. قالت «لمعلوماتك، أنا لم أقلْ إنني سأتصل هاتفياً بالطبيب النفسي لفيلي بارنز، بل قلت إنني *أفكّر* في الأمر. *أولاً*، هو ليس مجرد طبيب نفسيّ عاديّ، بل هو طبيب نفسيّ ومُتديّن *مُلتزم*، ورأيتُ أنّ ذلك ربما أفضل من الجلوس ومراقبة تلك الفتاة-»

«بيسي، أنا أُحذّركِ الآن، اللعنة. لا يهمني إنْ كان طبيباً بيطريّاً بوذيّاً مُلتزماً. إذا اتّصلتِ بـ-»

«لا داعي للتهكّم، أيّها الشاب. أنا أعرف فيلي بارنز منذ أنْ كان صبيّاً صغيراً. أنا ووالدك ظهرنا في برنامج واحد مع والديه طوال سنين. وأعرف جيداً أنَّ اللجوء إلى طبيبٍ نفسيّ جعل من ذلك الفتى شخصاً *جديداً* تماماً *ومحبوباً*. كنتُ أتحدّث مع-»

رمى زوي بقوة مشطه إلى داخل علبة الصيدليّة، ثم صفع باب الصيدليّة بنزق ليُغلقه. قال «أوه، ما أغباك، يا بيسي. فيلي *بارنز*. إنَّ فيلي بارنز مجرد رجل كادح عقيم مسكين تافه تجاوز سن الأربعين ينام منذ سنين حاملاً مسبحة وواضعاً نسخة من مجلة «*فارايتي*» تحت وسادته. إننا نتحدث عن شيئين مختلفين كاختلاف الليل والنهار. والآن، أصغي إليّ، يا بيسي»، واستدار زوي استدارة كاملة نحو والدته ونظر إليها بعناية، واضعاً راحة إحدى يديه على الخلفيّة المطليّة بالمينا، كأنما طلباً لدعمها. «هل تُصغين إليّ؟». انتهت السيدة غلاس من إشعال سيجارة جديدة قبل أنْ توليه

انتباهها. ثم، بعد أنْ استنشقت الدخان ونفضتْ بقايا تبغ وهميّة عن حِجرها، قالت بتجهّم، «أنا أُصغي إليك»

«حسنٌ، أنا جادّ *تماماً* الآن. إذا كنتِ - أصغي إليّ الآن. إذا كنتِ لا تستطيعين، أو لا تريدين، فكّري في سيمور، ثم اذهبي فوراً واتّصلي بطبيب نفسيّ جاهل. افعلي هذا. اتّصلي بمُحلل نفسي خبير يجعل الناس يتأقلمون مع ألعاب التلفزيون، ومع مجلة *لايف* في كل يوم أربعاء، والسفر إلى أوروبا، ومع القنبلة الهايدروجينيّة، ومع الانتخابات الرئاسيّة، ومع الصفحة الأولى من صحيفة *تايمز*، ومع مسؤوليات رابطة الآباء والأساتذة في أويستر باي ويستبورت، ويعلم الله ماذا أيضاً يكون طبيعيّاً بصورة رائعة - فقط *افعلي* هذا، وأُقسِمُ لك على أنَّ فراني غضون عام لا أكثر إمّا سوف تودع مستشفى المجانين أو سوف تجوب بلا هدى الصحراء تحمل بيديها صليباً يحترق»

نفضَت السيدة غلاس عنها عدداً آخر من رقائق التبغ الوهميّة. قالت، «حسن، حسن - لا تضطرب هكذا، حبّاً بالله. لا أحد سوف يتّصل بأي شخص»

نخعَ زوي باب الصيدليّة، وحدّق إلى داخلها، ثم استخرج منها مبرداً للأظافر ثم أغلق الباب. التقط السيجارة التي كان قد وضعها على حافة الزجاج المتجمّد وأخذ يستنشق الدخان منها، لكنها كانت مُطفأة. قالت أمّه «خُذْ» وناولته علبة سجائر الحجم الكبير وعلبة الكبريت. اختار زوي سيجارة من العلبة ووضعها بين شفتيه وقدح عود كبريت، لكنَّ ضغط الأفكار جعل من عمليّة إشعال السيجارة الحقيقيّة عملية فاشلة، فأطفأ عود الكبريت ونزع السيجارة من فمه. وهزَّ رأسه قليلاً بنزق. قال «لا أعلم، يبدو لي أنّه لابد أنَّ هناك مُحللاً نفسيّاً يكمن في مكان ما من المدينة ويصلح لمعالجة فراني - هكذا فكّرتُ ليلة أمس»، وكشّر قليلاً. «لكنني لا أعرف أياً منهم. فلكي يكون الطبيب النفسي بارعاً في معالجة فراني يجب أنْ يكون من النوع الخاصّ جداً. لا أعلم. يجب أنْ يُصدِّق أنّ نعمة الله هي التي دفعته إلى دراسة التحليل النفسيّ أصلاً. ويجب أنْ يُصدِّق أنّه بفضل نعمة الله عليه لم تدهسه سيارة شاحنة لعينة قبل حتى أنْ يحصل على رخصة ممارسة مهنته. ويجب أنْ يُصدّق أنّه بفضل نعمة الله عليه اتّصف بذكاء فطريّ من

أجل مُساعدة مرضاه الملاعين. لا أعرف أي طبيب نفسيّ يفكّر هكذا. ولكن هذا هو النوع الوحيد من المحللين النفسيين الذي يمكن أنْ يكون قادراً على معالجة فراني ببراعة. إذا حصلت على طبيب يُعالج على طريقة فرويد، أو يلجأ إلى المعالجة بالأدوات الكهربائيّة، أو مجرد طبيب عادي جداً -طبيب لا يضمر حتى أيّ إحساس مبهم، أو مجنون بالامتنان لبصيرته أو لذكائه- فسوف تخرج من نتيجة التحليل النفسي أسوأ حالاً مما حدث لسيمور. عندما أفكّر في هذا ينتابني قلق رهيب. فلنغلق هذا الموضوع، بعد إذنك». استغرق منه إشعال سيجارته بعض الوقت. وبعد أنْ استنشق بعض الدخان وضع السيجارة على حافة الزجاج المتجمّد، حيث كانت تقبع السيجارة المُطفأة القديمة، واتّخذ وضعيّة مريحة أكثر. وبدأ يُمرّر مبرد الأظافر تحت أظافر أصابعه -التي كانت في الأصل نظيفة تماماً. وبعد برهة صمت قال، «إذا لم تسخري مني سوف أخبرك ماذا يحتوي ذانك الكتابان الصغيران اللذان تحملهما فراني معها. فهل أنتِ مهتمة بالأمر، أم لا؟ إذا كنتِ لا تهتمين، فلأنني لا أشعر بـ-»

«*نعم*، أنا مهتمة! *طبعاً* أنا مهتمّة! ماذا تظنني-»

«حسن، ولكن لا تسخري مني، إذن» قال زوي هذا وأسند أسفل ظهره إلى حوض المغسلة، واستأنفَ استخدام مبرد الأظافر. قال بنبرة سرد روائيّ، مُقارنة بصوته الطبيعيّ جداً، «إنَّ الكتابين يدوران حول فلاح روسيّ في أوائل القرن، إنسان بسيط جداً، إنسان عادي جداً وعذب وله ذراع مُعاقة. وهذا طبعاً يجعله طبيعيّاً بالنسبة إلى فراني، وهي صاحبة القلب القاسي»، ودار حول نفسه، والتقط سيجارته عن حافة الزجاج المُجمَّد، واستنشق قليلاً من دخانها، ثم بدأ يبرد أظافره. «في البدء، يُخبرنا الفلاح الروسيّ البسيط بأنَّ لديه زوجة ومزرعة. ولكنْ لديه أخ معتوه قام بإحراق المزرعة -ومن ثم، لاحقاً، أعتقد أنّ زوجته تتوفى. على أيّة حال، يبدأ رحلة حجّه. وتكون لديه مشكلة. فقد كان يقرأ الكتاب المُقدَّس طوال حياته، ويريد أنْ يعرف معنى القول الذي ورد في سِفر رسالة بولس الرسول إلى أهل تسالونيكي «صلّ دون توقف». هذه العبارة الوحيدة كانت دائماً تمسسه». تناول زوي سيجارته من جديد، وتنشّق منها، ثم قال «وهناك قول آخر مُشابه في سِفر رسالة بولس

الرسول إلى تيموثاوس- «لذلك سوف أجعل الناس يُصلّون في كل مكان». في الواقع، إنَّ المسيح نفسه يقول، «على الناس جميعاً أنْ يُصلّوا بلا كلل»». استخدم زوي مبرد الأظافر برهة، وعلى وجهه تعبير استثنائيّ في صرامته. ثم قال «على أيّة حال، ينطلق في رحلة حجّه بحثاً عن مُعلّم، عن مُعلّم يُعلّمه كيف يواظب على الصلاة من دون توقف، **وسبب** فعله ذلك. ويمشي ويمشي ويمشي، منتقلاً من كنيسة ومزار إلى آخر، متحدثاً مع هذا الكاهن أو ذاك. إلى أنْ قابل أخيراً راهباً عجوزاً بسيطاً يبدو أنّه يعرف الجواب. ويُخبره الراهب أنَّ الصلاة الوحيدة المقبولة عند الله طوال الوقت، و«يرغبها» الله هي صلاة يسوع - «أيّها الرب يسوع المسيح، ارحمني». في الواقع، إنَّ الصلاة هي «أيّها الرب يسوع المسيح، ارحمني، أنا الآثم البائس». لكنَّ أياً من الشخصين الخبيرين في كلا كتابيّ الحج يُشدِّد -حمداً ***لله***- على الجزء الذي يذكر الآثم البائس. على أيّة حال، يشرح له الراهب ما سيحدث إذا ما تُليت الصلاة من دون توقف، ويعطيه معها عدداً من التمارين العمليّة ويُرسله إلى المنزل. ***وأيضاً*** -باختصار- يُصبح الحاجّ بعد فترة وجيزة ماهراً في الصلاة. يُصبح ضليعاً فيها. أصبح يبتهج بحياته الروحيّة الجديدة، وتابع تجواله في كل أرجاء روسيا -مخترقاً غابات كثيفة، وبلدات، وقُرى، وما إلى ذلك- يتلو صلاته في أثناء ترحاله ويُعلِّم كل شخص يُصادفه كيف يتلوها». رفع زوي بصره عالياً، بفظاظة، ناظراً إلى أمّه. سألها «هل تُصغين إلى هذا؟ أيّتها العجوز الشمطاء البدينة؟ أم تحدّقين فقط إلى وجهي البهيّ؟»

قالت السيدة غلاس، متوثّبة، «طبعاً أنا مهتمّة»

«حسن - لا أريد أحداً يُفسِد الجو هنا» وأصدر زوي قهقهة مرتفعة جداً، ثم استنشق الدخان من سيجارته. ترك السيجارة في مكانها بين إصبعيه واستأنف استخدامه مبرد الأظافر. قال «أول الكتابين الصغيرين، الذي يحمل عنوان «طريق الحاجّ» يتعلّق في الغالب بالمغامرات التي يمرّ بها الحاجّ المسكين على طريقه، بمنْ يُقابل، وبما يقول لهم، وبما يقولون له - بالمناسبة، إنّه يُقابل بعض الناس الظرفاء. والكتاب الثاني، «الحاج يواصل طريقه»، هو في معظمه أطروحة على شكل محاورة حول أسباب ودواعي تلاوة صلاة يسوع. يجتمع فيه الحاج، وبروفسور، وراهب، وما

يشبه الناسك ويُناقشون الأمر كلّه. وهذا حقاً كل ما يدور حوله الكتابان» ألقى زوي نظرة وجيزة إلى أعلى نحو أمه، ثم نقل مبرد الأظافر إلى يده اليُسرى. قال «إنَّ الهدف من كلا الكتابين الصغيرين، إنْ كنتِ مهتمة بذلك، من المُفترَض أنْ يكون بثّ الوعي عند الجميع بشأن الحاجة إلى ***فوائد*** تلاوة صلاة يسوع من دون توقف. أولاً تحت إشراف مُعلِّم متمرِّس -أو ما يشبه المُعلِّم المسيحيّ- ومن ثم، بعد أنْ يُصبح الشخص بارعاً نوعاً ما، يُفترَض به أنْ يستمر في ذلك وحده. والفكرة الرئيسيّة هي أنَّ الصلاة ليست مُخصّصة للورعين وللّذين يضربون على صدورهم. يمكن أنْ تكون منهمكاً في دعك الصندوق المسكين اللعين، ولكن يجب أنْ تتلو الصلاة وأنت تقوم بالدعك. من المتوقَّع أنْ ***يُرافق*** التنوير الصلاة، لا أنْ يحدث قبلها. تجهّمَ زوي، ولكن بطريقة أكاديميّة. «إنَّ الفكرة في الحقيقة هي أنَّ الصلاة تنتقل، آجلاً أو عاجلاً، ومن تلقاء ذاتها، من الشفتين إلى الرأس ونزولاً إلى مركز القلب ويتحول إلى وظيفة آليّة في الشخص، ترافق نبضات القلب. ومن ثم، بعد مرور بعض الوقت، وحالما تُصبح الصلاة عملاً آلياً في القلب، من المُفترَض بالشخص أنْ يلج ما يُسمّى بحقيقة الأشياء. إنَّ الموضوع لا يُطرَح حقاً في أيّ من الكتابَين، ولكن، حسب التعبير الشرقيّ، هناك سبعة مراكز مرهفة في الجسم، تُدعى ***شا-كراس***، والمركز الأوثق صِلة بالقلب هو ***أناهاتا***، المُفترَض أنْ يكون حسّاساً وقويّاً جداً، وعندما يُفعَّل، فإنّه، بدوره، يقوم بتفعيل مركز آخر من تلك المراكز، بين الحاجبين، اسمه ***أجنا*** -إنّه الغدّة الصنوبريّة، أو بالأحرى، الهالة التي تحيط بالغدّة الصنوبريّة- ومن ثم، فجأة، تنفتح ما يُسميها المتصوفون «العين الثالثة». لا شيء جديداً، بحقّ الله. أعني أنَّ الأمر لم يبدأ فقط باجتماع أتباع الحاجّ الوحيد. وفي الهند كان يُعرَف، على امتداد قرون لا حصر لها، باسم ***جابام***. ***وجابام*** هو مجرد تكرار لأي اسم من الأسماء الإنسانيّة لله، أو أسماء تجسّداته - إذا أردتِ التعبير التقني. والفكرة هي أنك إذا هتفتِ باسم الله فترة طويلة وعدداً كافياً من المرّات وبانتظام ومن القلب بالمعنى الحرفيّ، فسوف تحصلين على جواب عاجلاً أو آجلاً. ليس بالضبط جواباً. بل ***استجابة***». فجأة استدار زوي، وفتح

علبة الصيدلية، وأعاد المبرد إلى مكانه، وأخرج عوداً برتقاليّاً[1] رائعاً ثخيناً. قال «مَن الذي كان يستخدم عودي البرتقاليّ؟». جفَّفَ العرق عن شفته العليا بحركة وجيزة من رسغه، ثم بدأ يستخدم العود البرتقاليّ لكي يزيل بثوره المتيبّسة.

استنشقت السيدة غلاس الدخان بعمق من سيجارتها، وهي تراقبه، ثم وضعتْ ساقاً فوق ساق وسألتْ، طالبة، «أهذا ما يُفترَض بفاني أنْ تفعل؟ أقصد أهذا ما تفعل؟»

«أعتقد ذلك. لا تسأليني أنا، اسأليها هي»

رانت فترة صمت وجيزة، تشوبها الريبة. ثم سألت السيدة غلاس بسرعة وبشجاعة، «إلى كم من الوقت يجب أنْ تفعل ذلك؟»

أشرقَ وجه زوي بالسرور، والتفتَ نحوها. قال «تسألين إلى كم من الوقت؟ أوه، ليس لفترة طويلة. إلى أنْ يُقرِّر عمّال الدهان الانتقال إلى غرفتك. بعد ذلك سوف يدخل موكب من القديسين والحكماء البوذيين، حاملين أوعية مملوءة بحساء الدجاج. وتباشر جوقة هول جونسون الإنشاد في الخلفيّة، وتتحرك آلات التصوير وتتركّز على رجل عجوز ظريف يرتدي مئزراً يقفُ مستنداً إلى خلفيّة من رسوم لجبال وسماء زرقاء وسُحب بيضاء، ويرين إحساس بالسكينة على الجميع-»

قالتْ السيدة غلاس «حسن، كفى»

«حسن، يا إلهي. إنني فقط أحاول أنْ أمدّ يد المساعدة. الرحمة. لا أريدك أنْ تخرجي بانطباع بوجود أي -كما تعلمين- مُنغّصات في حياة التديّن. أعني، أنَّ كثيراً من الناس لا يتقبّلونها لمجرّد أنهم يعتقدون أنها سوف تتضمَّن مقداراً من الممارسات المزعجة والمثابرة - تفهمين ما أقصد». كان جليّاً أنْ المتكلِّم كان قد وصل -باستمتاع واضح- إلى ذروة خطابه. هزَّ العود البرتقالي في وجه أمّه برصانة. «حالما نخرج من هذا المزار، آمل أنْ تقبلي مني كتاباً صغيراً لطالما أثار إعجابي. أعتقد أنّه يلمس بعضاً من النقاط الحسّاسة التي ناقشناها هذا الصباح. كتاب «الله هو هوايتي»، من

1- العود البرتقالي: عود رفيع مُدبب من أحد طرفيه يُستخدَم من أجل تلوين الأظافر.

تأليف الدكتور هومر فنسنت كلود بيرسن الابن. في هذا الكتاب الصغير سوف تجدين أنَّ الدكتور بيرسن يخبرنا بوضوح تامّ كيف أنّه وهو في سن الواحدة والعشرين بدأ يوفّر جزءاً من يومه -دقيقتين في الصباح ودقيقتين في الليل، حسبما أذكر- وفي نهاية ***العام الأول*** زاد دخله السنويّ بنسبة أربعة وسبعين في المئة، فقط عبر هذه الزيارات القصيرة غير التقليديّة لله. أعتقد أنَّ في حوزتي نسخة أخرى، وإذا أحسنتِ السلوك-»

قالت السيدة غلاس «أوه، إنَّ التعامل معك صعب». كانت عيناها قد فتشت من جديد عن صديقتها الحميمة ممسحة الحمّام في الجهة المقابلة من الغرفة. جلستْ تُحدّق إليها بينما استمرّ زوي -وهو يُكشّر لكنّه يتفصّد عرقاً غزيراً عند شفته العليا- في استخدام عوده البرتقالي. وأخيراً، أطلقت السيدة غلاس إحدى تنهيداتها العميقة وعادتْ لتركّز انتباهها إلى زوي الذي استدار، وهو يكشط بثوره المتيبّسة، نصف استدارة نحو نور الصباح. وبينما كانت تحفظ خطوط وتخطيطات ظهره العاري الشديد النحول، تخلّى تحديقها عن شروده شيئاً فشيئاً. وفي الواقع، في غضون بضع لحظات بدا أنَّ عينيها تطرحان كل ما هو قاتم وكئيب وتتوهجان باستحسان المُعجبين. قالت، بصوت مرتفع، ومدّتْ يدها لكي تلمس أسفل ظهرها، «إنكّ تزداد ضخامة وجمالاً. كنتُ أخشى أنْ تُسبب لك التمارين الرياضيّة الجنونيّة بعض-»

قال زوي، بحِدّة شديدة، منكمشاً، «هلّا كففتِ؟»

«أكفّ عمَّ؟»

فتح زوي باب الصيدليّة وأعاد إليها العود البرتقاليّ إلى مكانه. قال «فقط كُفّي، لا أكثر. كفّي عن إبداء إعجابك بظهري»، وتناول جورباً من الحرير الأسود كان مُعلّقاً على قضيب تعليق المنشفة وحمله إلى المشعاع. وجلس على المشعاع، على الرغم من شدّة حرارته -أو لأنّه كذلك- وبدأ يرتدي الجورب.

أطلقت السيدة غلاس شخيراً متأخّراً. قالت «لا تريد أنْ أُبدي إعجابي بظهرك - يعجبني هذا التعبر!». لكنّها شعرتْ بالمهانة، وتأذّتْ قليلاً. راقبته وهو يرتدي جوربه، وعلى وجهها تعبير هو مزيج من التأذّي والاهتمام الذي

لا يمكن التحكّم فيه لشخص يتفحّص جورباً مغسولاً بحثاً عن ثقوب منذ سنين عديدة. وفجأة، نهضَتْ واقفة، وهي تُطلق تنهيداً مرتفعاً جداً، وتقدّمتْ من موقع حوض المغسلة الذي كان زوي قد ابتعد عنه، متجهّمة كأنما لتؤدي واجباً. عملها الاستشهادي الصاخب الأول كان فتح صنبور المياه الباردة. قالت بنبرة صوت قصدتْ أنْ تبدو بها مُربِكة، «أتمنى أنْ تتعلّم أنْ تُعيد الأغطية إلى أماكنها كما ينبغي بعد الانتهاء من استخدامها». رفعَ زوي بصره إليها من مجلسه على المشعاع، حيث كان يُثبّتُ الدواعم إلى الجورب. قال «أتمنى أنْ تتعلّمي كيف تغادرين الحفل اللعين بعد انتهائه. أنا جادّ في قولي، غادري الآن، يا بيسي. أريد أنْ أحظى بدقيقة من العزلة هنا -على الرغم من *الفظاظة* التي يبدو عليها كلامي. أولاً، أنا في عجلة من أمري. يجب أنْ أكون في مكتب «الحكيم» عند الساعة الثانية والنصف، ولكن أولاً *أودّ* أنْ أُنجز بعض الأعمال في المدينة. هيا بنا، الآن- ألديك مانع؟». استدارت السيدة غلاس عن أداء واجباتها الصغيرة لكي تنظر إليه وتطرح سؤالاً من النوع الذي لطالما استفزّ، على مرّ السنين، كل فرد من أولادها: «ألن تتناول وجبة الغداء قبل أنْ تغادر؟»

«سوف أتناول وجبة سريعة في المدينة... أين فردة حذائي اللعين الأخرى؟»

حدّقت السيدة غلاس إليه بتمعّن. سألته «ألن تتحدّث مع أختك قبل أنْ تغادر هذا المكان؟»

أجاب زوي، بعد برهة تردُّد، «لا أعلم، يا بيسي. أرجوك، كفّي عن طرح هذا السؤال عليّ. لو كان لديّ أي أمر مُلحّ أقوله لها في صباح هذا اليوم، لفعلت. فتوقفي عن سؤالي». انتعل فردة حذاء وربطها، والفردة الأخرى مفقودة، وفجأة ارتكز على يديه ورُكبتيه وأخذ يُمرِّر إحدى يديه جيئة وذهاباً تحت المشعاع. قال «أه، ها أنتِ ذي يا بنت الحرام». بجوار المشعاع كان هناك ميزان صغير خاص بالحمّام. جلس عليه، وفردة الحذاء المفقودة في يده.

راقبته السيدة غلاس وهو ينتعلها. لكنها لم تمكث ريثما يقوم بربطها.

وبدل ذلك، غادرت الغرفة. ولكن ببطء، بحركة ثقيلة غير متميِّزة -كأنها تجرّ نفسها- شتَّتت انتباه زوي. نظر إليها بتركيزٍ شديد. قالت السيدة غلاس بإبهام، من دون أنْ تلتفت، «لم أعد أعرف ماذا ألمّ بكم أيها الأولاد». توقفتْ عند أحد مناشر المناشف وعدَّلتْ من وضع ممسحة. «في زمن الراديو السالف، عندما كنتم جميعاً صغاراً، كنتم كلّكم غاية في الذكاء والسعادة - *ومحبوبين*. في كل الأوقات». انحنت والتقطتْ عن الأرضيّة القرميديّة ما بدا أنها خصلة من الشعر الإنسانيّ الطويل، والمائل لونه بصورة غامضة إلى الأشقر. وقامت بالتفافةٍ قصيرة وهي تحملها نحو سلّة النفايات، قائلة «لا أعلم ما فائدة الكثير من المعرفة والكثير من الذكاء إذا لم يكن ذلك لجعلك أسعد حالاً». كانت تُعطي ظهرها لزوي وهي تتقدم من جديد من الباب. قالت «على الأقلّ، كلكم كنتم تُعاملون بعضكم بعضاً بعذوبة وبحب وكنتم متعة للناظرين». فتحتِ الباب، وهي تهزّ رأسها أسفاً. قالت بحزم «كنتم فقط متعة للناظرين»، وأغلقت الباب خلفها.

نظر زوي إلى الباب المُغلق، تنفّس بعمق وتنفّس ببطء، وهتف خلفها «إنها كلمات وداع توجّهينها لنفسك، يا صاحبتي!» - لكنّه قالها بعد أنْ تيقّن من أنَّ صوته لن يصِلها في الواقع وهي في الرواق.

لم تكن غرفة جلوس أفراد عائلة غلاس مستعدة لإعادة دهن جدرانها كما ينبغي. كانت فراني غلاس تنام على الأريكة، متدثّرة ببطانيتها الملوّنة. لم تكن السجادة الممدودة من الجدار إلى الجدار قد رُفِعَتْ وطويتْ عند حواشيها، والأثاث -الذي توجد منه كمية كبيرة، كما بدا- كان لا يزال على توزّعه الثابت والمُهيمن المعتاد. لم تكن الغرفة شديدة الاتّساع، حتى حسب معايير شقق ومنازل منطقة مانهاتن، لكنَّ مفروشاتها المتراكمة كانت تُضفي مظهراً أليفاً على قاعة الولائم في مقرّ الآلهة. كانت هناك آلة بيانو ضخمة ماركة ستاينواي (كانت دائماً مفتوحة)، وثلاثة أجهزة راديو (طراز فريشمان إنتاج عام 1927، وطراز ستروميبرغ - كارلسون عام 1932 وطراز R.C.A عام 1941)، وجهاز تلفزيون بشاشة عرضها إحدى وعشرون بوصة، وأربعة أجهزة فونوغراف على شكل طاولة (بالإضافة إلى جهاز فيكترولا إنتاج عام

1920 مُزوّد بمكبر صوت ما زال سليماً، ومُثبّت على الجهة العليا)، والكثير من طاولات خاصة بالسجائر والمجلات، وطاولة للعب البينغ-بونغ ذات حجم عاديّ (الحمد لله، كانت قد تهالكتْ وخُزّنت خلف جهاز البيانو)، وأربعة كراس مُريحة، وثمانية كراس غير مُريحة، وحوض يضم أسماكاً استوائيّة، سِعة اثني عشر غالون (مملوء حتى الزبى، بالمعنى الحرفيّ، ومُضاء بنور مصباحين كهربائيين قوة أربعين واط)، ومقعد للعشاق، والأريكة التي كانت فراني تشغلها، وقَفَصان للعصافير خاليان، وطاولة كتابة من خشب الكرز، وتشكيلة من مصابيح الأرضيّة، ومصابيح الطاولات، ومصابيح «الجسر» تنتشر في جميع أرجاء الداخل المُكتظ كنبات السُمّاق. مجموعة من خزانات الكتب بارتفاع الخصر مُرتّبة على طول ثلاثة جدران، رفوفها مكتظّة بالكتب التي تتدلّى منها بالمعنى الحرفيّ للكلمة - كتب للأطفال، مقرّرات مدرسيّة، كتب مُستعملة، كتب من نوادي الكتب، بالإضافة إلى فيض آخر متنافر من «أجزاء مُلحقة» مُشاعة من الشقّة (أصبح كتاب «دراكولا» الآن يقف جنباً إلى جنب مع «مبادئ لغة بالي»، وكتاب «تحالف الصِبية في سوم» يقع إلى جوار ديوان «دفق الأنغام»، وكتاب «قضية جريمة الخنفسة السوداء» يقف جنباً إلى جنب مع رواية «الأبله»، ورواية «نانسي درو والدَرَج المُستتر» تقع فوق كتاب «الخوف والارتجاف»)، وحتى لو كان في استطاعة فريق من عمال الدهان من ذوي الشجاعة والعزم الفائقين أنْ يتعامل مع خزانات الكتب، لجعلت الجدران نفسها، التي تقع خلفها مباشرة، أي حِرفي بارع يحترم نفسه يُبرِز بطاقته النقابيّة. كان الجصّ -ذو لون أزرق الخزف النفيس، حيثما يُشاهَد- الممتد من قمة خزانات الكتب وحتى مسافة تقلّ عن قَدَم من السقف مكسوّاً بالكامل تقريباً بما يمكن أنْ يُسمّى بعبارة تقريبيّة بـ«لوحات» أي تشكيلة من الصور الفوتوغرافيّة المؤطّرة، ومراسلات شخصيّة ورئاسيّة اصفرَّ لونها، ولوحات فضيّة وبرونزيّة، وتشكيلة واسعة من وثائق تبدو بصورة غامضة كأنها شهادات تقدير، وأشياء بأشكال وأحجام متنوعة تشبه الجوائز، وكلها تشهد، بصورة أو بأخرى، على الحقيقة المُروّعة بأنّه من عام 1927 وحتى الردح الأكبر من عام 1943 كان البرنامج الإذاعي المُسمّى «إنّه طفل حكيم» نادراً ما يُبثّ في الإذاعة من دون أنْ يشترك فيه أحد أفراد عائلة غلاس السبعة

(وغالباً اثنان). (كان بدي غلاس، ذو السنوات الست والثلاثين، المُشارك السابق الحيّ في البرنامج هو الأكبر سناً، وغالباً ما كان يُشير إلى جدران شقّة والديه بأنها أشبه بترنيمة بصريّة لطفولة أميركيّة ذات سِمة تجاريّة وفترة بلوغ مُبكّرة. ولطالما عبَّرَ عن ندمه لأنّ زياراته من الريف قليلة جداً وتتم على فترات متباعدة كثيراً، ويُشير، مُطوّلاً في الغالب، كم كان إخوته وأخواته أوفر حظاً منه، ومعظمهم ما زالوا يعيشون داخل مدينة نيويورك أو حولها). في الواقع، كان مُخطط زخرفة الجدران نتيجة المُخيّلة الطفوليّة -مع موافقة السيدة غلاس الروحيّة وتصديقها الرسميّ الثابت والدائم- للسيد لِسْ غلاس، والد الأطفال، وممثل هزليّ عالميّ سابق ومُعجب دائم وكئيب، بلا أدنى شك، لزخرفة جدار مطعم ساردي الاستعراضيّة. لعلَّ أشدّ إنجازات السيد غلاس المُلهَمة كمُصمم ديكور ظهر خلف وفوق الأريكة التي كانت فراني غلاس حينئذٍ تنام عليها. هناك حُشِرَتْ، في تجاورٍ يكاد يكون متلاصقاً بصورة سِفاحيّة، سبعة مجلدات تضم قُصاصات من صحف ومجلات، عند الحواشي، داخل الجصّ مباشرة. وعلى مرّ السنين، قبعت مجلدات القُصاصات، ببساطة، في حالة استعداد لكي يأتي أصدقاء العائلة المُقرّبون والزوار الطارئون على قدم المُساواة، بالإضافة، ربما، إلى عاملة التنظيف في الشقّة الغريبة الأطوار لتأمّلها والتمعّن فيها.

الجدير بالذكر، أنَّ السيدة غلاس نجحتْ في وقت سابق من صباح ذلك اليوم في القيام بإيماءتين رمزيتين باسم عمال الدهان الواصلين. كان بالإمكان ولوج الغرفة إمّا عبر الصالون أو غرفة الطعام، وعند كلٍ من هذين المدخلين كان هناك باب مزدوج من ألواح الزجاج. ومباشرة بعد الانتهاء من تناول وجبة الإفطار، جرّدت السيدة غلاس الأبواب من ستائرها الحرير ذات الثنيات. ولاحقاً، في لحظة مناسبة، عندما كانت فراني تتظاهر بأنها تختبر كأساً من حساء الدجاج، ارتقت السيدة غلاس لتجلس على حافة النافذة برشاقةِ معزاةٍ جبليّة وجرّدتْ أُطُر النوافذ الثلاث كلها من ستائرها الدمشقيّة الثقيلة.

كان للغرفة واجهة جنوبيّة، واحدة. وعلى الجانب المقابل مباشرة من الشارع كانت هناك مدرسة خاصة للبنات من أربعة طوابق - بناء صلب يبدو متحفظاً ومجهول الهويّة نادراً ما تدب فيه الحياة قبل الساعة الثالثة والنصف

من بعد الظهر عندما يأتي أطفال المدرسة الحكوميّة من الجادتين الثالثة والثانية لكي يلعبوا لعبة تلقّف الحصى أو رمي كرة على الدَرَج الحجريّ. وكان لدى آل غلاس شقّة في الطابق الخامس، طابق أعلى من مبنى المدرسة، وعند تلك الساعة كانت تشع الشمس على سطح المدرسة وتتغلغل من خلال نوافذ غرفة آل غلاس المُجرّدة من الستائر. لم ترحم أشعة الشمس الغرفة. فالأثاث لم يكن فقط عتيقاً، وليس جميلاً البتّة، وممتزجاً بالذكريات وبالعواطف، بل إنّ الغرفة نفسها كانت خلال السنين الغابرة بمنزلة ملعب لمباريات الهوكي وكرة القدم (بالإمساك وبـ«اللمس») ولم تكن هناك أي ساق لأي قطعة أثاث لم تُثلَّم أو تشوّه. كانت هناك نُدُوب أيضاً قريبة جداً من مستوى العين جرّاء تشكيلة هائلة من الأشياء التي يحملها الهواء - أكياس مملوءة بحبّات الفول، وكرات بيسبول، وكرات الكلّة، ومفاتيح للمزلجات، وممحاة للصابون، وحتى، في مناسبة بارزة في أوائل حقبة ثلاثينيات القرن الماضي، رأس طائر لدمية من الخزف. لكنَّ أشعة الشمس كانت ربما أشدّ قسوة على السجادة. في الأصل كان لونها أحمر قانياً -لكنّ اللون ما زال كذلك على ضوء المصباح- والآن يظهر عليها عدد من البقع الباهتة على شكل البنكرياس، وكلها تذكارات غير رومانسيّة تركتها سلسلة من الحيوانات المنزليّة الأليفة. والشمس عند تلك الساعة تمتد أشعتها طويلاً وعميقاً بلا رحمة داخل الغرفة حتى تصل إلى جهاز التلفزيون، وتضربه مباشرة بعينها الصارمة العنيدة.

كانت السيدة غلاس، التي غالباً ما تقوم بالتأمّل عميقاً عند عتبة الخزانات المُبطّنة، قد تركت طفلتها الصغرى تنام على الأريكة بين الأغطية القطنيّة الورديّة اللون، ودثّرتها بغطاء من الكشمير الأزرق السماوي. فراني الآن نائمة على جنبها الأيسر، تواجه خلفيّة الأريكة والجدار، وذقنها مغروز داخل إحدى وسائد الاتّكاء العديدة الموزّعة حولها. فمها مُغلق، ليس بشكلٍ كامل. لكنَّ يدها اليُمنى، الممدودة على الغطاء، لم تكن فقط مضمومة بل مشدودة بإحكام، والأصابع تقبض بشدّة، والإبهام مُقحَم إلى الداخل - وكأنها، وهي في العشرين من العمر، تراجعتْ عائدة إلى دفاعات قبضة اليد الخرساء في غرفة الحضانة. والجدير بالذكر أنّه هنا على الأريكة،

كانت أشعة الشمس، على الرغم من كل قسوتها على باقي أجزاء الغرفة، تتصرَّف بأسلوب جميل. كانت تنتشر على شَعر فراني بالكامل، ذي السواد الفاحم والتسريحة الشديدة الأناقة، وغسلته ثلاث مرّات خلال ثلاثة أيام. وكانت أشعة الشمس، في الحقيقة، قد غمرت كامل غطاء الكشمير، وكان مشهد عبث الضوء الدافئ، البرّاق، على الصوف الأزرق السماوي، بحدّ ذاته يستحق الفرجة.

وقفَ زوي فترة طويلة، وهو لا يزال في الحمّام، مع سيجار مُشتعل في فمه، عند آخر الأريكة، أولاً كان منهمكاً في إقحام طرف قميص أبيض يرتديه، ثم تثبيت أزرار طرفيّ الكُمّين، ومن ثم اكتفى بالوقوف والنظر. كان يرسم تعبير تجهّم خلف سيجاره، وكأنَّ تأثير الإضاءة المُذهلة «ابتكرها» مخرج مسرحيّ رأى أنَّ ذائقته غير أصيلة بصورة أو بأخرى. وعلى الرغم من جمال قسمات وجهه، وعمره، وقامته في المُجمل -مع ما يرتدي من ملابس، بدا كأنّه في العشرين، كأنّه *راقص* رشيق- إلّا أنَّ السيجار لم يكن ملائماً له كثيراً. لسبب واحد، هو أنَّ أنفه لم يكن قصيراً كثيراً. وثمة سبب آخر، هو أنَّ السيجار، مع زوي، لم يكن بشكل واضح أداة تصنّع تليق بشاب صغير. بدأ يُدخن عدداً كبيراً في كل يوم منذ أنْ بلغ سن السادسة عشرة، وأخذ يُدخّن بانتظام من صنف الباناتيللا الغالي الثمن في الغالب - منذ أنْ بلغ سن الثامنة عشرة.

كانت ثمة طاولة لتقديم القهوة من نوع فيرمونت، مستطيلة الشكل وطويلة جداً تقف في موازاة الأريكة وشديدة القُرب منها. عجّلَ زوي بالتقدّم نحوها. أزاح منفضة، وعلبة سجائر فضيّة اللون، ونسخة من مجلة *هاربر بازار*، عن الطريق، ثم جلس مباشرة على المساحة الضيّقة على السطح الرخامي البارد مواجهاً -بل مخيماً تقريباً- فوق رأس فراني وكتفيها. ألقى نظرة سريعة على اليد التي تقبض على غطاء الكشمير الأزرق، ومن ثم قبض، برفق شديد، والسيجار في يده، على كتف فراني. قال «فراني، فرنسيس، هيا بنا، يا صديقتي. كفى هدراً لِما تبقّى من النهار هنا... فلنخرج من هنا، يا صديقتي». استيقظتْ فراني مع إجفال - بل في الواقع، مع ارتجاج، كأنَّ الأريكة ارتطمت تواً بعقبة خطرة. نهضَتْ مرتكزة

على إحدى ذراعيها، وقالتْ «واو» وزمّت عينيها في وجه ضوء النهار. «لِمَ الشمس شديدة السطوع؟». لم تستوعب إلّا قليلاً وجود زوي. كرّرتِ القول «لِمَ الشمس شديدة السطوع؟»

أمعنَ زوي النظر إليها. قال «إنني أحمل الشمس معي أينما ذهبت، يا صديقتي». حدَّقتْ فراني إليه ولا تزال تزُمّ عينيها. سألته «لِمَ توقظني؟». كان النوم لا يزال ثقيل الوطأة عليها بحيث لم تبدُ نكدة، ولكن كان جليّاً أنها كانت تشعر بأنَّ بعض الضيم يسود الجو.

«حسن... إنَّ الأمر على النحو التالي. لقد مُنحنا أنا والأخ أنسيلمو أبرشيّة جديدة. في لابرادور. وتساءلنا إنْ كنتِ تتفضلين علينا بمنحنا بركاتك قبل أنْ...»

كرّرتْ فراني القول «واو!» ووضعتْ يدها على قمة رأسها. كانت تسريحة شعرها القصيرة على الطراز القديم قد نجت تماماً من تأثير نومها. كانت قد جعلته -لحسن حظ الناظر إليها- مفروقاً عند المنتصف. قالتْ «أوه، لقد رأيتُ حلماً فظيعاً». واعتدلتْ في جلستها قليلاً وأغلقتْ بإحدى يديها طرفيّ ياقة رداء نومها المُفصَّل المزوَّد بأربطةٍ من الحرير، بلون البيج، مرسومة عليه أشكال جميلة لأزهار نبات الشاي.

قال زوي، وهو يسحب الدخان من سيجاره «هيا أخبريني إياه، وسوف أفسّره لك». ارتعشتْ. «إنه كابوس فظيع. مملوء ***بالعناكب***. لم يُراودني حلم مملوء بالعناكب كهذا طوال حياتي كلها»

«تقولين إنّه مملوء بالعناكب، هه؟ هذا مُثير للاهتمام الشديد. وينطوي على مغزى. كانت لديّ قضيّة مُثيرة للاهتمام في زيوريخ، قبل أعوام -بطلتها شابة تُشبهك كثيراً، في الواقع-»

قالتْ فراني «اصمتْ لحظة، وإلّا نسيته». وأخذتْ تُحدِّق بإمعان في الفضاء، كما يفعل الذين يُحاولون تذكُّر الكوابيس. كانت هناك أنصاف دوائر تحت عينيها، وثمة علامات أخرى أكثر دقّة تدل على أنها فتاة شابة شديدة الاضطراب، ولكن مع ذلك لا أحد كان يمكن أنْ يغفل عن تمتعها بجمال من الطراز الأول. كانتِ بشرتها ناعمة، وقسمات وجهها رقيقة ومُميَّزة جداً،

وعيناها زرقاوين كعينيّ زوي بالضبط وبصورة مُدهشة، لكنّهما أكثر تباعداً، كما ينبغي لعيني الأخت أنْ تكونا بلا أدنى شك - لم تكونا، إنْ صحّ التعبير، مترعتين بالتجربة على غرار عينيّ زوي. وقبل أربع سنوات، لدى تخرّجها من المدرسة الداخليّة، تنبأ أخوها بدي بينه وبين نفسه بدافعٍ مَرَضيّ، وهي تبتسم له ابتسامة عريضة من مكان وقوفها على منصّة الخريجين، بأنّ هناك احتمالاً كبيراً أنْ تتزوج ذات يوم من رجلٍ يسعل سعالاً جافّاً. وكان *هذا* أيضاً بادياً على وجهها. قالتْ «أوه، يا إلهي، تذكّرتُ الآن! كان شيئاً شنيعاً. كنتُ عند موقع ما من بركة *السباحة* ودفعتني مجموعة من الأشخاص إلى الغوص لكي أُحضِر وعاءً من قهوة ميداغليا دورو موجوداً في القاع.

كنت كلما ظهرتُ على السطح يُجبروننني على الغوص من جديد، وأبكي وأقول للجميع «إنّ كلاً منكم لديه سروال للسباحة، فلِمَ لا تغوصون أنتم أيضاً؟» لكنهم كانوا يكتفون بالضحك ويتفوهون بملاحظات صغيرة وضيعة، وأغوص من جديد». وارتعشتْ مرّة أخرى. «والفتاتان اللتان تُقاسمانني الإقامة في مهجعي كانتا أيضاً هناك، هما ستيفاني لوغان وفتاة أخرى أكاد لا أعرفها - فتاة لطالما شعرت بالرثاء لها، في الواقع، بسبب اسمها الكريه، شانون شيرمن. وكان بحوزة كل منهما مجداف كبير، وكانتا تُحاولان طوال الوقت أنْ *تضرباني* بهما كلما ظهرتُ على السطح». وضعتْ فراني يديها على عينيها برهة؟ «واو!» وهزّتْ رأسها. وأخذتْ تتأمّل. «والشخص الوحيد الذي كان له مُبرِّر في الحلم هو البروفسور توبر. أعني أنّه كان الشخص الوحيد الذي أعلم عِلم اليقين أنّه يمقتني»

«يمقتك؟ هذا شيء يُثير الكثير من الاهتمام». كان سيجار زوي في فمه. أخذ يُديره بحركة بطيئة بين أصابعه، كمُفسِّر الأحلام الذي لا يحصل على كل الحقائق التي تنطوي عليها القضيّة. بدا راضياً جداً. سألها «لِمَ كان يمقتك؟ تعلمين أنكِ إذا لم تكوني صادقة كل الصدق معي سوف أكون عاجزاً-»

«إنّه يمقتني لأنني موجودة في تلك الحلقة الدراسيّة الدينيّة الكريهة التي يُديرها، ولا أستطيع أنْ أبادله الابتسام عندما يتصرّف بصورة ساحرة ورسميّة. إنّه مُعار -*مُستأجَر* أو ما شابه من جامعة أوكسفورد، وهو شخصيّة زائفة، وحزين إلى أقصى درجة ومغرور وله شعر أبيض أشعث يشبه كتلة من

الصوف. وأعتقد أنّه يلجأ إلى مرحاض الرجال ويشوّشه قبل أنْ يهرع إلى قاعة الدرس- أعتقد هذا حقاً. وهو غير متحمّس البتّة للمادة التي يُدرِّسها. يتّصِف بأنانيّة، نعم. أما الحماس فكلا. ولا بأس بهذا -أعني أنّه ليس بالأمر *الغريب*- لكنّه لا يكفّ عن التفوّه بتلميحات حمقاء حول كونه *الرجل العارف بالأمور* وأنَّ علينا أنْ نكون سعداء بوجود رجل مثله في بلدنا» ورسمت فراني ابتسامة عريضة. «والأمر الوحيد الذي يؤديه بحيويّة هو، إلى جانب التباهي بنفسه، تصحيح كلام شخص ما عندما يقول إنَّ شيئاً ما هو سانسكريتي في حين أنّه من جزيرة بالي. إنّه يعرف *بالفطرة* أنني لا أطيقه! كان يجب أنْ ترى التعبيرات التي تسخر منه وأرسمها على وجهي خلف ظهره»

«ماذا كان يفعل عند بركة السباحة؟»

«هذا بالضبط لبّ الموضوع! لم يفعل أي شيء! لا شيء على الإطلاق! كان فقط واقفاً يبتسم *ويراقب*. كان أسوأ الحاضرين هناك»

قال زوي بفتور، وهو ينظر إليها من خلال دخان سيجاره، «تبدين في حالة سيئة جداً. أتعلمين هذا؟»

حدّقتْ فراني إليه. قالت «كان يمكن لك أنْ تجلس حيث أنت طوال الفترة الصباحيّة من دون أنْ تقول أيّ شيء»، ثم أردفت، بكلام ذي مغزى، «ولكن لا تتهجّم عليّ من جديد، وأنت مُشرِق في الصباح الباكر، يا زوي، أرجوك، أنا جادّة الآن»

قال زوي، بنبرة فاترة، «لا أحد يتهجّم عليك، يا صاحبتي. لقد تصادفَ أنْ كان مظهرك مُشوّشاً، لا أكثر. لِمَ لا تأكلين شيئاً؟ تقول بيسي إنَّ لديها بعض حساء الدجاج هناك وهي-»

«إذا ذكر أي شخص حساء الدجاج أمامي مرّة أخرى فقط-» لكنَّ انتباه زوي كان قد تشتّت. كان ينظر إلى غطاء الكشمير الذي غمرته أشعّة الشمس ويُغطي ربلتيّ ساقيّ فراني وكاحليها. قال «مَنْ هذا؟ أهو بلومبيرغ؟» ومدَّ إصبعاً وجسَّ برفق انتفاخاً كبيراً وغريب الشكل وشبه متحرِك تحت غطاء الكشمير. «بلومبيرغ؟ أهذا أنت؟». تحرّك الانتفاخ. عندئذٍ لاحظت فراني أيضاً وجوده. قالت «لا أستطيع التخلّص منه. لقد أصبح فجأة مُدلّهاً بحبّي».

تمدَّد بلومبيرغ بسرعة تحت انتباه إصبع زوي المتفحّصة، ثم بدأ يتسلّل ببطء نحو منطقة حِجر فراني المفتوحة. وحالما برز رأسه غير الجذّاب إلى ضوء النهار، وأشعة الشمس، أمسكت فراني به من كتفيه ورفعته وقرّبته منها في عناق حميم. قالت «صباح الخير، عزيزي بلومبيرغ!» وقبّلته بشوق بين عينيه، وطرف بعينيه بنفور. «صباح الخير، أيّها القط العجوز البدين الكريه الرائحة. صباح الخير، صباح الخير، صباح الخير!»، وأخذت تُمطره بالقبلات، لكنَّ ذلك لم يُحرِّك فيه أيّة عاطفة متبادلة. وقام بمحاولة حمقاء وعنيفة للوصول إلى ترقوة فراني. كان قطاً «مخصيّاً» ضخم الجثّة مبرقشاً باللون الرمادي. قالت فراني مُبدية إعجابها «أليس مُحبّاً؟ لم أره من قبل مُحبّاً هكذا»، ونظرتْ إلى زوي، ربما طلباً للدعم، لكنّ تعبير وجه زوي من خلف سيجاره، كان ملتبساً. «لاطفْه، يا زوي. انظر كم هو ظريف. ***لاطفه***»

مدَّ زوي يده وداعب ظهر بلومبيرغ المُقوّس، مرّة، ومرّتين، ثم توقف، ونهضَ عن طاولة شرب القهوة ومشى مترنحاً عبر الغرفة باتجاه جهاز البيانو. كان الجهاز قائماً بوضعٍ جانبي ومفتوحاً عن آخره، بكل ضخامته السوداء التي تتسم بها ماركة ستاينواي، قبالة الأريكة، وكان مقعده يقع مباشرة تقريباً أمام فراني. جلس زوي على المقعد بتردُّد، ثم نظر باهتمام واضح إلى صفحة النوتة الموسيقيّة القابعة على الحامل.

قالت فراني «إنّه يعجّ بالقمل وهذا شيء شنيع». عبثتْ قليلاً مع بلومبيرغ في محاولة لدفعه إلى الانصياع واتّخاذ وضعيّة الاسترخاء. «ليلة أمس عثرت فيه على أربع عشرة قملة، على جانب واحد فقط»، وسدّدتْ إلى ورك بلومبيرغ دفعة قوية، نحو الأسفل، ثم نظرتْ إلى زوي. سألته «على أيّة حال، كيف وجدتَ المخطوط؟ هل انتهيت من العمل عليه أخيراً ليلة أمس، أم ماذا؟»

لم يُجِبها زوي. قال، ولا يزال ينظر إلى صفحة النوتة الموسيقيّة على الحامل، «يا إلهي، مَن أحضرَ هذه؟». كان عنوان الصفحة «لستَ مُضطراً إلى أنْ تكون خسيساً، يا حبيبي». كان عمرها حوالي أربعين عاماً، وعلى الغلاف نسخة مرسومة لصورة تبيِّن السيد والسيدة غلاس. السيد غلاس يعتمر قبعة مع ذيل، وكذلك كانت السيدة غلاس. كانا يبتسمان ابتسامة مُشرقة لآلة التصوير، وكلاهما يتكآن مع ميل إلى الأمام على عصويهما، وسيقانهما متباعدة.

سألته فراني «ما هذا؟ لا أرى؟»

« إنهما بيسي ولس. ومكتوب: لستَ مُضطراً إلى أنْ تكون خسيساً، يا حبيبي»

قهقهت فراني «أوه، لس كان مستغرقاً في الذكريات ليلة أمس. لمصلحتي. يعتقد أنَّ لديّ وجعاً في معدتي. وأخرج كل صفحة من صفحات النوتة الموسيقيّة في المقعد كلّه»

«إنني مهتم بمعرفة كيف بحق الله وصلنا إلى هذه الغابة اللعينة، انطلاقاً من عبارة «لستَ مُضطراً إلى أنْ تكون خسيساً، يا حبيبي». فكّري في الأمر»

قالتْ فراني «لا أستطيع. لقد حاولت. كيف وجدتَ المخطوط؟ هل وصل؟ لقد قلتَ إنَّ ما اسمه -السيد لوساج أو كائناً ما كان اسمه- سوف يتركه مع البوّاب قبل أنْ-»

قال زوي «وصل، وصل. لا يهمني الكلام عنه». وضع السيجار في فمه، وبدأ بيده اليُمنى يعزف بداية بالمفتاح الثلاثيّ، بمجموعة ثُمانيّة، لحن أغنية اسمها «الكينكاجو»، التي من الواضح أنها أصبحت في طيّ النسيان حتى قبل أنْ يولَد. قال «ليس أنه وصل فقط، بل إنَّ ديك هسّ اتّصل بي هنا في الساعة الواحدة ليل أمس -بُعيد انتهاء *شجارنا* الصغير- وطلب مُقابلتي لنتناول مشروباً، ابن الحرام ذاك. في مقهى سان ريمو. إنّه يستكشف منطقة ذا فيليج. يا إلهي!»

قالتْ فراني، وهي تراقبه، «لا تضرب بقوة على مفاتيح البيانو. سوف أصبح قائدة الفرقة الموسيقيّة الخاصة بك إذا بقيتَ جالساً هناك. هذه أول مرّة أعمل قائدة فرقة موسيقيّة. لا تضرب بقوة على مفاتيح البيانو»

«أولاً، هو يعلم أنني لا أشرب الخمر. وثانياً، هو يعلم أنني وُلِدتُ في نيويورك وأنّه إنْ كان هناك شيء واحد لا أطيقه فهو الجوّ العام. وثالثاً، هو يعلم أنني أُقيم على مسافة من منطقة فيليج، ورابعاً، لقد أخبرته ثلاث مرّات أنني أرتدي البيجاما والخفّ»

أخذتْ فراني تعطي توجيهاتها، وهي تُلاطف بلومبيرغ، «لا تضرب بقوة على مفاتيح البيانو»

«ولكن كلا، الأمر لا يتحمّل الانتظار. يجب أنْ يُقابلني في الحال. الأمر غاية في الأهميّة. إنّه جادّ، يجب أنْ يراني الآن. كن طيباً ولو مرة واحدة في حياتك واستقلّ سيارة أجرة وتعال إلى هنا»

«وهل ذهبت؟ لا تغلق غطاء البيانو أيضاً بقوة. هذه ثاني مرّة-»

قال زوي «طبعاً ذهبتُ! إنَّ إرادتي ليست قويّة!». أغلقَ غطاء البيانو، بنزق ولكن ليس بعنف. «إنَّ مشكلتي هي أنني لا أثق بأي شخص من خارج مدينة نيويورك، مهما طال أمد إقامته هنا. دائماً أخشى أنْ يتعرَّض للدهس بالسيارة، أو للضرب، وهو منهمك في استكشاف أحد المطاعم الأميركيّة الصغيرة في الجادّة الثانية. أو أي شيء لعين». نفثَ بكآبة دفقاً من دخان السيجار فوق عبارة «لستَ مُضطراً إلى أنْ تكون خسيساً، يا حبيبي». قال «وهكذا، ذهبتُ إلى هناك. ووجدتُ الأخ ديك. جالساً، غارقاً في ***الحزن***، مهموماً بما يحمل من أخبار هامة لا يمكن أنْ تنتظر حتى هذا اليوم. كان جالساً على طاولة يرتدي بنطلون جينز وسترة رياضيّة قبيحة. كمنفيّ من ديه موان في نيويورك. أُقسِم بالله كان في وسعي أنْ أقتله. ما كان أسوأها من ليلة. جلستُ هناك على مدى ساعتين كاملتين أُصغي إليه وهو يُخبرني كم أنا ابن حرام رائع وكيف أنني نتاج عائلة من العباقرة المُصابين بالذهان والمُضطربين عقليّاً. وبعد أنْ انتهى من تحليل شخصيتي -***وشخصيّة*** بدي، ***وشخصيّة*** سيمور، اللذين لم يُقابلهما قط- وعندما وصل إلى ما يشبه الطريق المسدود ولم يعرف هل سيكون نسخة قوية من الكاتبة كوليت أو نسخة قصيرة القامة من الكاتب توماس وولف حتى آخر السهرة، فجأة أخرج حقيبة أوراقه الضخمة المُصنّفة بدقّة من تحت الطاولة ورمى تحت ذراعي مخطوطاً جديداً، طوله ساعة»، وقام بإشارة في الهواء بإحدى يديه كأنّه يُنهي الموضوع. لكنّه نهضَ عن مقعد البيانو بتململ شديد بحيث لم يبدُ أنَّ الموضوع قد انتهى حقاً. كان سيجاره في فمه، وكانت يداه داخل جيبيه الجانبيين. قال «طوال أربعة أعوام وأنا أستمع إلى بدي وهو يتكلَّم عن الممثلين. يا إلهي، كم كان في وسعي أنْ أُصغي إليه وهو يتكلَّم عن كتّاب أعرفهم». وقف في حالة تشتّت للذهن برهة، ثم بدأ يتحرّك بلا هدف. ثم توقف عند جهاز فيكترولا إنتاج عام 1920، وألقى إليه نظرة بلا معنى، ونبح، مرّتين، من باب التسلية، داخل مكبر صوت

جهاز الميغافون. قهقهت فراني وهي تراقبه، لكنّه تجهّم، وتابع تحرّكه. وعند حوض السمك الاستوائيّ، الموضوع فوق قمة جهاز الراديو ماركة فريشمان إنتاج عام 1927 انحنى على عجل، وأخرج السيجار من فمه. أمعن النظر في الحوض باهتمام واضح. قال «إنّ أسماكي المُلوّنة كلها تموت»، ومدَّ يده، بحركة آليّة، نحو وعاء طعام السمك الموجود إلى جوار الحوض.

حذّرته فراني قائلة «هذا الصباح قامت بيسي بإطعامها». كانت لا تزال تداعب بلومبيرغ، ولا تزال تساعده، عنوة، على ولوج العالم المُرهف والصعب الكائن خارج غطاء الكشمير.

قال زوي «تبدو شديدة الجوع»، لكنّه سحب يده بعيداً عن طعام السمك. «هذه السمكة تبدو مرهقة»، ونقر الزجاج بظفر إصبعه. «أنتِ في حاجة إلى بعض حساء الدجاج، يا صاحبتي»

قالت فراني، لكي تلفتَ انتباهه، «زوي، كيف هو الوضع الآن؟ أصبح في حوزتك مخطوطان جديدان. أيّهما الذي أوصله لوساج بسيارة أجرة؟»

استمرّ زوي في النظر بتمعّن إلى السمك بعض الوقت، ثم قام بدافعٍ مُفاجئ ولكنه مُلحّ بشكلٍ واضح بالتمدُّد على ظهره على السجادة. قال، واضعاً ساقاً فوق ساق، «بالنسبة للمخطوط الذي أرسله لوساج، من المُفترَض بي أنْ أقوم بدور ريك *تشالمرز*، أُقسِم بالله، في مسرحيّة صالونات هزليّة من إنتاج عام 1928 مأخوذة مباشرة من البرنامج الفرنسيّ. الفرق الوحيد هو أنّه تمّ تحديثها بشكل رائع واللجوء إلى الكثير من الرطانة حول عقد، ووسائل قمع، وحالات تسام، يجلبها الكاتب معه إلى المنزل من عيادة المُحلِّل النفسيّ»

نظرتْ فراني إلى ما كان يمكن أنْ تراه منه. لم يكن يظهر منه غير أخمصَي قدميه وكاحليه من مكان جلوسها. سألته «وماذا عن مخطوط ديك؟ ألم تقرأه بعد؟»

«في مخطوط ديك، يمكن أنْ أقوم بدور بيرني، وهو حارس شاب حسّاس في قطار نفقيّ في أشد ما يمكن أنْ تقرئي من أعمال تلفزيونيّة غرابة ويدل على شجاعة»

«أأنت جادّ؟ أهو حقاً جيّد؟»

«أنا لم أقُلْ إنه جيد. بل قلت يدل على *شجاعة*. فلنركز على هذه النقطة، يا صاحبتي. في صباح اليوم التالي بعد تقديم العمل، سوف يتبادل الجميع الصفع على الظهر في مهرجان من الاستحسان الجماعيّ. لوساج، وهسّ، وبوميروي، رعاة الحدث. كامل المجموعة الشجاعة. سوف يبدأ الأمر كلّه بعد ظهيرة هذا اليوم، هذا إذا لم يكن قد بدأ فعلاً. سوف يذهب هسّ إلى غرفة مكتب لوساج ويقول له «سيد لوساج، سيدي، لديّ مخطوط جديد يحكي عن حارس شاب حسّاس في قطار نفقيّ يتّصِف بالشجاعة وبالاستقامة. وحسب عِلمي، يا سيدي، بالإضافة إلى حبّك للمخطوطات ذات الطابع الرقيق والمؤثّر، تحبّ أيضاً المخطوطات التي تتحدث عن الشجاعة والاستقامة. وهذا المخطوط، يا سيدي، كما أقول، يعجّ بكليهما. وهو مملوء بالنماذج المُختلَطة، ورومانسيّ، وعنيف في مواقع معيّنة. وبينما المشاكل تستنزف قِوى حارس القطار النفقيّ الحسّاس، وتُدمّر إيمانه بالجنس البشريّ وبالأناس الضعفاء، تندفع نسيبته ذات السنوات التسع عائدة من المدرسة إلى المنزل وتمنحه بعض الفلسفة الشوفينيّة الجميلة الجاهزة، التي ورثناها عبر الأجيال والرمز البريديّ P.S. 564 من زوجة أندرو جاكسون المنحدرة من مناطق متخلّفة. لا يمكن لهذا العمل أنْ يفشل، يا سيدي! إنه واقعيّ، وبسيط، وغير حقيقيّ، وهو مألوف وتافه إلى درجة أنّه يمكن لرعاة عملنا الأميين، والعصبيين، والنهمين، أنْ يفهموه ويحبّوه» ونهضَ زوي قليلاً لكي يتخذ وضعيّة الجلوس. علّقَ قائلاً «لقد أخذتُ حمّاماً تواً وأنا أتصبب عرقاً كخنزير». نهضَ واقفاً على قدميه، ثم ألقى نظرة خاطفة على فراني، على الرغم من عدم رغبته في ذلك. وأوشك أنْ يُشيح ببصره بعيداً، لكنّه غيَّر رأيه وأمعنَ أكثر النظر إليها. كانت تنظر إلى أسفل، وتركّز نظرها على بلومبيرغ، الجالس على حجرها، واستمرت في مُداعبته. لكنَّ تغييراً طرأ. قال زوي «أه»، واقتربَ أكثر من الأريكة، يبدو عليه الاضطراب الواضح، «إنَّ شفتَي المدام تتحرّكان. والصلاة تبدأ». لم ترفع فراني بصرها. سألها «ماذا تفعلين بحق الله؟ أتتهرّبين من موقفي غير المسيحيّ من الفنون الشعبيّة؟»

هنا رفعت فراني بصرها، وهزّتْ رأسها نفياً، وطرفت بعينيها. ابتسمتْ له. في الواقع كانت شفتاها تتحركان، وهما تتحركان الآن.

قال زوي، بهدوء، «لا تبتسمي لي هكذا، من فضلك»، وخرج من المكان. «لطالما كان سيمور يفعل ذلك معي. إنَّ هذا المنزل اللعين مُلوَّث بالمبتسمين». وعند إحدى خزانات الكتب دفع أحد الكتب المُحايدة بإبهامه قليلاً ليُصحح وضعه، وتابع طريقه. تقدَّم من النافذة الوسطى في الغرفة، التي كان يفصلها عن طاولة خشب الكرز التي تُسدّد السيدة كلاس عليها الفواتير وتُحرر الرسائل مقعدُ نافذة. وقفَ يطلّ منها، مُعطياً ظهره لفراني، واضعاً من جديد يديه داخل جيبيّ ردفيه، وسيجاره في فمه. سأل، بانفعال، «هل عِلمتِ أنني قد أذهب إلى فرنسا خلال هذا الصيف لكي أُصور فيلماً؟ هل أخبرتك بهذا؟»

نظرتْ فراني إلى ظهره باهتمام. قالتْ «كلا، لم تُخبرني. أأنت جادّ؟ أي فيلم؟»

نظر زوي عبر الشارع إلى سقف المدرسة المرصوفة بالحصى، وقال «أوه، إنها قصّة طويلة. يوجد هنا شخص فرنسيّ سمع عن ألبوم أنجزته مع فيليب. وفي أحد الأيام قبل بضعة أسابيع تناولت الغداء معه. إنّه يهوديّ تافه، لكنّه محبوب، ويبدو أنّه الآن متحمس هناك»، ووضع إحدى قدميه على مقعد النافذة. «لم نتّفق بعد على أي شيء -لا شيء يُبتّ فيه مع أمثال ذلك الشخص- ولكنْ أعتقد أنني أقنعته تقريباً بفكرة صناعة فيلم مأخوذ من رواية ذلك المدعو لينورمان. تلك التي أرسلتها إليك»

«نعم! أوه، شيء *مُثير*، يا زوي. إذا ذهبت، متى في اعتقادك سيحدث ذلك؟»

«إنَّ الأمر *ليس* مُثيراً. هذه بالضبط هي النقطة الهامّة، سوف يُسعدني القيام به، نعم. يا الله، نعم. ولكن أكره كثيراً أنْ أغادر نيويورك. إنْ كان لابد لكِ أنْ تعرفي، أقول إنني أكره كل ما يمكن أنْ يُسمّى النوع الخلّاق الذي يركب أيّة موجة. لا تهمني الأسباب. لقد *وُلِدتُ* هنا. والتحقتُ *بالمدرسة* هنا. *ودهستني* سيارة هنا - مرتين، وفي *الشارع* اللعين نفسه. لا مصلحة لي في التمثيل في أوروبا، وحقّ الله»

حدّقتْ فراني متفكّرة في ظهره الذي يرتدي قميصاً أبيض. لكنَّ شفتيها كانتا مع ذلك لا تزالان تُشكلان كلمات خرساء. سألتْ «فلماذا ستذهب، إذن؟ إنْ كان هذا هو شعورك»

قال زوي، من دون أنْ يلتفت، «تسألين لماذا أذهب؟ سوف أذهب في المقام الأول لأنني سئمت الاستيقاظ صباحاً غاضباً والإيواء إلى السرير ليلاً وأنا حانق. سوف أذهب لأنني أتعرَّض لحُكم كل ابن حرام تافه، مريض، أعرفه. وهذا بحدّ ذاته لا يزعجني كثيراً. على الأقلّ، أنا أحكم من أعماقي، وأعلم أنني سوف أدفع ثمن كل حكم أُطلقه، عاجلاً أو آجلاً، بصورة أو بأخرى. ***وهذا*** لا يزعجني كثيراً. ولكن ثمة شيء -يا يسوع المسيح- هناك شيء أقوم به لمعنويات الناس في مدينة لم أعُد أتحمّل مراقبتها. سوف أخبرك بدقّة لماذا سأذهب. إنني أجعل كل شخص يشعر بأنّه لا يرغب حقاً في أنْ يُنجز أي عمل جيد بل بأنه فقط يريد أنْ يُنجز عملاً يعتبره كل شخص يعرفه جيداً - أي النقّاد، ورعاة البرامج، والجمهور، حتى معلّمة أولاده في المدرسة. هذا ما سأفعل. وهو أسوأ ما يمكن أنْ أفعل». تجهّم في وجه سطح المدرسة، ثم ضغط بأطراف أصابعه بعض حبّات العرق وأبعدها عن جبينه. والتفتَ، بسرعة، في اتجاه فراني عندما سمعها تقول شيئاً. قال «ماذا قلتِ؟ لا أسمعك»

مكتبة

«لا شيء. قلت، أوه، يا إلهي»

t.me/soramnqraa

سألها زوي، بنزق، «لِمَ قلتِ « أوه، يا إلهي»؟»

«بلا سبب. لا تثب عليّ، من فضلك. كنتُ فقط أفكّر، لا أكثر. أتمنّى فقط لو أنك رأيتني في يوم السبت. أنت تتحدث عن تدمير معنويات الناس! لقد ***دمّرتُ*** نهار لين كلّه. إنني لست فقط أفقد وعيي وأنا معه في كل ساعة من ساعات النهار لكنني هنا قطعتُ المسافة من هناك إلى هناك لكي أشاهد مباراة كرة قدم جميلة، وديّة، عاديّة، مرحة، ومن المفترَض أنْ تكون ممتعة، وكل ما قال هاجمته أو ناقضته أو اكتفيتُ بإفساده - لا أعلم لماذا». هزّت فراني رأسها. كانت لا تزال تداعب بلومبيرغ، ولكن بشرود. بدا أنَّ جهاز البيانو هو نقطة تركيزها. قالتْ «***لم أتمكّن*** من الاحتفاظ برأي واحد لنفسي.

كان شيئاً مُريعاً. ومنذ اللحظة الأولى تقريباً للقائه بي في المحطة وأنا أنتقد وأنتقد وأنتقد آراءه كلها وقيمه و- تقريباً كل شيء. ولكن *كل شيء*. كان قد كتب أطروحة اختباريّة غير مؤذية على الإطلاق عن فلوبير كان فخوراً بها وطلب مني أنْ أقرأها وبدتْ لي ذات صِبغة رسميّة ومتكبّرة في نبرتها ومدرسيّة بحيث أنَّ كل ما فعلت هو-» وسكتت فجأة. ومرّة أخرى هزّتْ رأسها نفياً، وزمّ زوي عينيه وهو ينظر إليها، في شبه تركيز ناحيتها. وازدادتْ شحوباً، كأنها خرجت تواً من عملية جراحيّة، أكثر مما بدت إبّان استيقاظها. قالتْ «من العجيب أنّه لم يقتلني. لو أنّه فعل لهنأته على ذلك»

قال زوي، واستمر في الإطلال من النافذة، «لقد قلتِ لي هذا ليلة أمس. لا أريد أيّة ذكريات بائتة هذا الصباح، يا صاحبتي. أولاً، أنتِ تخرجين عن الموضوع كثيراً عندما تبدأين بلوم *الأشياء* والناس بدل أنْ تلومي نفسك. كلانا نفعل ذلك. أنا أفعل الشيء اللعين نفسه فيما يخصّ التلفزيون - وأعي هذا. لكنّه أمر *خاطئ*. إنَّ الخطأ خطأنا. دائماً أقول لك هذا. فلِمَ أنتِ دائماً تصرّين على فعل ذلك؟»

«أنا لا *أصرّ*، لكنك دائماً-»

يُكرِّر زوي القول، مُقاطعاً إياها، «إنّه خطأنا نحن. نحن غريبا الأطوار، هذا كل ما في الأمر. ابنا الحرام هذان نالا منا في وقتٍ مُبكِّر وجعلا منا غريبيّ الأطوار لهما معايير غريبة، هذا كل ما في الأمر. نحن السيدة ذات الوشم، ولن نحظى أبداً بلحظة سكينة حتى آخر حياتنا، إلى أنْ يحصل الجميع أيضاً على وشم». وضع السيجار في فمه، بكآبة أكثر قليلاً، وأخذ يسحب الدخان منه، لكنّه كان قد خمد. قال في الحال، «وفوق ذلك كله، نحن نتصف بعقدة برنامج «الطفل الحكيم»، ولم نخرج من جوّه العام. كلنا. نحن لا نتكلّم، بل نُلقي خُطباً. نحن لا نتحدث، بل نفسِّر. على الأقلّ *أنا* أفعل هذا. إنني حالما أنفرد مع شخص ما يتمتّع بالقدرة الصحيحة على الإصغاء في غرفة، فإنني إمّا أتحوّل إلى عرّاف لعين أو إلى دبوس إنساني لتثبيت القبعات. أمير المُملّين. *ليلة أمس*، على سبيل المثال. في سان ريمو. ظللتُ أبتهل لله كي لا يكشف همّ عن حبكة مخطوطه الجديد. كنتُ أعلم جيداً أنَّ *لديه* مخطوطاً. وأعلم جيداً أنني لن أغادر ذلك المكان قبل أنْ آخذ معي ذلك المخطوط

إلى المنزل. لكنني بقيتُ أبتهل لله لكي يعفيني من إعطائه مُراجعة شفوية. إنه ليس أحمق. هو *يعلم* أنَّه من المستحيل أنْ أمنع نفسي عن الكلام». فجأة، التفتَ زوي بحِدّة، من دون أنْ يُنزِل قدمه عن مقعد النافذة، والتقط، أو خطفَ، علبة كبريت كانت على طاولة كتابة أمّه. ثم التفتَ نحو النافذة ونحو مشهد سطح المدرسة ووضعَ من جديد سيجاره في فمه - لكنّه عاد فأخرجه في الحال من جديد. قال «*اللعنة* عليه، على أي حال. إنّه شديد الحمق حتى يكاد قلبك يتحطّم. إنّه يُشبه كل مَنْ يظهر في التلفزيون. *وفي* هوليوود. *وفي* برودواي. إنه يعتقد أنَّ كل ما هو رومانسي يدلّ على الرقّة، وأنَّ كل ما هو *متوحش* جزء من الواقعيّة، وأنَّ كل ما يتحول إلى عنف جسديّ هو ذروة شرعيّة لشيءٍ ليس حتى-»

«هل *أخبرته* بهذا؟»

«طبعاً أخبرته! بل لقد أخبرته بأنني لا أستطيع أنْ ألزم الصمت. حتماً أخبرته بذلك! تركته جالساً هناك يتمنّى الموت. أو يتمنّى أنَّ يموت *أحدنا* - تمنيتُ لو أنني أنا الذي يموت. على أية حال، كان مَخرجاً حقيقيّاً جديراً بسان ريمو». أنزلَ زوي قدمه عن مقعد النافذة. واستدار، يبدو علية التوتّر والغضب، وقرّبَ الكرسي من طاولة كتابة أمّه وجلس عليه. أعاد إشعال سيجاره، ثم انحنى إلى الأمام، متململاً، وكلتا ذراعيه على سطح خشب الكرز. كان هناك غرض تستخدمه أمّه كثقّالة أوراق إلى جوار المَحبرة: عبارة عن كرة صغيرة من الزجاج قائمة على قاعدة من البلاستيك الأسود، تحتوي رجل ثلج يعتمر قبعة من قمع مدفأة. رفعها زوي، وهزّها، وجلس يراقب ما بدا أنها رقائق من الثلج تدوِّم.

كانت فراني تراقبه وهي تضع إحدى يديها قناعاً على عينيها. وكان زوي جالساً داخل امتداد أشعة الشمس في الغرفة. ربما كان يجب أنْ تغيِّر وضعيّة جلوسها على الأريكة، إذا أرادتْ أنْ تستمر في النظر إليه، لكنَّ هذا سوف يُزعج بلومبيرغ، الجالس على حجرها، ويبدو نائماً. فجأة سألته «أحقاً أنت مُصاب بالقرحة؟ أمي تقول إنَّ لديك قرحة»

«*نعم*، *أنا* مُصاب بالقرحة، يا يسوع المسيح. هذا كاليوغا، يا صاحبتي،

العصر الحديديّ. إنَّ كل مُراهق ليس مُصاباً بالقرحة هو جاسوس لعين». قام من جديد بهزّ رجل الثلج بحيويّة. قال «الأمر الغريب هو أنني مُعجَب بهسّ. أو على الأقلّ أنا أُعجَب به عندما لا يفرض عليّ فقره الفنيّ. على الأقل هو يضع ربطة عنق شنيعة ويرتدي بذلة مُبطّنة غريبة الشكل في قلب مستشفى المجانين المُخيف ذاك، بجوّه المُحافِظ والمتكيِّف إلى أقصى مدى. وأنا مُعجب بغروره. إنَّ ابن الحرام المجنون شديد الغرور إلى درجة أنّه في الحقيقة متواضع. أعني أنّه من الواضح أنّه يعتقد أنَّ التلفزيون جيد ويستحقّه ويستحق موهبته الهائلة «فوق العاديّة»، الزائفة -الشُّجاعة- وهذا نوع جنونيّ من المهانة، إذا شعرتَ برغبة في التفكير فيه»، وأخذ يُحدّق في الكرة الزجاجيّة إلى أنْ بدأت العاصفة الثلجيّة تهدأ قليلاً. «بصورة ما، أنا مُعجَب، أيضاً، بلوساج. إنّه يمتلك أفضل ما يمكن امتلاكه - معطفه، وزورقاً للرحلات يتألّف من مقصورتين، والدرجات التي حصل عليها ابنه من جامعة هارفرد، وآلة حلاقة كهربائيّة، كل شيء. ودعاني ذات مرّة إلى منزله على مائدة العشاء واستوقفني على ممشى السيارة لكي يسألني إنْ كنتُ أتذكَّر «المرحومة الممثلة كارول لومبارد، في أفلامها السينمائيّة»، وحذّرني قائلاً إنني سوف أُصدَم عندما سأُقابل زوجته، فهي نسخة طبق الأصل في شبهها بكارول لومبارد. وأعتقد أنني سوف أبقى مُعجباً به حتى مماتي. وقد اتّضح أنَّ زوجته شقراء على الطريقة الفارسيّة، ناهدة الصدر ومُتعبة». استدار زوي بسرعة نحو فراني التي كانت تفعل شيئاً ما. سأل «ماذا؟»

كررتْ فراني القول «نعم!» - كان وجهها شاحباً، لكنه مُشرق، ومن الواضح أنّه كان مُقدَّراً لها أيضاً أنْ تُعجَب بلوساج حتى الموت.

تابع زوي تدخين سيجاره برهة بصمت. قال «إنَّ ما أغضبني من ديك هسّ، ما *أحزنني* بشدّة، أو ما أثار حنقي، أو مهما كانت حالتي، هو أنَّ المخطوط الأول الذي أنجزه لمصلحة لوساج كان جيداً جداً. في الحقيقة كان *تقريباً* جيداً. كان أول مخطوط حوّلناه إلى فيلم سينمائيّ - لا أعتقد أنكِ شاهدته، كنتِ حينئذٍ في المدرسة أو ما شابه. قمتُ فيه بدور مزارع شاب يعيش وحده مع والده. وشعر الفتى بأنّه يكره الزراعة، وكان دائماً يجد هو ووالده مشقّة في كسب عيشهما، ولذلك حالما توفي والده، قام ببيع قطعانه

كلها ووضع خططاً كبيرة للانتقال إلى المدينة الكبيرة وكسب عيشه هناك».
رفع زوي من جديد كرة رجل الثلج لكنّه لم يهزّها - بل اكتفى بإمساكها من القاعدة وتقليبها. قال «كان النص يضمّ بعض الأشياء الصغيرة الجميلة. فبعد أنْ أبيع الأبقار كلها، أستمرّ في التردُّد على المرج بحثاً عنها. وعندما أخرج مع فتاتي في نزهة وداع، قُبيل أنْ أغادر إلى المدينة الكبيرة، أحثّها للتوجّه إلى المرج الخالي. ثم، عندما أصل إلى المدينة الكبيرة وأحصل على عمل، أقضي معظم وقت فراغي في التسكّع حول مواقع بيع الماشية. وأخيراً، بينما أكون وسط حركة المرور المزدحمة في الشارع الرئيس في المدينة الكبيرة، تنعطف إحدى السيارات يساراً وإذا بها تتحول إلى بقرة. فأركض خلفها، وتتغير أضواء حركة المرور، وأُدهَس تحت إحدى السيارات - ويفرّ السائق». هزّ رجل الثلج. «وربما هذا ليس بعيداً عمّا يمكن أنْ تشاهديه وأنتِ تقصّين أظافر أصابع قدميك، ولكن على الأقلّ لا تشعرين برغبة في *التسلّل* إلى المنزل عائدة من الاستديو بعد انتهاء البروفات. كان شيئاً جديداً، على الأقلّ، ومن بنات أفكاره، ولم يكن جزءاً من اتجاه سائد مبتذل في المخطوطات. أتمنى من أعماقي أنْ يذهب إلى المنزل ويبدأ من جديد. أتمنى من كل قلبي أنْ يعود الجميع إلى منازلهم. إنني شديد السأم من كوني ثقيل الوطأة على حياة كل شخص. كان ينبغي أنْ تري هسّ ولوساج وهما يتحدثان عن إعداد عرض جديد، أو أي عمل جديد. يكونان سعيدين كخنزيرين إلى أنْ أحضر. وأشعر كأنّني أحد أولاد الحرام الكئيبين الذين حذَّرَ تشوانغ - تزو حبيب سيمور منهم. «حذار عندما يقترب الرجال الذين يُسمّون بالحكماء بخُطى مُضطربة». جلس ساكناً، يراقب عاصفة الثلج تدوِّم. قال «ويُسعدني أنْ أنطرح أرضاً وأموت»

في تلك اللحظة كانت فراني تحدِّق إلى البقعة الباهتة التي تُضيئها أشعة الشمس على السجادة الممدودة بالقرب من جهاز البيانو، وشفتاها تتحركان بوضوح تامّ. قالت، مع ارتعاشة واهية في صوتها، «هذا كلّه غريب، لا يمكن تصوّره»، ونظر زوي إليها. كان شحوبها قد فاقمه كونها لا تضع أي أثر لأحمر الشِفاه. «إنَّ كل ما تقوله يُعيد إلى الذاكرة كل ما كنتُ أحاول أنْ أقوله للين في يوم السبت، عندما حاول أنْ يسخر مني، في أثناء شربنا

المارتيني وأكلنا الحلزون وأشياء أخرى. أعني أننا لا ننزعج بسبب الأشياء نفسها بالضبط، ولكن، في اعتقادي، للنوع المُشابه من الأشياء وللأسباب نفسها. على الأقل، هكذا يبدو». في تلك اللحظة نهضَ بلومبيرغ عن حِجرها وبدأ، كأنّه كلب وليس قطاً، يدور حول نفسه بحثاً عن الوضعيّة المُفضّلة لديه للنوم. وضعتْ فراني يديها برفق، بشرود، ولكن كأنها مُرشد، على ظهره، وواصلت كلامها، «في الواقع لقد وصلتُ إلى نقطةٍ قلتُ عندها لنفسي، بكل وضوح، كمجنونة، إذا سمعتُ منكَ كلمة واحدة أخرى نيِّقة، تُثير اعتراضات تافهة وغير بنّاءة، يا فراني غلاس، فسوف ينتهي أمرنا نحن الاثنين - سوف تكون *النهاية*. لكنني لم أكن سيئة فترة من الزمن. ولحوالي شهر كامل، على الأقلّ، كلما قال أحدٌ شيئاً يبدو مدرسيّاً وزائفاً، أو يدل على أنانيّة قُصوى أو ما شابه، لم أكنْ على الأقلّ أُعلّق عليه. كنتُ أحضر أفلاماً سينمائيّة أو ألزم المكتبة العامة طوال الوقت أو أباشر في تحضير أطروحات كالمجنونة حول المسرح الهزلي في عصر عودة الملكيّة وما شابه -ولكن على الأقلّ كنتُ *أستمتع* بعدم سماع صوتي الخاص بعض الوقت»، وهزّتْ رأسها نفياً. «وفي صباح ذات يوم- بدأ القلق من جديد. لم أعُد أنام الليل كله، لسبب ما، ثم كان ينبغي أنْ أكون في قسم الأدب الفرنسي عند الساعة الثامنة، وأخيراً استيقظتُ وارتديتُ ملابسي وأعددتُ بعض القهوة ورحتُ أتجول في أرجاء فناء الجامعة. كل ما أردتُه هو أنْ أنطلق في جولة طويلة جداً على متن دراجتي، لكنني خشيتُ أنْ يسمعني الجميع وأنا أُخرِج الدراجة من موقفها -هناك دائماً شيء *يسقط*- وتوجهتُ إلى مبنى قسم الأدب وجلستُ هناك. جلستُ وطال أمد جلوسي، وأخيراً نهضتُ لأباشر كتابة أشياء مأخوذة من أبيكتيتوس على كل أرجاء السبورة. وملأتُ السبورة كلها - لم أكن حتى أعلم أنني *أتذكّر* الكثير من أقواله. ومسحته -شكراً لله!- قبل أنْ يبدأ الناس بالتوافُد. لكنّه في كل الأحوال كان تصرّفاً صبيانيّاً -كان جديراً بأبيكتيتوس أنْ *يكرهني* حتماً لفعلي ذلك- ولكن...»، هنا تردّدتْ فراني. «لا أعلم. أعتقد أنني أردتُ فقط أنْ أرى اسم شخص ما مكتوباً على السبورة. على أيّة حال، هذا استفزّني من جديد. أصبحتُ فظة طوال النهار. عاملتُ البروفسور *فالون* بفظاظة. كنتُ فظة مع *لين* وأنا أتحدث معه على الهاتف. وكنتُ فظة

مع البروفسور *تبر*. وازددتُ فظاظة باطراد. بل إنني عاملت رفيقتي في الغرفة بفظاظة. أوه، يا إلهي، يا للمسكينة بيف! بدأتُ أُفاجئها وهي تنظر إليّ كأنها تأمل مني أنْ أُقرِّر الخروج من الغرفة وأفسح المجال لشخص أقلّ جاذبيّة وعادي بالدخول ويمنحها القليل من السكينة. كان شيئاً فظيعاً! والأسوأ من ذلك هو أنني ***علِمتُ*** أنني أُصبح مملّة. وعلِمتُ أنني أُثير الكآبة في الناس، أو أؤذي ***مشاعرهم*** - لكنني لم أستطع منع نفسي! لم ***أستطع أنْ أتوقف*** عن التصرف بفظاظة». سكتتْ فترة كافية، وقد ازداد شرودها قليلاً، لكي تضغط قليلاً جزء بلومبيرغ الخلفيّ كثير الحركة. قالت كمن يتخذ قراراً. «كان ذلك هو الأسوأ. فما حدث هو أنّه خطرت لي فكرة -وظلّتْ تلحّ عليّ- مفادها أنَّ الجامعة هي مجرد مكان آخر ***أحمق، تافه*** في العالم مُكرَّس لتكديس الكنوز على الأرض وما إلى ذلك. أقصد أنَّ الكنز هو كنز، بحقّ الله. فما الفرق إنْ كان ذلك الكنز نقوداً، أو ممتلكات، أو حتى ثقافة، أو حتى مجرد معرفة عاديّة؟ فكلها تبدو لي ***بالضبط*** شيئاً واحداً، وبعد أنْ تزيل ورق التغليف - فإنها تبقى على حالها! أحياناً أعتقد أنَّ المعرفة -عندما تكون معرفة للمعرفة ذاتها، على أي حال- هي الأسوأ. والأقل استحقاقاً للغفران، حتماً». قامت فراني بيدٍ واحدة بدفع شعرها إلى الخلف، بعصبيّة، ومن دون أيّة حاجة إلى فعل ذلك. «لا أعتقد أنّه كان يمكن لهذا كلّه أنْ يُسبب لي الإحباط لو أنه كان هناك ولو مرّة كل حين -ولو مرّة كل حين- على الأقلّ بعض التضمين ***الروتيني*** المؤدّب الذي مفاده أنّه ***ينبغي على*** المعرفة أنْ تؤدي إلى ***الحِكمة***، وإذا لم ***تفعل ذلك***، فإنها تُصبح مجرد هدر مُثير للاشمئزاز للوقت! ولكن لم يكن هناك شيء كهذا قط! لم تكن تسمع أيّة ***ملاحظة*** في فناء الجامعة تفيد بأنّه يجب أنْ تكون الحِكمة هي ***الهدف*** من المعرفة. بل إنَّ كلمة «حِكمة» نفسها لم تكن تُسمع قط! أتحبّ أنْ تسمع شيئاً مُضحكاً؟ شيئاً مُضحكاً حقاً؟ خلال حوالي أربع سنوات من وجودي في الجامعة -وما أقول هو ***الحقيقة*** الصِرف- خلال حوالي أربع سنوات من وجودي في الجامعة، المرة الوحيدة التي أتذكّر أنني سمعتُ أحداً يستخدم تعبير «رجل حكيم» كانت في السنة الأولى، في مادة العلوم السياسيّة! أتعلم كيف تمَّ استخدامها؟ لقد استُخدِمتْ في معرض الحديث عن رجل دولة عجوز متهالك وظريف

جمع ثروة من سوق البورصة ومن ثم انتقل إلى واشنطن لكي يُصبح مُستشار الرئيس روزفلت. صدقاً! طوال حوالي أربع سنوات في الجامعة، أنا لا أقول إنَّ هذا يحدث مع كل شخص، لكنّي *أضطربُ* بشدّة عندما أفكّر في هذا حتى إنني أتمنى الموت». وسكتتْ، ومن الواضح أنّها عادتْ لتكرِّس نفسها لتلبية رغبات بلومبيرغ. حينئذٍ كانت شفتاها قد أضحتا أقلّ شحوباً من وجهها. وكانتا أيضاً مُتشقّقتين قليلاً جداً. كانت عينا زوي متركّزتين عليها طوال الوقت. قال على عجل «أريد أنْ أسألك عن شيء، يا فراني»، والتفتَ من جديد ناحية سطح طاولة الكتابة، متجهماً، وهزَّ رجل الثلج. سألها «ماذا ستفعلين بصلاة يسوع؟ هذا ما كنتُ أحاول أنْ أتوصل إليه ليلة أمس، قبل أنْ تُخبريني أنْ أذهب وأفتش عن نفسي. إنك تتحدثين عن جمع الكنز – المال، الممتلكات، الثقافة، المعرفة، وما إلى ذلك. ألا تجمعين كنزاً عبر تلاوة صلاة يسوع –دعيني أُكمل كلامي، من فضلك– وعبر تلاوتك صلاة يسوع، ألا تحاولين أنْ تجمعي ما يشبه الكنز؟ شيئاً يمكن لكل جزء منه أنْ يكون قابلاً للنقاش ككل تلك الأشياء الأخرى الأكثر ماديّة؟ أم أنَّ الصلاة هي التي تُحدِث كل الفرق؟ أقصد بهذا، هل هناك، بالنسبة إليك، أي فرق في أنْ يجمع شخص ما كنزه في أي جانب –هذا الجانب، أو ذاك؟ الجانب الذي يمكن للّصوص أنْ يقتحموه، إلى آخره؟ أهذا ما يُحدِث الفرق؟ انتظري لحظة، الآن– انتظري ريثما أنتهي، من فضلك». جلس بضع لحظات يراقبُ عاصفة ثلج صغيرة داخل الكرة الزجاجيّة. ثم قال: «ثمة شيء في الطريقة التي تتحمسين بها لتلك الصلاة يُثير أعصابي، إنْ كنتِ تريدين الحقيقة. أنتِ تعتقدين أنني أعمل على منعك من تلاوتها. لا أعلم إنْ كنتُ أفعل هذا أم لا –هذه النقطة قابلة للنقاش– لكني *أودّ* منكِ أنْ توضّحي لي ما هي دوافعك لتلاوتها». تردَّد، ولكن ليس طويلاً بحيث يمنح فراني فرصة لتُقاطعه. «بالمنطق البسيط، ليس هناك أي فرق، في اعتقادي، بين الإنسان الشرِه للكنز الماديّ –أو حتى الكنز الفكريّ– والإنسان الشرِه إلى الكنز الروحيّ. وكما تقولين، الكنز هو كنز، اللعنة، ويبدو لي أنَّ تسعين في المئة من القديسين الكارهين للعالم عبر التاريخ كانوا مولعين بالتملّك، ومُنفرين، في الأساس، كأي واحد منا»

قالت فراني، بأقصى ما في استطاعتها من برودة مع ارتعاشة واهية في صوتها، «هل لي أنْ أُقاطعك، يا زوي؟»

ترك زوي رجل الثلج ورفع قلم رصاص لكي يعبثَ به. قال «نعم، نعم، قاطعيني»

«أنا أعرف كل ما تقوله. أنت لا تُخبرني شيئاً واحداً لم أفكّر فيه بيني وبين نفسي. أنت تقول إنني *أريد* شيئاً من تلاوة صلاة يسوع - وهذا يجعل مني شخصاً يحب التملّك، حسب تعبيرك، حقاً، كأي امرأة ترغب في تملّك *معطف* من فرو السمّور، أو في أنْ تكون *مشهورة*، أو في أنْ تكون صاحبة ما يشبه *السمعة* المجنونة. أنا أعرف هذا كلّه! يا إلهي، أتظنني بلهاء؟» وتزايد الارتعاش في صوتها حتى أصبح شبه عائق.

«حسن، اهدئي، اهدئي»

«لا *أستطيع* أنْ أهدأ! أنت تدفعني إلى حافة الجنون المُطبق! ماذا في اعتقادك أفعل في هذه الغرفة الجنونيّة - أخسر الكثير من وزني، وأُثير قلق بيسي ولس الشديد، وأُشيع الاضطراب في المنزل، وكل شيء؟ أتعتقد أنني أمتلك من الحسّ ما يكفي لأقلق بشأن دوافعي لتلاوة الصلاة؟ إنَّ هذا ما *يُزعجني* كثيراً. ومجرّد كوني نيّقة بشأنِ ما أريد -في هذه الحالة، هو *التنوير*، أو السكينة، بدل المال أو *المستقبل* أو *الشهرة* أو أي من هذه الأشياء- لا يعني أنني لستُ أنانيّة وأسعى إلى تحقيق مصلحتي كأي شخص آخر. بل إنني كذلك أكثر من غيري! أنا لا أحتاج إلى زاكاري غلاس ليُخبرني بهذا!». هنا شابَ صوتها إرهاقٌ، وبدأتْ من جديد تولي انتباهها أكثر إلى بلومبيرغ، كان جلياً أنَّ الدموع توشك أنْ تُذرَف، إذا لم تكن قد بدأتْ تُذرَف.

كان زوي يضغط بقوة قلم الرصاص على طاولة الكتابة ويملأ كل حرف O في الإعلان التجاري على جانب النشّافة الصغيرة. استمرَّ في ذلك بعض الوقت، ثم رمى قلم الرصاص نحو المحبرة. ورفع سيجاره عن طرف المنفضة النحاسيّة حيث كان قد وضعه. لم يكن قد تبقّى من طوله أكثر من حوالي بوصتين لكنّه كان لا يزال مشتعلاً. وسحب منه كمية كبيرة من الدخان، كأنّه جهاز تنفّس اصطناعي في عالم خالٍ من الأوكسجين. ومن

جديد نظر ناحية فراني كأنما قسراً، وسألها «أتريدين مني أنْ أدفع بَدي إلى التحدث معك عبر الهاتف هذه الليلة؟ أعتقد أنك يجب أنْ تتحدثي مع *شخص ما - أنا لستُ* بارعاً في هذا المجال»، وانتظر جوابها، وهو ينظر إليها بثبات. «ما قولك، يا فراني؟»

كان رأس فراني منحنياً، كأنها تفتش عن وجود قمل داخل فراء بلومبيرغ، بأصابع شديدة الانهماك في تقليب كتل الفرو. في الحقيقة كانت حينئذٍ تبكي، ولكن بصوتٍ خافت جداً، كانت هناك دموع ولكن من دون صوت. ظلَّ زوي يُراقبها طوال دقيقة كاملة أو نحوها، ثم قال، ليس بالضبط بنبرة لطيفة، ولكن من دون إلحاح، «ما قولك، يا فراني؟ هل أحاول دفع بدي إلى رفع سماعة الهاتف؟». هزّتْ رأسها نفياً، من دون أنْ ترفعه. وتابعت عمليّة البحث عن القمل. ثم، بعد فترة وجيزة، أجابت عن سؤال زوي، ولكن بصوت يكاد لا يُسمَع.

سألها زوي «ماذا قلتِ؟»

كرّرتْ فراني قولها. قالت «أريد أنْ أتحدث مع سيمور». استمرّ زوي في النظر إليها برهة، بوجه يكاد يكون خالياً من أي تعبير -ماسحاً خطاً من العرق عن شفته العليا الطويلة والأيرلنديّة بصورة فريدة. ثم، وبحركة سريعة متميِّزة التفت إلى الخلف واستأنف ملء حرف O. لكنّه ترك قلم الرصاص في الحال تقريباً. ونهضَ عن طاولة الكتابة- بحركة بطيئة، بالنسبة إليه - وعاد، مُصطحباً معه عقب سيجاره، إلى وضع إحدى قدميه على مقعد النافذة. كان جديراً برجل أطول قامة منه، وأطول ساقين -كأيٍ من إخوته، على سبيل المثال- أنْ يرفع قدمه، أنْ يقوم بحركة التمدّد، بسهولة أكبر. ولكن حالما ارتفعتْ قدم زوي، أعطى انطباعاً بأنّه يتّخذ وضعيّة ثابتة لراقص. وسمح لشجارٍ صغير ينشب بمهابة، وبلا عائق، بين الكتّاب والمُخرجين والمُنتجين، أنْ يجذب انتباهه بالتدريج في أول الأمر، ومن ثم بشكلٍ مُباشر، في مكان يقع تحت النافذة بمقدار خمسة طوابق وعلى الطرف المقابل من الشارع. كانت هناك شجرة قيقب متوسطة الحجم تنهض أمام مدرسة البنات الخاصة -واحدة من أربع أشجار أو خمس تقوم على ذلك الجانب المحظوظ من الشارع- وفي اللحظة الراهنة هناك طفلة في سن السابعة أو

الثامنة تختبئ خلفها. ترتدي سترة ضيقة بلون أزرق بحريّ وتعتمر قلنسوة صوفية بلون أحمر شبيه باللون الأحمر لغطاء السرير في غرفة فان غوخ في بلدة آري. في الواقع، بدتْ قلنسوتها، من وجهة نظر زوي المثاليّة، أشبه بلمسة دهان. وعلى مسافة خمسة عشر قدماً من الطفلة كان كلبها -جرو من نوع داشْهند، عليه ياقة من الجلد الأخضر ورسن- يشمّ بحثاً عنها، ويدور بحركة هستيريّة دائريّة حول نفسه، ويجرّ رسنه خلفه. كان يكاد لا يحتمل أسى الفراق، وعندما استطاع أخيراً أنْ يشمّ رائحة صاحبته حدث ذلك في الوقت المناسب. وكان فرح اجتماع الشمل بالنسبة لكليهما هائلاً. نبح الجرو بصوت خافت وتقدَّم منها متذللاً، راقصاً من شدّة النشوة، إلى أنْ هرعت صاحبته واجتازت السياج الواقي الذي يُحيط بالشجرة، وهي تهتف له، ثم رفعته. نطقتْ بضع كلمات في مدحه، باللغة الخاصة بهذه اللعبة، ثم أعادته إلى الأرض وأمسكت برسنه، ومشى الاثنان بفرح غريباً باتجاه الجادة الخامسة والمتنزه وبعيداً عن ناظرَي زوي. ويضع زوي يده متفكّراً على نقطة تقاطع لوحيّ زجاج كأنّه ينوي رفع النافذة والإطلال منها لكي يُراقب الاثنين وهما يغيبان عن الأنظار. كانت تلك يده التي تحمل السيجار، وتردّد برهة طويلة. واستنشق كمية كبيرة من الدخان. قال «اللعنة، هناك أشياء كثيرة جميلة في العالم - وأعني بكلامي أنها أشياء جميلة *حقاً*. إننا جميعاً حمقى لأننا نمشي في الطرق الجانبيّة. ودائماً، دائماً، دائماً نعزو كل ما يحدث إلى ذواتنا الحقيرة القذرة». في تلك اللحظة، تمخّطتْ فراني باستمتاع صريح، وكان الضجيج أعلى بكثير مما يُتوقَّع من عضوٍ في الجسم يبدو شديد الرقّة والجمال. التفتَ زوي لينظر إليها، بقدرٍ من الانتقاد. ونظرتْ فاني إليه، وهي منهمكة في التعامل مع عدد من مناديل الورق. قالت «أنا *آسفة*. هل أستطيع أنْ أتمخّط؟» مكتبة سُر مَن قرأ

«هل انتهيت؟»

«نعم، انتهيت! يا إلهي، يا لها من عائلة! إذا تمخّط المرء يُعرِّض نفسه للخطر»

عاد زوي إلى الالتفات نحو النافذة. ودخّنَ قليلاً، وعيناه تتابعان تشكيلاً من الأبنية الأسمنتيّة في البناء العام للمدرسة. قال «ذات مرة قال بدي لي شيئاً

معقولاً جداً قبل نحو عامين، إنْ كنتُ لا أزال أتذكّره»، وتردَّد. نظرت فراني إليه، على الرغم من أنها كانت لا تزال منهمكة بالمناديل الورقيّة. وعندما يبدو أنَّ زوي يواجه صعوبة في تذكّر شيء، كان تردّده يُثير على الدوام اهتمام إخوته كلهم وأخواته، بل ويوفّر لهم بعض التسلية. كان تردّده دائماً تقريباً يبدو رحباً. كان تردّده في معظم الأوقات من دون أدنى شك حصيلة مباشرة من السنوات الخمس الفعالة التي أمضاها كمُشارك مواظِب في برنامج «إنه طفل حكيم» عندما كان، بدل أنْ يبدو أنّه يتباهى باستعراض مقدرته غير المعقولة في الاقتطاف، في الحال وأيضاً، في المعتاد، حرفيّاً، من كل ما كان قد قرأه تقريباً، أو حتى سمعه، باهتمام حقيقيّ، يُنمّي عادةَ عقدِ ما بين حاجبيه كأنّه يتلكأ كسباً للوقت، كما يفعل باقي الأطفال المشتركين في البرنامج. وحاجباه معقودان الآن، لكنّه يتكلّم بوتيرة أسرع من المعتاد في ظل الظروف السائدة، كأنّه أحسّ أنَّ فراني، رفيقته القديمة في الاشتراك في البرنامج، فاجأته وهو يفعل ذلك. «قال إنَّ على المرء أنْ يكون قادراً على التمدُّد في أسفل تل وعنقه مقطوع، والنزف ببطء حتى الموت، وكأنَّ فتاة جميلة أو امرأة عجوزاً يجب أنْ تمرّ مُصادفة وهي توازن بشكلٍ مثاليّ إبريقاً جميلاً على قمة رأسها، ويجب أنْ يكون قادراً على رفع نفسه بالاتّكاء على إحدى ذراعيه ورؤية الإبريق موضوعاً بأمان فوق قمة التل». فكّر في هذا مراراً، ثم أطلقَ شخيراً معتدلاً. «أحبّ أنْ أرى ابن الحرام يفعل ذلك»، وسحب مقداراً من الدخان من سيجاره. وعلّق قائلاً، مع غياب ملحوظ للرهبة في نبرة صوته، «إنَّ كل فرد في هذه العائلة اللعينة يفهم الدين على طريقته. كان والتْ هو الفرد المتحمّس. والتْ وبوو بوو كانا أشدّ المُتحمّسين للفلسفات الدينيّة في العائلة»، وسحب دفعة من الدخان، كأنما لكي يكافئ كونه يتسلّى في حين أنّه لا يأبه بالتسلية. «وذات مرّة أخبر والد ويكر بأنّه لابد أنَّ كل فرد في العائلة راكمَ كمّاً هائلاً من الأخلاق السيئة في تجسداته السابقة. كان والت يعتنق نظرية مفادها أنَّ الحياة الدينيّة، وكل الألم الذي رافقها، ما هي إلّا شيء يبتلي الله بها الذين يتجرؤون على اتّهامه بأنّه خلقَ عالماً قبيحاً».

صدر عن الأريكة ضحك مكبوت جماعي. قالت فراني «ما هي فلسفة بوو بوو في الدين؟ لا أعتقد أنَّ لديها أيّة نظريّة». لم يردّ زوي بأي شيء برهة،

ومن ثم قال «نظريّة بوو بوو؟ إنَّ بوو بوو مُقتنعة بأنَّ السيد آش صنع العالم. لقد حصلتْ على هذه المعلومة من «مُفكّرة» كيلفرت. فقد سُئل أطفال المدرسة في أبرشيّة كيلفرت مَن الذي صنع العالم، فأجاب أحد الأطفال، «إنّه السيد آش».

أبدتْ فراني ابتهاجها، وبصوت مسموع. والتفتَ زوي ونظر إليها، ثم رسم الشاب الذي لا يمكن التكهّن بتصرفاته تعبيراً قاسياً على وجهه كأنّه تجنّبَ فجأة أشكال الخِفّة كافة. وأنزل قدمه عن مقعد النافذة، ووضع طرف سيجاره على المنفضَة النحاسيّة التي على طاولة الكتابة، وابتعد عن النافذة. وقطع أرض الغرفة ببطء، ويداه في جيبيه الجانبيين، لكنه كان يُحدد وجهته في ذهنه. قال «يجب أنْ أغادر هذا المكان، لديّ موعد على الغداء»، وفي الحال انحنى لكي يقوم بتفحّصٍ متمهّل لصاحب الشيء للجزء الداخليّ لحوض السمك. نقر على الزجاج بظفر إصبعه بإلحاح. «ما إنْ أغيب خمس دقائق حتى يترك الجميع أسماكي السوداء تنفق. كان ينبغي أنْ آخذها معي إلى الجامعة، كنتُ *أعلم* هذا»

«أوه، زوي، طوال خمسة أعوام وأنتَ تقول هذا. لِمَ لا تبتكر أقوالاً جديدة؟»

استمرّ في الربت على الزجاج. «أنتم يا بلهاء الجامعة كلكم سواء، قُساة كالأظافر. تلك الأسماك لم تكن مجرد أسماك سوداء، يا صاحبتي. لقد كنا أصدقاء مُقرّبين». بعد أنْ قال هذا – تمدَّد على ظهره من جديد على السجادة، وانحشر خصره النحيل بشكلٍ ملائم تماماً بين جهاز راديو الطاولة طراز ستروميبرغ – مارلسون عام 1932 ومنصب المجلات الممتلئ والمصنوع من خشب القيقب. ومن جديد، لم تر فراني غير أخمصي قدميه وكاحليه من حذائه الخفيف. ولكن ما إنْ تمدَّد على طوله حتى عاد واعتدل في جلسته، وبرز رأسه وكتفاه فجأة مع التأثير المُروّع والهزليّ لجثّة تسقط من خزانة. قال «أما زلتِ تتلين الصلاة؟». ثم سقط على ظهره من جديد وغاب عن الأنظار. لزم السكون برهة، ثم قال بنبرة منطقة ماي فير الثقيلة شبه المُبهمة، «أودّ أنْ أقول لكِ شيئاً، سيدة غلاس، إنْ توفّر لديك الوقت». كان الردّ على هذا، الصادر عن الأريكة، صمتاً مشؤوماً بكل وضوح؟ «اتلي صلاتك إنْ أردتِ،

أو العبي مع بلومبيرغ، أو دخّني إنْ شئتِ، ولكن امنحيني خمس دقائق من الصمت المتواصل، يا صاحبتي. *ولا أريد أيّة دموع*، إذا أمكن. اتفقنا؟ أتسمعينني؟». لم تُدلِ فراني بجواب فوراً. ضمّتْ ساقيها إليها، من تحت غطاء الكشمير، وحملت القط النائم وضمّته إليها أيضاً. قالتْ «أسمعك»، وضمّتْ ساقيها أكثر إليها، كقلعة ترفع جسرها قبل حدوث الحصار. تردّدت، ثم تكلّمتْ من جديد، «يمكنك أنْ تقول ما تشاء إذا ابتعدتَ عن استخدام لغة مُهينة. لا أرغب هذا الصباح في القيام بالتمارين الرياضيّة، أنا جادة»

«لا تمارين رياضيّة، لا تمارين رياضيّة، كما تشائين يا صاحبتي. إنْ كان هناك شيء واحد ليس من شيمي، فهو الإساءة إلى أحد». كانت يدا المتكلّم معقودتين برقّة على صدره. «أوه، قد ينتابني القليل من *الاندفاع* أحياناً، نعم، عندما يتطلّب الوضع ذلك. أما اللجوء إلى الإساءة، فكلا. شخصيّاً، أنا دائماً أجد أنّه يمكن اصطياد المزيد من الذباب بوساطة–»

قالت فراني، مُخاطبة بصورة أو بأخرى حذاءه الخفيف، «أنا *جادّة*، يا زوي. ثم بالمناسبة، ليتك تجلس باعتدال. كلما استعر الجحيم هنا، والأمر *الغريب* جداً هو أنّه دائماً يبدأ من حيث تستلقي. وتكون أنت دائماً الشخص نفسه. هيا اعتدل في جلستك، من فضلك»

أغمضَ زوي عينيه. «لحُسن الحظ، أنا أعلم أنكِ لستِ جادّة. ليس في قرارة نفسك. كلانا يعلم، في قرارة نفسينا، أنَّ هذه هي قطعة الأرض المُقدّسة الوحيدة في هذا المنزل المسكون اللعين كله. ويتصادف أنها حيث كنتُ أحتفظ بأرنبيّ. وكانا قديسَين، كلاهما. في الحقيقة، كانا الأرنبين العزبين الوحيدين في الـ...»

قالت فراني، بعصبيّة، «أوه، اخرس. فقط *ابدأ* بالكلام، إنْ كنت تنوي أنْ تتكلّم. كل ما أطلب هو أنْ تحاول على الأقلّ أنْ تُبدي قدراً من *اللباقة*، كما أشعر الآن–لا أكثر. أنت بلا أدنى شك أشدّ مَنْ عرفتُ في حياتي افتقاراً للباقة»

«أفتقِرُ للّباقة! *مستحيل*. أنا صريح، نعم. وجريء، نعم. شديد الحماس، *ومتفائل*، ربما، إلى أقصى مدى. ولكن لم يحدث قط أنَّ شخصاً...»

قاطعته فراني، بحميّة شديدة، لكنّها حاولتْ ألّا تبدو مرحة، «أنا قلت

تفتقر إلى اللباقة! فقط امرض أحياناً وقُم بزيارة نفسك، وسوف تكتشف كم تفتقر إلى اللباقة! أنت أشد مَنْ عرفتُ في *حياتي* صعوبة في التعامل معه عندما لا يكون أحدهم في أحسن حالاته. لو أُصيبَ شخص حتى *بالبرد*، هل تعرف كيف تتصرَّف؟ إنكَ كلما رأيته ترميه بنظرة احتقار. أنتَ أشدّ مَنْ عرفت *افتقاراً إلى التعاطُف*. هذا هو أنت!»

قال زوي، وعيناه ما تزالان مُغمضتين، «فهمت، فهمت، فهمت. لا أحد مثاليّ، يا صاحبتي». وقام زوي بكل سهولة، وبترقيق صوته وجعله رفيعاً، وليس بجعله عالي النبرة بصورة مُصطنعة، بمُحاكاة صوت أمّهما، مُحاكاة اعتبرتها فراني مألوفة ودائماً واقعيّة، قائلاً بضع كلمات تحذيريّة: «أيّتها الشابة، نحن نقول أشياء كثيرة بحرارة *لا نقصدها* حقاً، وفي اليوم التالي نندم عليها». وفي الحال تجهَّمَ، وفتح عينيه، وحدّقَ قليلاً إلى السقف، وقال «أولاً، أعتقد أنكِ تعتقدين أنَّ لديّ نوايا لمحاولة تخليصك من صلواتك أو ما شابه. هذا غير صحيح. غير صحيح البتّة. في استطاعتك أنْ تتمددي على تلك الأريكة وتسردي مُقدّمة الدستور حتى نهاية حياتك، في اعتقادي، ولكن ما أحاول *فعلاً* أنْ-»

«هذه بداية جميلة، جميلة *جداً*»

«عُذراً؟»

«أوه، اخرس. فقط تابع، تابع»

«ما حاولت أنْ أبدأ بقوله هو أنَّه لا اعتراض لديّ البتّة على الصلاة. مهما كان ما تعتقدين. أنتِ لستِ *أوّل* مَنْ فكَّر في قول هذا، وتعلمين هذا. ذات مرة مررتُ على كل متاجر آرمي أند نيفي في نيويورك بحثاً عن حقيبة ظهر جميلة، خاصّة بالرحلات. وكنتُ سأملأها بفُتات الخبز ومن ثم أنطلق في جولة إلى كل أركان البلد، وأتلو الصلاة. وأنشر كلمة الرب. وكل ما يتعلَّق بهذا». تردَّد زوي. «وأنا لا أقول هذا، وحقّ الله، لأبيِّن لك أنني كنتُ ذات يوم شاباً عاطفيّاً مثلك»

«فلِمَ تقوله، إذن؟»

«لِمَ أقوله؟ أقوله لأنَّ لديّ ما أقوله لك، ومن المُحتَمَل ألّا أكون مؤهّلاً

لقوله. على أساس أنني ذات مرّة كانت لديّ أنا أيضاً رغبة قويّة في تلاوة الصلاة لكنني لم أتلُها. قد أكون غيوراً قليلاً من كونك تتلينها. هذا مُحتَمل جداً. أولاً، أنا لستُ ممثلاً بارعاً. ومن المُحتمل كثيراً أنني أكره بشدة أنْ ألعب دوراً لا يليق بي. مَنْ يدري؟»

لم ترغب فراني في إعطاء جواب، لكنّها قرّبت بلومبيرغ أكثر منها، وعانقته بصورة غريبة ومُبهمة. ثم نظرتْ في اتّجاه أخيها، وقالت «أنت لذيذ، أتعلم هذا؟»

«احتفظي بمديحك، يا صاحبتي - قد تعيشين طويلاً حتى تتراجعي عنه. ما زلتُ أنوي أنْ أخبرك بما لا يُعجبني بأسلوبك في التعامُل مع هذه المسألة. سواء أكنتِ مؤهّلة لذلك أم لا»، وحدَّقَ زوي بنظرة جوفاء إلى السقف المُبيَّض عشر ثوانٍ أو نحوها، ثم أغمض عينيه من جديد. قال «أولاً، لا أحبّ روتين كاميل Camille. ولا تُقاطعيني الآن. أعلم أنك تنهارين بالمعنى الحرفيّ، وما إلى ذلك. ولا أعتقد أنّه *تمثيل* - ليس هذا ما أقصد. ولا أعتقد أنها مُناشدة لا واعية *للتعاطُف*، أو ما شابه. ولكن ما زلتُ أقول إنَّ هذا لا يُعجبني. الأمر صعب على بيسي، وصعب على *لِسْ* - وإذا كنت لا تعلمين حتى الآن، لقد بدأتِ تفوحين بعبق الورع الكريه. اللعنة، ليست هناك أيّة صلاة في أي دين في العالم تبرّر الورع. أنا لا أقول إنكِ *أنتِ* ورعة -فلا تتململي- لكنني أقول إنَّ كل تلك الهستيريا شنيعة جداً»

قالت فراني، وهي تميل بصورة واضحة إلى الأمام، «هل انتهيتَ؟»، وعاد الارتعاش إلى صوتها.

«حسن، يا فراني، لقد قلتِ إنكِ سوف تُصغين إليّ حتى أنتهي. وأعتقد أنني قلتُ الأسوأ. وأحاول فقط أنْ أخبرك -لا *أحاول*، بل أُخبرك- أنَّ ذلك ليس مُنصفاً بحقّ بيسي ولِسْ. بل هو رهيب بالنسبة إليهما كليهما - وأنتِ تعلمين هذا. هل كنتِ تعلمين، اللعنة، أنَّ لِسْ كان راغباً بشدّة في إحضار ثمار اليوسفي إليك ليلة أمس قبل أنْ يأوي إلى السرير؟ يا إلهي. حتى بيسي لا تطيق سماع قصص تأتي على ذِكر ثمار اليوسفي. ويعلم الله أنني *أنا أيضاً* لا أطيقه. إذا أردتِ الاستمرار في الحديث عن ذلك الانهيار، أتمنّى لو

تعودي إلى الجامعة لكي تعاني منه. هناك لن تكوني مُدللة العائلة. وهناك، يعلم الله أنّه لن يرغب أحد بشدّة في جلب ثمار اليوسفي إليك. وهناك لن تحتفظي بحذاء الرقص النقري في الخزانة»

عند هذه النقطة، مدّتْ فراني يدها، من دون أنْ تنظر، ومن دون إصدار أي صوت، نحو علبة مناديل الورق على سطح طاولة تقديم القهوة الرخاميّ.

عندئذٍ كان زوي يُسدد نظرة شاردة إلى بقعة بيرة جذور قديمة على جص السقف، كان هو نفسه قد أحدثها قبل ذلك بتسعة عشر أو عشرين عاماً بمسدّس مياه. قال «الشيء التالي الذي يُزعجني ليس شيئاً جميلاً أيضاً. ولكني أوشك على الانتهاء، فانتظري لحظة إنْ استطعت. إنَّ ما لا يعجبني البتّة هو حياة الشهيدة الخاصة مع قصّة الشعر القصيرة التي كنت تعيشينها في الجامعة – تلك الحرب الصليبيّة الصغيرة القذرة التي تعتقدين أنكِ تشنينها ضد الجميع. وأنا لا أقصد ما تظنين أنني أقصد، لذلك حاولي ألّا تُقاطعيني برهة. أعتقد أنكِ في الغالب تدكّين نظام الثقافة الأرقى. *لا تُهاجميني* الآن – إنني في الغالب أتّفق معك. لكنني أكره الهجوم المُستتر الذي تشنينه علي. أنا أتّفق معك على ثمانية وتسعين في المئة من القضيّة. أما الاثنان في المئة المتبقيان فيُخيفانني حتى الموت. وعندما كنتُ في الجامعة كان لديّ أستاذ –واحد فقط، سوف أقترحه عليك، لكنه كان ضخماً، ضخماً جداً– لا ينطبق عليه أي شيء تتحدثين عنه. لا يُشبه *أبيكتيتوس*. لكنّه لم يكن مهووساً بذاته، لم يكن ذا شخصيّة فاتنة. كان مُثقّفاً عظيماً ومتواضعاً، وإضافة إلى ذلك، أنا لم أسمعه قط يقول أي شيء، لا داخل غرفة الدرس ولا خارجها، لا يبدو أنّه ينطوي على حِكمة حقيقيّة –وأحياناً على الكثير منها. ماذا سيحدث *له هو* عندما ستبدأين ثورتك؟ لا أتحمّل التفكير في هذا– دعينا نغيِّر هذا الموضوع اللعين. عن هذا الأستاذ المدعو تبر، وذينك الأبلهين اللذين كنتِ تُخبرينني عنهما ليلة أمس – مانيلوس، وذاك الآخر. عرفتُ الكثيرين على *شاكلتهما*، وكذلك حدث مع كل شخص، وأنا *أوافق* على أنهم ليسوا مؤذين. لكنهم مُميتون، في الواقع. يا إلهي. إنهم يُحوّلون كل ما يلمسون ليُصبح أكاديميّاً ولا فائدة تُرجى منه. أو –إلى ما هو أسوأ– يُصبح *عبادة*. وفي اعتقادي، إنهم يُلامون في الغالب على حشد البلهاء الجهلة حاملي الشهادات الذين

يُطلَقون في البلاد في كل شهر حزيران». هنا كشّر زوي وهزّ رأسه في وقتٍ واضح، وما زال ينظر إلى السقف. «ولكن ما لا يعجبني - وما أعتقد أنّه ما كان ليُعجب سيمور وبدي، *أيضاً*، في الواقع -هو أسلوبك في الكلام عن أولئك الأشخاص كلّهم. أعني أنكِ لا تمقتين فقط ما يُمثّلون- بل تمقتينهم هم أنفسهم. إنّكِ تعتبرين الأمر شخصياً جداً، يا فراني. أنا جادّ في قولي. عندما تتحدثين عن ذاك المدعو تبر، على سبيل المثال، أرى ومض الإجرام في عينيك. كل ذلك الكلام عن دخوله المرحاض لكي يُشوِّش شَعره قبل أنْ يدخل غرفة الدرس. كل ذاك. لعلّه يفعل ذلك - لأنه يتماشى مع كل ما أخبرتني عنه. أنا لا أقول إنّه لا يتماشى. لكنّ ما يفعله بشَعره *ليس من شأنك*، يا صاحبتي. سيكون الأمر معقولاً، نوعاً ما، إذا اعتبرتِ ادّعاءاته الشخصيّة تصرّفاً غريب الأطوار، أو إذا شعرتِ بقدر قليل جداً من الرثاء له لكونه غير آمن ولا يستطيع أنْ يمنح نفسه قليلاً من الرونق المُثير للشفقة. ولكن عندما تخبرينني *أنتِ* عن الأمر -وأنا لا أمزح الآن- فإنكِ تفعلين ذلك كأنّ شَعره عدوّ شخصيّ لك. وهذا *غير صائب* -وأنتِ تعلمين هذا. إذا قررتِ أنْ تشنّي حرباً ضد النظام، فأطلقي النار كما تفعل فتاة ظريفة، وذكيّة- لأنّ العدو موجود هناك، وليس لأنك لا تحبّين تسريحة شَعره أو ربطة عنقه اللعينة»

تلا ذلك صمت مدة دقيقة أو نحوها، لم يكسره إلّا ضجيج تمخّط فراني - تمخّط مُسترسل، طويل، و«مُحتقن»، يوحي بمريض يُعاني البرد منذ أربعة أيام.

«الأمر يشبه بالضبط القرحة التي أُصِبتُ بها. أتعلمين لِمَ أُصِبتُ بها؟ أو على الأقل تسعة أعشار سبب إصابتي بها؟ لأنني عندما لا أُفكّر بسرعة، أدع أفكاري حول التلفزيون وكل شيء آخر يُصبح أمراً شخصيّاً. إنني أفعل بالضبط كما تفعلين، وأنا إنسان بالغ بحيث أعلم بشكلٍ أفضل» سكت زوي قليلاً. وتركّزتْ نظرته على بقعة بيرة الجذور، وأخذ نفساً عميقاً من أنفه. كانت أصابعه ما تزال متشابكة على صدره. قال بسرعة «هذا الشيء الأخير قد يُسبّب انفجاراً. ولكن لا حيلة لدي. إنّه أهم شيء قاطبة». بدا كأنّه يستشير جصّ السقف فترة وجيزة، ثم أغمضَ عينيه. «لا أعلم إنْ كنتِ تتذكّرين، لكنني أتذكّر في إحدى المرات هنا، يا صاحبتي، حين كنتِ تمرّين بحالة

وجيزة من الرِدّة عن العهد الجديد كان يمكن سماعه من مسافة أميال. في ذلك الوقت كان الجميع ملتحقين بالجيش اللعين، وكنتُ الوحيد الذي أُصبتُ بالصداع من كثرة الكلام. ولكن ألا تتذكّرين؟ ألا تتذكّرين أبداً؟»

قالت فراني - متكلّمة من أنفها، وهو أمر خطير، «لم أكنْ قد تجاوزتُ العاشرة من العمر!»

«أنا أعرف كم كنتِ تبلغين من العمر. أعلم جيداً كم كنتِ تبلغين من العمر. كفى، الآن. إنني لا أُثير هذه النقطة بقصد تأنيبك - طبعاً لا، بل لسبب وجيه. لأنني لا أعتقد أنكِ فهمتِ يسوع وأنتِ صغيرة السن ولا أعتقد أنكِ تفهمينه الآن. أعتقد أنك خلطتِ في ذهنك بينه وبين حوالي خمس أو عشر شخصيات دينيّة أخرى، ***ولا أفهم*** كيف تستمرين في تلاوة صلاة يسوع إلى أنْ تعرفي كل شيء. هل تعلمين ما الذي تسبَّبَ في تلك الرِدّة القصيرة؟... فراني؟ هل تتذكرين أم لا تتذكرين؟»

لم يحصل على جواب. حصل فقط على ضجيج تمخّط عنيف من الأنف.

«حسن، أتذكّر. لقد حدث هذا. كما ورد في إنجيل متّى، الفصل السادس. أتذكّره بكل وضوح، يا صاحبتي. بل إنني أتذكّر أين كنتُ. كنتُ في غرفتي أضع قطعة من الشريط اللاصق العازل على عصا لعبة الهوكي، ثم فجأة دخلتِ باندفاع - مع ضجيج مرتفع، وكان الكتاب المُقدّس مفتوحاً. كنتِ قد توقفتِ عن الإعجاب بيسوع، وأردتِ أنْ تعرفي إنْ كان في استطاعتك أنْ تتّصلي بسيمور في معسكر الجيش وتحكي له كل شيء. أتعلمين لِمَ لم تعُودي تُعجبين بيسوع؟ أنا سأخبرك. لأنكِ، ***أولاً***، استهجنتِ دخوله الكنيس اليهوديّ وقلبه الطاولات والأوثان في كل أرجاء المكان. كان ذلك تصرّفاً فظّاً جداً، ولا لزوم له البتّة. كنتِ متيقّنة من أنَّ سليمان أو أي شخص ما كان يمكن أنْ يفعل ذلك. والشيء الآخر الذي استهجنتِه -الصفحة التي فتحتِها في الكتاب المُقدّس- هو ما يلي:

« « ***انظروا إلى طيور السماء، إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى***

مخازن، وأبوكم السماوي يقوتها»[1]. هذا كلام صائب. كلام جميل. هذا ما استحسنتِه. *ولكن*، عندما يقول يسوع في الوقت نفسه، «ألستم أنتم بالحريّ أفضل منها» – آه، هنا انفجرت الصغيرة فراني. هنا تخلّت الصغيرة فراني عن الكتاب المُقدّس بكل بساطة وانتقلت مباشرة إلى بوذا، الذي لا يتعصّب ضد كل طيور السماء الجميلة تلك. كل ذلك الدجاج والإوز العذب والجميل الذي كنا نربّيه في البحيرة. ولا تخبريني مرة أخرى أنكِ كنتِ في العاشرة من العمر، فلا صِلة لعمرك بما أتحدث عنه. ليس هناك *فروق* كبيرة بين العاشرة والعشرين –أو العاشرة والثمانين– في هذه المسألة. *ما زلت* لا تحبين شخصيّة يسوعَ كما تودّين أنْ تحبّي شخصيّة يسوع الذي فعل وقال الأشياء التي قيل على الأقلّ إنّه قام بها وقالها – تعلمين هذا. إنكِ حسب الدستور لا تستطيعين أنْ تحبّي أو أنْ *تفهمي* أي ابنٍ لله يرمي الطاولات ويُطيح بها، ولا تستطيعين من الناحية الدستوريّة أنْ تحبّي أو تفهمي أيّ ابنٍ لله يقول إنّ كائناً بشرياً، *أي* كائن بشريّ –حتى لو كان البروفسور تبر– أكثر قيمة في عين الله من أي دجاجة فصح عاجزة، وضعيفة.

حينئذٍ كانت فراني تواجه مباشرة مصدر صوت زوي، وهي جالسة باستقامة شديدة، وتقبض بيدها على كميّة من مناديل الورق. لم يعُد بلومبيرغ جالساً على حجرها. قالتْ بصوت حادّ «أعتقد أنك *أنتَ تستطيع* ذلك»

«لا صِلة للأمر بالاستطاعة أو بعدمها. ولكن، نعم، في الواقع، أستطيع. لا أشعر برغبة في الخوض في هذا الأمر، ولكن على الأقلّ لم أحاول قط، بوعي أو من دون وعي، أنْ أحوّل يسوع إلى فرنسيس الأسيسي وأجعله «محبوباً» أكثر – وهو بالضبط ما أصرّ دائماً ثمانية وتسعون بالمئة من العالم المسيحي على فعله. هذا لا يعني أنّه لمصلحتي. إذ يتصادف أنني لا أميل إلى نمط القديس فرنسيس الأسيسيّ. أما أنتِ *فتميلين* إليه. وفي اعتقادي، هذا أحد أسباب إصابتك بذلك الانهيار العصبي الصغير. وهو بالضبط سبب إصابتك به في المنزل. وهذا المكان أُعدّ تحت الطلب من أجلك. الخدمة جيدة، وهناك الكثير من الأشباح الحارة والباردة تتجوّل في المكان.

1– العهد الجديد، إنجيل متّى، الفصل السادس.

أي شيء مناسب أكثر من هذا؟ هنا يمكنكِ أنْ تتلي صلاتك وتجمعي بين يسوع والقديس فرنسيس وسيمور وجدّ الطفلة هايدي في حزمة واحدة».
فجأة سكت صوت زوي برهة وجيزة. «ألا تدركين هذا؟ ألا تدركين كيف تنظرين إلى الأشياء بإبهام، وبصورة رديئة؟ يا إلهي، أنت لا تتصفين بأي قدرٍ من الحقارة، ومع ذلك أنتِ غارقة في هذه اللحظة في التفكير المُتدنّي. وهذا لا يتضمّن فقط أسلوبك في التعامل مع الصلاة في *دينك* التافه وإنما، سواء عِلمتِ أم لم تعلمي، أنتِ مُصابة أيضاً بانهيار عصبيّ من الدرجة المتدنية. لقد سبق أنْ شاهدتُ بضع حالات من الانهيار العصبيّ الحقيقيّ، والذين أُصيبوا به لم يزعجوا أنفسهم بانتقاء واختيار المكان الذي-»

قالتْ فراني وهي تجهش بالبكاء، «كفى، زوي! *كفى!*»

«سوف أسكت، بعد قليل، بعد قليل. بالمناسبة، لِماذا تنهارين؟ أعني، إنْ كنتِ قادرة على الانهيار التام بكل طاقتك، فلِمَ لا تستخدمين تلك الطاقة نفسها لكي تبقي بصحة تامة وتنهمكي في العمل؟ حسن، إنني أتصرَّف بلا عقلانيّة. الآن أتصرف بلا أيّة عقلانيّة. ولكن، يا إلهي، ما أقل مقدار الصبر الذي وُلِدتِ به، تستخدمين في محاولتك، أولاً، تلقين نظرة حول حرم جامعتك، وعلى *العالم*، وعلى السياسة، وعلى *مخزون* أحد فصول الصيف، وتُصغين إلى حديث ثلّة من طلاب الجامعة المغفلين، وتُقررين أنَّ كل شيء هو الذات، الذات، الذات، والعمل الوحيد الذي ينمّ عن ذكاء ويمكن لفتاة أنْ تفعله هو أنْ تتكاسل وتحلق شعر رأسها وتتلو صلاة يسوع وتناشد الله أنْ يمنحها القليل من التجربة الصوفيّة تجعلها ظريفة وسعيدة»

صرختْ فراني «*هلّا سكتَّ، أرجوك؟*»، «سوف أفعل بعد قليل، بعد قليل. أنتِ دائماً تتكلّمين عن *الذات*. يا إلهي، إنَّ ذلك جدير بأنْ يدفع المسيح نفسه إلى تقرير ما هو ذات وما هو ليس ذاتاً. إنَّ هذا هو كون *الله*، يا صاحبتي، وليس كونك، والكلمة الأخيرة تبقى له في تقرير ما هو ذات وما هو ليس ذاتاً. وماذا عن محبوبك أبيكتيتوس؟ أو محبوبتك إميلي ديكنسون؟ أتريدين من إميلي كلما انتابها إلحاح تأليف قصيدة أنْ تجلس وتتلو صلاة حتى يزول إلحاحها الأنانيّ القذر؟ *كلا*، طبعاً ليس هذا ما تريدين! لكنكِ تحبّين أنْ تُنتزع أنانيّة صديقك البروفسور تبر منه. وهذا أمر مختلف. ربما

هو مختلف. ربما هو مختلف. ولكن كفاك صراخاً بشأنِ الذوات عموماً. وفي اعتقادي، إنْ كنتِ تريدين حقاً أنْ تعرفي، أنَّ نصف قذارة العالم يُثيرها أناسٌ لا يستخدمون ذواتهم الحقيقيّة. خذي صاحبك البروفسور تبر على سبيل المثال، اعتماداً على ما قلته عنه. إنني أراهن بأي شيء تقريباً على أنَّ ذلك الشيء الذي يستخدمه، الشيء الذي تعتقدين أنّه ذاته، ليس ذاته بل هي ذات أخرى، أكثر قذارة، وليست صِفة *أساسيّة* البتّة. يا الله، لقد أمضيتِ في المدارس من الوقت ما يكفي لتكتسبي معرفة جيدة. احذفي أستاذ مدرسة غير كفؤ -أو، أيضاً، أستاذ جامعة- وسوف تعثرين في معظم الوقت على عامل إصلاح سيارات من الدرجة الأولى أو بنّاء لعين. خذي لوساج مثالاً على هذا - صديقي، ومُستخدمي، وجادّة ماديسون الخاصّة بي. أتعتقدين أنَّ ذاته هي التي أوصلته إلى التلفزيون؟ هذا غير صحيح. أولاً، لم تعد لديه ذات - هذا إنْ كانت لديه ذات أصلاً. لقد جزّأها إلى *هوايات*. وحسب عِلمي كانت لديه على الأقل ثلاث هوايات، وكلها تتعلّق بورشة كبيرة، تساوي عشرة آلاف دولار تقع في الطابق التحتي، ممتلئة بأدوات لتنمية القوة وبملازم ويعلم الله ماذا أيضاً. لا أحد ممَّن يستخدمون ذاتهم حقاً، ذاتهم الحقيقيّة، يتوفّر لديهم أي وقت لممارسة أيّة هواية». فجأة سكتَ زوي. كان لا يزال يستلقي وعيناه مُغمضتان وأصابعه متشابكة، بإحكام، عبر صدره ومقدّمة قميصه. لكنّه الآن كان يُثبّت على وجهه تعبير ألم يائس - ظاهرياً، تعبير عن نقد ذاتيّ. قال «*هوايات*. كيف تحوّلتُ إلى الهوايات؟»، وبقيَ ساكناً برهة.

كان الصوت الوحيد المسموع في الغرفة هو نشيج فراني شبه المكتوم بفعل وسادة من الساتان. كان بلومبيرغ حينئذٍ جالساً تحت جهاز البيانو، على جزيرة من أشعة الشمس، ويغسل وجهه بمشهد جميل.

قال زوي، بنبرة واقعيّة أكثر مما ينبغي، «دائماً يبدو كلامي ثقيل الوطأة. مهما أقل أبد كأنني أنسف صلاتك ليسوع. وأنا *لا أفعل* هذا، اللعنة. وذاتي لا تقبل أنْ تستغليها تحت أي ظرف. أنا أفضّل أنْ أقتنع -بل أحبّ أنْ أقتنع- بأنكِ لا تستخدمينها كبديل لأي واجب تفرضه الحياة عليك، أو فقط كواجبٍ يوميّ. لكنَّ الأسوأ من هذا هو أنني لا أستطيع أنْ أفهم -أُقسِم بالله أني لا أستطيع- كيف تصلين ليسوع لا تفهمينه. وما لا يمكن غفرانه، إذا أخذنا

بعين الاعتبار أنكِ *متخمة* بالكميّة نفسها من الفلسفة الدينيّة التي أتلقاها - ما لا يمكن حقاً غفرانه هو أنكِ لا تحاولين أنْ تفهميه. كان يمكن غفران ذلك لو أنكِ إمّا شديدة *السذاجة*، كالرحّالة، أو شديدة *اليأس*- لكنكِ لستِ ساذجة، يا صاحبتي، ولستِ شديدة اليأس». عندئذٍ، وللمرّة الأولى منذ أنْ تمدَّد على ظهره، زمّ زوي شفتيه -بشدّة، بوصفها حقيقة بين قوسين- وما زال يُغمض عينيه، على طريقة أمّه. قال «إكراماً لله العظيم، يا فراني، إذا كنتِ تنوين أنْ تتلي صلاة يسوع، فافعلي ذلك، على الأقلّ، على مسمع من يسوع، وليس على مسمع من القديس فرنسيس أو سيمور أو جدّ الطفلة هايدي كلهم مجتمعين. فكّري *فيه هو* إذا تلوتها، هو *وحده*، فكّري فيه كما كان وليس كما تودّين منه أنْ يكون. أنتِ لا تواجهين أيّة حقائق. وهذا الموقف نفسه من الامتناع عن مواجهة الحقائق هو الذي أوصلك أصلاً إلى هذه الحالة من التشوّش، ولا يمكن الخروج منها»

بسرعة وضع زوي يديه على وجهه الذي أصبح الآن مُبللاً جداً، وأبقاهما برهة هناك، ثم رفعهما، وضمّهما معاً من جديد. وارتفع صوته مرة أخرى، بنبرة الحديث البارع المثاليّة، «والجزء الذي يُغضبني، يُغضبني حقاً، هو أنني لا أفهم لِماذا يرغب أحد -إلّا إذا كان طفلاً، أو ملاكاً، أو ساذجاً محظوظاً كالرحالة- في تلاوة صلاة ليسوع لا يختلف البتّة عن شكله وأقواله الواردة في العهد الجديد. يا الله! إنّه الرجل الذكي الوحيد المذكور في الكتاب المُقدَّس، لا أكثر! على مَنْ يتفوّق في الذكاء؟ إنَّ العهدين القديم والجديد مملوءان بالمُعلّمين، والأنبياء، والتلاميذ، والأبناء المُفضَّلين، وأشباه الملك سليمان، وأشعيا، وداوود، وبولس - ولكن، يا الله، مَنْ غير يسوع يعرف كيف ستكون النهاية؟ *لا أحد*. ليس موسى. لا تقُولي لي هناك موسى. لقد كان رجلاً لطيفاً، وبقيَ على تواصل جميل مع ربّه -ولكن هذا هو بالضبط بيت القصيد. كان عليه أنْ يبقى على تواصل. لقد أدرك يسوع أنّه لا يوجد انفصال عن الله». هنا صفّقَ زوي بيديه- فقط مرة واحدة، وليس بضجيج مرتفع، وفي الغالب رُغماً عنه. وضمَّ يديه من جديد عبر صدره تقريباً، قبل أنْ يُكمل التصفيق. قال «أوه، يا الله، يا له من عقل! على سبيل المثال، مَنْ غيره كان يمكن أنْ يلزم الصمت عندما

طلبَ بيلاطس منه تفسيراً؟ ليس سليمان. لا تقولي سليمان. كان سليمان سيقول بضع كلمات بليغة في المناسبة. ولستُ متيقّناً من أنَّ سقراط كان سيلزم الصمت، في تلك المناسبة. كان كريتو، أو شخص ما، سينجح في أنْ يتنحّى به جانباً مدة كافية بحيث ينتقي بضع كلمات لكي تُحفَظ في السجلات. ولكن قبل كل شيء، وفوق كل شيء، مَنْ غير يسوع كان يعلم في الكتاب المُقدَّس -***كان يعلم***- أننا نحمل ملكوت السماء معنا أينما ذهبنا، ***في داخلنا***، وكلّنا شديدو الغباء وعاطفيون ونفتقر إلى المُخيلة بحيث لا ننظر هناك؟ على المرء أنْ يكون ابن الله لكي يحصل على مثل تلك المعرفة. لِمَ تفكرين في مثل تلك المسائل؟ أنا ***جادّ***، يا فراني، كل الجديّة. إذا لم تري يسوع كما هو بالضبط، فإنكِ لا تتوصّلين إلى معرفة مغزى صلاة يسوع. وإذا لم تفهمي يسوع، لا تستطيعين أنْ تفهمي صلاته - ولن تفهمي الصلاة نفسها، بل ستحصلين على ما يُشبه اللغة المُنظَّمة. لقد كان يسوع ***خبيراً*** غاية في البراعة، عيَّنه الله للقيام بمهمّة غاية في الأهميّة. هو لم يكن القديس فرانسيس، تتوفر لديه فسحة كافية من الوقت لتأليف بضعة أناشيد على عجل، أو لإلقاء عِظات على مسمع ***الطيور***، أو للقيام بأي من الأعمال الأثيرة على قلب فراني غلاس. أنا جادّ الآن، وحقّ الله. كيف لا تدركين هذا؟ لو أنَّ الله أراد شخصاً على غرار القديس فرانسيس صاحب شخصيّة فاتنة على الدوام ليقوم بالمهمة في العهد الجديد، لانتقاه، حتماً. لكنّه انتقى الأفضل، والأشدّ ذكاء، والمحبوب أكثر، والأقلّ عاطفيّة، والأستاذ الأشدّ أصالة. وإذا لم تُدركي هذا، أُقسِمُ على أنك لن تتوصلي إلى كامل مغزى صلاة يسوع. إنَّ لصلاة يسوع هدفاً واحداً، هدفاً واحداً ***فقط***، وهو أن تمنح مَنْ يتلوها وعي المسيح، ***وليس*** إنشاء مكان صغير أليف مُقدَّس للالتقاء بشخص مُقدّس محبوب، وصعب، يضمّك بين ذراعيه ويُخلّصك من واجباتك كلها ويطرد كل أحزانك البغيضة ومن البروفسور تبر إلى الأبد. وبحقّ الله، لو أنكِ تتمتّعين بقدر كافٍ من الذكاء لتفهمي هذا -وأنتِ تتمتّعين به ***حقاً***- ورفضتِ أنْ تفهمي، فإنكِ تخسرين مغزى الصلاة، أنتِ تستخدمينها طلباً لعالم مملوء بالدُمى وبالقديسين وخالٍ من أمثال البروفسور تبر». فجأة استقام في جلسته، واندفع نحو الأمام، بسرعة

حركة جمباز، لكي ينظر إلى فراني. كان قميصة مُبلّلاً حتى يمكن عصره، حسب التعبير المألوف. «لو أنَّ يسوع قصد أنْ تكون الصلاة من أجل-»

سكتَ زوي فجأة. ونظر إلى وضعيّة فراني المنكبّة، ورأسها المُنكّس، على الأريكة، وسمعَ، ربما للمرّة الأولى، أصوات الألم الوحيدة المكبوتة جزئيّاً، الصادرة عنها. وفي الحال، شحبَ لونه -شحوب القلق على حالة فراني، وربما شحوب الشعور بالفشل الذي ملأ جو الغرفة المصحوب دائماً برائحة تُثير الاشمئزاز. لكنَّ لون شحوبه كان أقرب بصورة غريبة إلى البياض- أي منفصلاً عن تدرّجات اللون الأخضر والأصفر الدالّة على الإحساس بالذنب أو الندم المُذلّ. كان أشبه بالامتقاع التقليديّ في وجه صبي صغير يحبّ الحيوانات على سبيل التسلية، الحيوانات ***كلّها***، والذي رأى تواً تعبير وجه أخته المُفضّلة، المُحبّة للأرانب عندما فتحتْ صندوقاً يضم هديّته لها بمناسبة عيد مولدها - وهي حيّة كوبرا صغيرة تم اصطيادها حديثاً يُحيط عنقها شريط أحمر رُبِطَ بشكل أخرق.

حدَّقَ إلى فراني على مدى دقيقة كاملة، ثم نهضَ واقفاً على قدميه، مع قليل من الترنّح، الأخرق غير المُميَّز. مشى ببطء شديد نحو طاولة الكتابة الخاصّة بأمّه في الجهة المقابلة من الغرفة. وكان جليّاً، لدى وصوله، أنّه لم تكن لديه أدنى فكرة عن سبب ذهابه إلى هناك. بدا كأنّه لا يعرف الأغراض الموضوعة على سطح الطاولة -النشّافة التي تمّ ملء أحرف O كلها عليها، والمنفضة التي وضع على حافتها طرف سيجاره- ثم استدار ونظر من جديد إلى فراني. كان نشيجها قد هدأ قليلاً، أو هكذا بدا، لكنَّ جسمها كان لا يزال في الوضعيّة المنكفئة، البائسة، والوجه المنكبّ. كانت إحدى ذراعيها منحنية تحتها، عالقة تحتها، بطريقة لابد أنها كانت مُزعجة جداً، إذا لم نقُل مؤلمة. وأشاح زوي ببصره بعيداً عنها، ومن ثم عاد إليها بشجاعة. وبحركة وجيزة من راحة يده قام بمسح جبينه، ثم وضع يده في جيب بنطلونه لكي يُجفّفها، وقال «آسف، يا فراني، أنا شديد الأسف». لكنَّ هذا الاعتذار الرسميّ أحيا نشيج فراني، وجعل ضجيجه أعلى. فنظر إليها، بتركيز، طوال خمس عشرة أو عشرين ثانية. ثم غادر الغرفة، عبر الصالة، وأغلقَ الباب خلفه.

كانت رائحة الدهان الحديث العهد قد أضحت الآن قويّة جداً خارج

غرفة الجلوس. الرواق نفسه لم يكن قد دُهِنَ بعد، لكنَّ أوراق الصحف كانت قد وُزِّعَتْ على كامل طول الأرضيّة الخشبيّة الصلبة. وخلَّفَتْ خطوة زوي الأولى -خطوة متردّدة، شبه زائغة- أثر العقب المطاطي على الصورة الفوتوغرافيّة لستان ميوزيال من قسم الأخبار الرياضيّة يحمل سمكة تراوت نهريّة طولها أربع عشرة بوصة. وفي خطوته الخامسة أو السادسة، تفادى بصعوبة الارتطام بأمّه، التي كانت قد خرجتْ تواً من غرفة نومها. قالتْ «حسبتُ أنكَ غادرت!». كانت تحمل غطاءي سريرين من القطن مغسولَين ومطويين. «اعتقدتُ أنني سمعتُ الباب الأمامي-» وسكتت فجأة لكي تستوعب المظهر العام لزوي. سألته «ما هذا؟ عرق؟»، ولم تنتظر جواب زوي وأمسكته من ذراعه وقادته - بل يمكن القول إنها جرّته، كأنه خفيف كمكنسة، إلى ضوء النهار خارج غرفة نومها المدهونة حديثاً. «إنّه عرق *فعلاً*». كانت نبرة صوتها تحمل تساؤلاً واستهجاناً إذا كانت مسامّ جسم زوي تنضح بزيت طبيعيّ. «ماذا كنتَ تفعل بحقّ الله؟ لقد خرجتَ تواً من *الحمّام*. ماذا كنتَ تفعل؟»

قال زوي «لقد تأخرتُ الآن، يا فتاتي. هيا، جانب واحد». كانت خزانة من الأدراج قد نُقِلَتْ إلى الرواق، ومع وجود شخص السيدة غلاس سدّا طريق مرور زوي. قال، وهو ينظر إلى الخزانة، «مَنِ الذي أخرجَ هذا الشيء الفظيع إلى هنا؟»

طلبت السيدة غلاس منه، بعد أنْ نظرتْ أولاً إلى قميصه، ثم إليه، «لماذا تتفصّد عرقاً هكذا؟ هل تحدّثتَ مع فراني؟ أين كنتَ تواً؟ في غرفة الجلوس؟»

«نعم، نعم، في غرفة الجلوس. وبالمناسبة، لو كنتُ في مكانك، لذهبتُ ونظرتُ هناك برهة. إنها تبكي. أو هذا ما كانت تفعل عندما غادرتُ»، وربتَ على كتف أمّه. «هيا الآن. أنا جادّ. اخرجي من الـ-»

«تبكي؟ من جديد؟ لِمَ؟ ماذا حدث؟»

«*أنا* لا أعلم، وحق المسيح - لقد أخفيتُ عنها الكتب المُصوّرة. *كفى*، بيسي، تنحّي جانباً، من فضلك. أنا مستعجل»

أفسحت السيدة غلاس له الطريق ليمرّ، وما زالتْ تُحدِّق إليه. وفي الحال تقريباً، توجّهت إلى غرفة الجلوس بخطى سريعة حتى لم تكد تُتيح لها الفرصة لكي تهتف خلفها، «غيِّر ذلك القميص، يا ولد!»

سمعَ زوي هذه الملاحظة، ولم يُبدِ أيّة ردّة فعل. وعلى الطرف النائي من الرواق، ولج غرفة النوم التي كان يتقاسمها ذات يوم مع أخويه التوأم، وأصبحت الآن، في عام 1955، خاصّة به وحده. لكنّه لم يمكث في غرفته أكثر من دقيقتين. وعندما خرج، كان لا يزال يرتدي القميص المنقوع بالعرق نفسه. ولكن كان قد طرأ على مظهره تغييرٌ طفيف لكنّه واضح جداً. كان قد أحضر سيجاراً، وأشعله. ولسببٍ ما كان يضع على رأسه منديلاً أبيض ممدوداً، ربما درءاً للمطر، أو البَرَد أو الفراشات الصفراء.

قطع أرض الرواق مباشرة نحو الغرفة التي يتقاسمها أخواه الأكبر سناً. كانت تلك المرَّة الأولى في غضون حوالي سبعة أعوام منذ أنْ «وطئتْ قدم» زوي، حسب التعبير الاستعراضيّ الجاهز، غرفة سيمور وبدي القديمة. باستثناء أثناء حادثة لا أهميّة لها على الإطلاق وقعت قبل ذلك بعامين، عندما قلبَ الشقة بأكملها رأساً على عقب بحثاً عن مكبس مضرب كرة المضرب الضائع أو «المسروق».

أغلقَ الباب خلفه بأشدّ ما في استطاعته من إحكام، وعلى وجهه تعبير ينمّ عن أنَّ عدم وجود مفتاح في القفل يُثير سخطه. لم يكد يُلقي أيّة نظرة على الغرفة حالما ولجها. لكنّه تلفّت حوله وواجه عن عمد قطعة من الخشب كانت ذات يوم لوحاً مضغوطاً ناصع البياض مُثبّتاً بصلابة على خلفيّة الباب. كانت نموذجاً لفيل الماموث القديم، تكاد مساحته تُقارب مساحة الباب نفسه. يمكن للمرء أنْ يعتقد أنَّ بياضه، وملمسه الناعم، وامتداده، شيء كان ذات يوم يستدعي بكآبة استخدام الحبر الهندي والأحرف الضخمة. ليس عبثاً طبعاً. كانت كل بوصة من السطح المرئيّ من اللوح المضغوط مُزخرفة، مُرفقة بأربعة أعمدة رائعة المظهر نسبياً من المقتطفات من تشكيلة من الآداب العالميّة. كانت الأحرف دقيقة، لكنّها حالكة السواد ومقروءة بشغف، ولكن ليتها كانت زاخرة قليلاً بالنقاط، وبلا بقع أو محو. كانت الصنعة شديدة الدقّة حتى في أسفل اللوح، بالقرب من عتبة الباب، حيث من الواضح

أنَّ الناسخين، كلٌ بدوره، تمدَّد على بطنه. ولم تُبذَل أيّة محاولة لوضع المقتطفات أو المؤلفين ضمن فئات أو مجموعات من أي نوع. ولذلك، كانت قراءة المقتطفات من الأعلى إلى الأسفل، عموداً إثر عمود، أشبه بالمشي داخل محطة طوارئ تقع وسط منطقة فيضان، حيث نام باسكال، على سبيل المثال، مع إميلي ديكنسون بشكل فاضح، أو حيث عُلِّقَت فرشاة أسنان بودلير مع تلك الخاصّة بتوماس أ. كومبيس جنباً إلى جنب.

قرأ زوي، الواقف في موقع قريب جداً، المادة التي في قمة العمود الأيسر. ثم استمر في القراءة باتجاه الأسفل. ومن التعبير المُرتسم على وجهه، أو من انعدام التعبير، يمكن استشفاف أنّه يُبدِّد الوقت على رصيف محطة سكة الحديد يقرأ لوحة تعلن عن ضمادات القدم ماركة الدكتور شول:

«من حقّك أنْ تعمل، ولكن فقط إكراماً للعمل نفسه. وثمرة العمل ليست من حقّك. ولا ينبغي أنْ تكون الرغبة من نيل ثمار العمل هي دافعك إلى العمل، ولا تفسح المجال، أيضاً، للكسل»

«أنجز كل عمل وقلبك مُثبّتٌ إلى الله العليّ. استنكر الارتباط بالثمار. كن متوازناً نفسياً [الذي أبرزه أحد الخطّاطين] في النجاح وفي الفشل، ذلك أنَّ التوازن النفسيّ هو مغزى اليوغا. إنَّ العمل الذي يُنفَّذ مع قلق بشأن النتائج هو أدنى قيمة بكثير من العمل الذي يُنفَّذ بمنأى عن ذلك القلق، باستسلام هادئ. الجأ إلى معرفة البراهمي. والذين يعملون بأنانيّة سعياً وراء النتائج بؤساء» – من «باغافاد غيتا»

«لقد أحببَّ أنْ يُنجَز» – ماركوس أورليوس.

«أوه أيّها الحلزون، ارتقِ جبل فوجي.
ولكن ببطء، ببطء!» – إيساو

مكتبة
t.me/soramnqraa

«فيما يتّصل بالآلهة، هناك أناس ينكرون وجود الله؛ وهناك آخرون يقولون إنه موجود، لكنّه لا يحثّ ولا يهتمّ ولا يتدبّر حول أي شيء. وثمة فريق ثالث يعزو إليه الوجود والتدبُّر، ولكن فقط في المسائل العُظمى

والسماويّة، ولا صِلة له بأي شيء يجري على الأرض. وهناك فريق رابع يعترف بما يجري على الأرض وكذلك في السماء، ولكن فقط بصورة عامة، وليس فيما يتّصل بكل فرد. وفريق خامس، من بينهم يوليسيس وسقراط، يهتفون: -لا أستطيع أنْ أتحرك من دون معرفتك!»- أبيكتيتوس.

«يحدث الاهتمام الناجم عن الحب ويصل إلى ذروته عندما يتحدّث رجل مع امرأة، غريبين، وهما على متن قطار متوجهان شرقاً.

قالت السيدة كرووت، لأنها هي المرأة، «حسن، ما رأيك بالكانيون؟»

أجاب مُرافقها «هو مجرد كهف»

أجابت السيدة كرووت، «ما أغربه من جواب! والآن اعزف لي شيئاً» - رينغ لاردنر («كيف تكتب قصصاً قصيرة»)

«إنَّ الله يهدي القلب، ليس بالأفكار بل بالآلام وبالتناقضات». - دو كوساد.

«زعقتْ كيتي «بابا!»، وأغلقَتْ فمه بكلتيّ يديها.

قال «حسن، لن أفعل... أنا مسرور جداً، جداً... أوه، يا لي من أحمق»، وعانقَ كيتي، وقبّلَ وجهها، ويدها، ومن جديد وجهها، ورسم علامة الصليب عليها.

واجتاح ليفين شعور جديد بالحب لهذا الرجل، الذي لم يكد يعرفه حتى ذلك الحين، عندما رأى كيف قبّلتْ كيتي ببطء ورقّة يدّه المُسربلة بالعضلات». - من رواية «آنّا كرنينا»

«سيدي، يجب أنْ نعلّم الناس أنهم يرتكبون خطأً بعبادتهم للأيقونات والصور في المعبد»

«راماكريشنا: هذا هو أسلوبكم يا أهل كلكوتا: تريدون أنْ تُعلّموا وتعظوا. تريدون أنْ تهبوا الملايين في حين أنكم أنتم أنفسكم مُعدمون... أتعتقدون أنَّ الله لا يعلم أنّه يُعبَد من خلال الأيقونات والصور؟ وإذا ارتكب مُتعبِّد خطأً، ألا تعتقدون أنَّ الله يعرف نواياه؟» - من مزمور سري راماكريشنا.

«ألا ترغب في الانضمام إلينا؟» هذا هو السؤال الذي طرحه عليّ أحد المعارف حين قابلني مُصادفة وأنا وحدي بعد منتصف الليل في مقهى كان قد أصبح شبه مُقفِر. قلت «كلا، لا أرغب» – كافكا.

«سعادة أنْ يكون المرء مع الناس». – كافكا.

«صلاة القديس فرنسيس دو سال: «نعم، يا أبي! نعم، ودائماً، نعم!»
في كل يوم يهتف زوي – غان لنفسه قائلاً «سيدي»
ثم يُجيب على نفسه قائلاً «حاضر، سيدي»
ثم يُضيف، «هل أصبحتَ صاحياً»
يُجيب من جديد «نعم، سيدي»
ويستأنف «وبعد ذلك، ألم يخدعك الآخرون»
أجاب «نعم، يا سيدي؛ نعم، يا سيدي» –مو–مون–كوان

لمّا كانت الكتابة على اللوح دقيقة جداً، ظهرت هذه المادة الأخيرة في قمة العمود الخامس، وكان في استطاعة زوي أنْ يُتابع القراءة مدة خمس دقائق أخرى أو نحوها، ويبقى في العمود نفسه، من دون أنْ يُضطر إلى حني رُكبتيه. ولم يلجأ إلى فعل ذلك. استدار، ليس بحركة سريعة، وتقدَّم ليجلس على طاولة كتابة أخيه سيمور – مُخرِجاً الكرسي الصغير المستقيم الظهر وكأنّه أمرٌ يقوم به في كل يوم. ثم وضع سيجاره على الحافة اليُمنى من طاولة الكتابة، وجعل مؤخرته نحو الخارج، واتّكأ منحنياً إلى الأمام على مرفقيه، وغطّى وجهه بيديه. وخلفه وإلى يساره، كانت نافذتان بستارتين شبه مُسدلتين، تطلان على أرض الفناء –وهو عبارة عن وهدٍ من الآجر والأسمنت القبيح تمرّ منه بكآبة عاملات التنظيف وصبية يعملون في محلات البقالة طوال ساعات النهار. والغرفة نفسها كانت كما يُقال غرفة النوم الكبرى في الشقّة وكانت، بصورة أو بأخرى بمقاييس المنزل– الشقّة حسب تراث مانهاتن، لا تدخلها الشمس وليست رحبة. وكان ابنا عائلة غلاس الأكبر سناً، سيمور

وبدي، قد انتقلا للإقامة فيها في عام 1929، وهما في الثانية عشرة والعاشرة من العمر، ثم أخلياها وهما في سن الثالثة والعشرين والواحدة والعشرين. وكان معظم الأثاث ينتمي لـ«مجموعة» خشب القيقب: سريران نهاريّان، وطاولة ليليّة، وطاولتا كتابة صغيرتان خاصتان بطفلين تنحشر تحتهما الرُكب، وخزانتا أدراج مرتفعتان، وكرسيّان شبه مُريحين. ومُدَّت على الأرضيّة ثلاث سجادات شرقيّة صغيرة، متهرّئة تماماً. ما تبقّى كان كتباً، بلا مُبالغة، كتباً مختارة، كتباً متروكة على الدوام، كتباً لا أحد يعلم ماذا يفعل بها، ولكن الكثير من الكتب، صفوف من الصناديق تغطي ثلاثة جدران في الغرفة، مملوءة عن آخرها وأكثر من قدرتها على الاستيعاب. والزائد منها جُمِعَ على شكل أكوام على الأرض. ولم يتبقَّ إلّا حيِّز قليل للمشي، ولم يتبقَّ أي حيِّز للمشي بسرعة. وكان يمكن لشخص غريب شغوف بوصف حفلات الكوكتيل أنْ يُعلِّق قائلاً، بعد إلقاء نظرة خاطفة، إنَّ الغرفة تبدو كما لو أنّه كان قد سكنها مُحاميان أو باحثان في الثانية عشرة من عمريهما يتصارعان. وفي الواقع، إذا لم يختر المرء أنْ يقوم بعمليّة مسح متأنّية للمادة المقروءة المتبقّية، فإنه يكاد لا توجد مؤشّرات مُحدَّدة على أنَّ النزيلين السابقين قد بلغا سن المُشاركة في الانتخاب ضمن الحدود ذات الطبيعة المُراهقة السائدة للغرفة. صحيح أنّه كان هناك جهاز هاتف -الهاتف الخاصّ المُثير للجدل- على طاولة كتابة بدي، وكان هناك عدد من السجائر المُشتعلة على كلا الطاولتين. ولكن كانت هناك إشارات أخرى، مؤكّدة، تدل على سن البلوغ -علب تضم أزراراً للزينة أو أزرار ياقة الأكمام، ولوحات جداريّة، وأشياء متفرقة ذات دلالة موضوعة على قمة خزانة الأدراج- أُزيلَتْ من الغرفة في عام 1940، بعد أنْ «تفرَّقَ» الصبيّان وأصبح لكلٍ منهما شقّته الخاصّة. جلس زوي على طاولة كتابة سيمور القديمة، هامداً، لكنه ليس نائماً، ووجهه بين يديه ومنديل رأسه يتدلّى منخفضاً فوق جبينه، استمرَّ هكذا على مدى عشرين دقيقة كاملة، ثم، وبحركة واحدة تقريباً، أزال ما يدعم وجهه، ورفع سيجاره وأودعه فمه، وفتح الدرج السفليّ الأيسر من طاولة الكتابة، وأخرج منه، مُستخدماً كلتيّ يديه، حزمة بسُمك سبع بوصات أو ثمانٍ مما بدا أنها -وكانت كذلك فعلاً- بطاقات القمصان من الورق المقوّى. وضعَ الحزمة

أمامه على طاولة الكتابة وبدأ يُقلِّب البطاقات، اثنتان منها أو ثلاث دفعة واحدة، لم تتوقف يده إلّا مرة واحدة، حقاً، ولفترة وجيزة. والبطاقة التي توقف عندها كانت قد كُتِبَتْ في شهر شباط، عام 1938، بقلم رصاص أزرق اللون، وبخط يد أخيه سيمور، ويقول:

«عيد مولدي الواحد والعشرون. هدايا، هدايا، هدايا. قام زوي والطفل، كالمعتاد، بالتسوّق في منطقة برودواي السفلى. زوّداني بكميّة كبيرة من المسحوق المُسبِّب للحكّ وصندوق من قنابل الرائحة الكريهة. وسوف ألقي قنابل الروائح الكريهة في المصعد في كولومبيا أو «في مكان ما مزدحم» حالما تُتاح لي فرصة مُناسبة.

أُقيمتْ بضعة عروض هزليّة من أجل تسليتي. وقام لس وبيسي بأداء جميل للرقص النقري على رمل جلبته بوو بوو من جرّة موجودة في البهو. وعندما انتهيا، أدّت بيسي وبوو بوو مُحاكاة مُضحكة جداً لهما. وكادت الدموع تطفر من عينَي لس. وغنّى الطفل أغنية «عبد الله بلبل أمير»، وقام زوي بأداء طريقة خروج ويل ماهوني[1] من المسرح التي علّمه إياها لسْ، وارتطم بقوة بخزانة الكتب، وانتابه *غضب شديد*. وأدّى التوأم مُحاكاة بيسي ومُحاكاتي القديمة للثنائي الراقص بك وبابلز[2]. ولكن بشكل بارع. رائع. ووسط ذلك، اتّصل حارس البوابة عبر الهاتف الداخلي وسأل إنْ كان هناك مَنْ يرقص عندنا. كان السيد سليمان في الطابق الرابع-»

هنا توقف زوي عن القراءة، وربتَ مرّتين بقوة على كميّة البطاقات على سطح طاولة الكتابة، كما يربتُ المرء على حزمة من أوراق اللعب، ثم أسقط حزمة البطاقات إلى قعر الدرج وأغلقَ الدرج.

مرّة أخرى مال إلى الأمام متكئاً على مِرفقيه ودفنَ وجهه بين يديه. هذه المرّة جلس لا يأتي بأيّة حركة طوال حوالي نصف ساعة.

عندما تحرّكَ من جديد، فعلَ ذلك كأنّه دُمية موصولة بخيوط وقام أحدهم بشدّها بحماس شديد. بدا كأنّه مُنِحَ ما يكفي من الوقت ليلتقط سيجاره قبل

1- ويل ماهوني: ممثل مسرحي هزلي أميركي.

2- بك وبابلز: ثنائي راقص من السود كانا يؤديان عروضاً هزليّة.

أنْ تنخعه الخيوط الخفيّة ليعتدل في جلسته على الكرسي أمام طاولة الكتابة الثانية التي في الغرفة -طاولة بدي- حيثُ وُضِع جهاز الهاتف.

في وضعيّة جلوسه الجديدة هذه، كان أول ما فعله أنّه أخرج أطراف قميصه من داخل بنطلونه، وحلَّ أزرار قميصه كلها، وكأنَّ رحلة الخطوات الثلاث نقلته بصورة غريبة إلى منطقة استوائيّة. بعد ذلك، أخرج سيجاره من فمه، لكنّه نقله إلى يده اليُسرى وأبقاه هناك. وبيده اليُمنى أزال المنديل عن رأسه ومدَّه بجوار جهاز الهاتف، فيما بدا بوضوح تامّ أنّه «وضعيّة استعداد». بعد ذلك رفع سمّاعة الهاتف من دون أدنى تردّد وطلب رقم هاتف محلّي، بل في الواقع كان رقماً محليّاً جداً. وبعد أنْ انتهى من طلب الرقم، رفع المنديل عن طاولة الكتابة ووضعه على فوهة سمّاعة الهاتف، بلا إحكام وارتفع عالياً، وأخذ نَفَساً عميقاً، وانتظر. كان في استطاعته أنْ يُشعل سيجاره، لأنّه خمد، لكنّه لم يفعل.

***

قبل ذلك بحوالي دقيقة ونصف، كانت فراني قد رفضَتْ، بنبرة صوت مرتعشة بوضوح، عَرض أمّها الرابع في غضون خمس عشرة دقيقة لإحضار كوب «من مرق الدجاج الساخن، اللذيذ». كانت السيدة غلاس قد قدَّمتْ عرضها الأخير بعد أنْ نهضَت واقفة على قدميها - في الحقيقة، كانت قد أوشكتْ على مغادرة غرفة الجلوس، وسارت باتجاه المطبخ، يبدو عليها النكد والتشاؤم. لكنّ ظهور الارتعاش من جديد في صوت فراني أعادها بسرعة إلى كرسيها.

كان كرسي السيدة غلاس طبعاً على جانب فراني من غرفة الجلوس وبوضعيّة تنمّ عن حذر أقصى. وقبل ذلك بخمس عشرة دقيقة، عندما أصبحتْ فراني مُستعدة للنهوض والبحث عن مشطها. كانت السيدة غلاس قد أحضرت الكرسي ذا الظهر المستقيم من طاولة الكتابة ووضعته بشكل صحيح عند طاولة القهوة. كان موقع الجلوس ممتازاً لكي تقوم فراني بالمراقبة منه، وأيضاً يضع المُراقب في متناول المنفضة على السطح الرخاميّ.

جلست السيدة غلاس من جديد وتنهّدتْ، كما تفعل دائماً، في كل الأحوال، بعد رفض أكواب مرق الدجاج. لكنّها، إنْ صحّ التعبير، على امتداد سنوات عديدة قامت بجولات على متن قارب الدوريات بين قنوات أولادها الهضميّة بحيث لم يعُد التنهّد دلالة حقيقيّة على الهزيمة، وقالتْ، في الحال تقريباً، «لا أفهم كيف تتوقعين أنْ تستعيدي *قواك* إذا لم تتناولي شيئاً يُغذّي جسمك. أنا *آسفة*، لكنّي لا أفهم. إنكِ بالضبط لم-»

«أمي - أرجوك. كم مرّة طلبتُ منكِ أنْ تكفّي عن ذِكر مرق الدجاج أمامي؟ إنّه يُثير اشمئزازي إلى درجة-» وسكتتْ فراني فجأة، وأصغتْ. ثم قالتْ «أهذا جرس هاتفنا؟»

كانت السيدة غلاس قد نهضَتْ تواً عن كرسيها، وزمّتْ شفتيها قليلاً. كان رنين الهاتف، أيّ هاتف، في أي مكان، يجعلها تزّم شفتيها قليلاً. قالتْ «سأعود حالاً»، وغادرت الغرفة. كانت تُصدر ضجيجاً مسموعاً أكثر من المعتاد، وكأنّ علبة تضم تشكيلة من المسامير المنزليّة انفتحت داخل أحد جيوب الكيمونو الذي ترتديه.

مرّتْ خمس دقائق على غيابها، وعندما عادتْ، كان يرتسم على وجهها التعبير الذي وصفته ابنتها الكبرى بوو بوو ذات مرّة بأنّه يعني شيئاً من اثنين: أنها كانت تتكلّم مع أحد أبنائها الذكور عبر الهاتف أو أنّها تلقّتْ توّاً تقريراً، من مرجع موثوق، يقول إنّه تقرّر أنّ أحشاء كل كائن بشري على وجه الأرض سوف تتحرك بانتظام صحيّ تام طوال فترة أسبوع كامل. وأعلنتْ فور عودتها إلى الغرفة «كنتُ أتحدّث مع بدي على الهاتف». وكعادتها التي اكتسبتها على مدى سنين عديدة، كانت تكبتُ أقلّ مقدار من السرور يمكن أنْ يتسرّب إلى صوتها.

كانت ردّة فعل فراني الظاهرة على هذا الخبر أقلّ بكثير من الحماس. في الواقع، بدتْ متوترة الأعصاب. قالتْ «من أين كان يتّصل؟»

«لم أسأله. بدا من صوته أنّه يشعر ببرد شديد». السيدة غلاس لم تجلس. كانت تحوم في المكان. «أسرعي، أيتّها الشابة. يريد أنْ يتحدّث معك»

«هو طلبَ ذلك؟»

«طبعاً هو طلب ذلك! أسرعي الآن... انتعلي خفّك». خرجتْ فراني من بين الأغطيَةِ الورديّة وتركت وشاح الكشمير السماويّ. جلستْ، شاحبة ومنهارة بوضوح، على حافّة الأريكة، ورفعتْ بصرها نحو أمّها. أخذتْ قدماها تفتشان عن خفّها. سألتْ بعصبيّة «ماذا قلتِ له؟»

قالت السيدة غرس متململة من الإجابة، «فقط تفضّلي واذهبي إلى الهاتف، أرجوك أيّتها الشابّة. *أسرعي* قليلاً، إكراماً لله»

قالتْ فراني «أعتقد أنكِ أخبرته بأنني على شفا الموت أو ما شابه». لم تتلقَّ إجابة عن هذا. نهضَتْ واقفة عن الأريكة، ليس بهشاشة شديدة كما يمكن لناقِه أنْ يفعل بعد إجراء عمليّة جراحيّة بل فقط بقليل من الخوف والحذر، كأنّها توقّعت، وربما فضّلتْ، أنْ تشعر بقليل من الدوار. أدخلتْ قدميها بإحساسٍ أكبر بالأمان في الخُفّ، ثم خرجتْ من خلف طاولة القهوة بوقار، وهي تحلّ حزام مبذلها ثم تشدّه. وقبل حوالي عام أو نحوه، في فِقرة مُعبِّرة عن انتقاص لا مُبرِّر له لذاتها في رسالة موجَّهة لأخيها بدي، أشارتْ إلى شكلها بأنه «متأمْرِكٌ مثاليّ». من جديد زمّت السيدة غلاس شفتيها، بدلاً من الابتسام، وهي تراقبها، وتصادفَ أنْ كانت خبيرة كبيرة في تقييم قوام الفتيات الشابات وأسلوب خطاهن. وحالما غابتْ فراني عن الأنظار، وجّهت السيدة غلاس انتباهها نحو الأريكة. ومن طبيعة نظرتها، بدا واضحاً أنّه ليس هناك الكثير من الأشياء في العالم تكرهها أكثر من منظر أريكة، أريكة جيدة مكسوّة بزغب العيدر، صنِعَتْ خصيصاً لغرض النوم عليها. ودارت حول الممر الذي شكّلته طاولة القهوة وأخذتْ تربت على الوسائد الموجودة لتعديل وضعها.

تجاهلتْ فراني، في أثناء عبورها، الهاتف الموجود في الرواق. كان جليّاً أنها فضّلتْ أنْ تمشي أطول مسافة ممكنة على الرواق نحو غرفة نوم أبويها حيث جهاز الهاتف الأكثر شعبيّة في الشقّة. وعلى الرغم من أنّه لا يوجد أي شيء خاص ومُميَّز في مشيتها وهي تتحرك على طول الرواق -لا يمكن القول إنها كانت تسير متمهّلة أو كانت تهرول- ومع ذلك كانت تتحول بصورة غريبة في أثناء تقدّمها، كأنّها مع كل خطوة تخطوها تُصبح، بحيويّة، أصغر سناً. ربما الأروقة الطويلة، بالإضافة إلى الأثر الناتج عن البكاء،

بالإضافة إلى رنين الهاتف، بالإضافة إلى رائحة الدهان الطريّ، بالإضافة إلى أوراق الصحف الممدودة تحت الأقدام -ربما مجموع هذه الأشياء كلّها يُعادل، بالنسبة إليها، حجم عربة دمية جديدة. على أيّة حال، حالما وصلتْ إلى باب غرفة نوم أبويها بدا أنَّ مبذلها الأنيق المُفصَّل ذا الحزام الحريريّ- الذي لعلّه يرمز إلى كل ما هو أنيق *ومشؤوم* في المهجع - كأنّه تحوّلَ إلى ثوب استحمام صغير الحجم خاص بطفلة صغيرة.

كانت غرفة نوم السيد والسيدة غلاس تفوح برائحة قوية، بل لاذعة، لجدران مدهونة حديثاً. وكان الأثاث قد جُمِعَ في وسط الغرفة وغُطيَ بقماش الكنفا - كنفا قديم، مُلوّث بالدهان، يبدو متناسقاً. والسريران أيضاً كانا قد جُرَّا بعيداً عن الجدار، لكنّهما مكسوّان بأغطية من القطن جلبتها السيدة غلاس بنفسها. عندئذٍ كان جهاز الهاتف موجوداً على وسادة سرير السيد غلاس. ومن الواضح أنَّ السيدة غلاس أيضاً كانت تفضّله على الجهاز الموجود في الرواق. كانت السمّاعة موضوعة جانباً، في انتظار فراني. بدت مُستقلّة كأنّها كائن بشري ينتظر الاعتراف بوجوده. وكان على فراني، لكي تصل إليها، وتُخلّصها، أنْ تشق طريقها بين كميّة من أوراق الصحف وتتجنّب دلو الدهان الفارغ. وعندما وصلتْ إليها، لم ترفعها بل اكتفتْ بالجلوس إلى جوارها على السرير، ونظرتْ إليها، ثم أشاحتْ ببصرها عنها، ودفعَتْ شَعرها نحو الخلف. كانت الطاولة الليليّة التي توضَع في المعتاد بمُحاذاة السرير قد قُرِّبَتْ منه أكثر بحيث استطاعتْ فراني أنْ تصل إليه من دون الاضطرار إلى الوقوف. مدَّتْ يدها تحت قطعة كنفا تبدو قذرة جداً تغطيه ثم حرّكتْ يدها جيئة وذهاباً إلى أنْ عثرت على ما كانت تبحث عنه - علبة سجائر من الخزف وعلبة كبريت على حامل من النحاس. أشعلتْ سيجارة، ثم ألقتْ على الهاتف نظرة أخرى طويلة، قلقة إلى أقصى مدى. ويجب ملاحظة أنّه باستثناء أخيها المتوفى سيمور، كانت أصوات إخوتها كلهم تبدو ضخمة ورنّانة، إذا لم نقُل قويّة، عبر الهاتف. وفي تلك الساعة، كان من المُحتمل جداً أنَّ فراني شعرتْ بتردّد عميق بشأنْ استغلال فقط جرس، ناهيك عن محتوى، صوت أيّ من إخوتها عبر الهاتف. لكنّها استمرّت في نفخ دخان سيجارتها بعصبيّة، ورفعتْ سماعة الهاتف بشجاعة. قالت «ألو، بدي؟»

«مرحبا، حبيبتي. كيف حالك – أأنتِ بخير؟»

«أنا في أحسن حال. وكيف حالك أنت؟ تبدو كأنكَ مُصاب ببرد». بعد ذلك، عندما لم تسمع رداً فورياً قالت «أعتقد أنَّ بيسي ***تمدّك بالتعليمات*** في كل ساعة»

«حسن – كالمعتاد. نعم ولا. كما تعلمين. هل أنتِ بخير، يا حبيبتي؟»

«أنا بخير. لكنكَ تبدو غريب الأطوار. إمّا أنكَ مُصاب بالبرد أو أنَّ ثمة خطباً في الخط. على أيّة حال، من أين تتكلّم؟»

«تسألين أين أنا؟ أنا في مكاني المُناسب، يا فلوبسي، في المنزل الصغير المسكون الذي في الشارع. لا عليك. فقط كلّميني»

وضعتْ فراني ساقاً فوق ساق بكل هدوء. قالت «لا أعرف بالضبط عمّا ترغب في التحدث بشأنه. أعني، ماذا أخبرتكَ العزيزة بيسي؟». سادت فترة صمت على الجانب الآخر يتميَّز بها بدي. كانت بالضبط فترة من الصمت –اكتسبتْ قدراً ضئيلاً من النضج على مرّ السنين– لطالما اختبرتْ صبر فراني وأيضاً صاحب الأداء البارع على الطرف المقابل من الهاتف عندما كانا طفلَين. «في الواقع لستُ متأكّداً تماماً من كل ما قالت، يا حبيبتي. فبعد نقطة معيَّنة، يُصبح الاستمرار في الإصغاء لبيسي عبر الهاتف أمراً فظاً قليلاً. سمعتُ حتماً ما قالتْ عن حِمية شطيرة الجبن، وطبعاً عن كتب الجوّال. ثم أعتقد أنني جلستُ وسمّاعة الهاتف على أُذني، من دون أنْ أُصغي. كما تعلمين»

قالتْ فراني «أوه»، ونقلتْ سيجارتها إلى اليد التي تحمل سماعة الهاتف، ثم مدَّتْ يدها الحرّة من جديد تحت غطاء الكنفا على الطاولة الليليّة وعثرتْ على منفضة صغيرة من الخزف، وضعتها إلى جوارها على السرير. قالتْ «يبدو صوتك غريباً. أأنتَ مُصاب بالبرد، أم ماذا؟»

«أنا في أحسن حال، يا حبيبتي. إنني جالس هنا أتحدث معك وأشعر بصحّة تامّة. يسرّني سماع صوتك. لا أستطيع أنْ أعبِّر لك عن مقداره»

مرَّة أخرى جرَّتْ فراني كرسيها إلى الخلف بإحدى يديها، ولم تقُل أيّ شيء.

«فلوبسي؟ أهناك أي شيء يمكن أنْ تكون بيسي نسيتْ أنْ تقوله؟ هل ترغبين في قول أي شيء؟»

حرَّكتْ فراني وضعيّة المنفضة الصغيرة التي إلى جوارها على السرير قليلاً بأصابعها. قالت «حسن، في الحقيقة، لقد سمعتُ الكثير من الكلام. وأمضى زوي فترة الصباح كلّها وهو يُكلّمني»

«زوي؟ كيف حاله؟»

«حاله؟ هو **بخير**. في أحسن حال. كل ما في الأمر أنّه كان في وسعي أنْ أقتله»

«تقتلينه؟ لِمَ؟ لِمَ، يا حبيبتي؟ لِمَ كان في وسعك أنْ تقتلي صاحبنا زوي؟»

«أتسأل لمَ؟ ببساطة لأنّه كان في وسعي أنْ أفعل، هذا كل شيء! إنّه مُدمِّر ***بكل معنى الكلمة***. أنا لم أقابل في حياتي شخصاً مُدمِّراً بهذه الصورة المُطلقة! إنّه شيء لا لزوم له البتّة! تارّة يشنّ كل ذلك الهجوم الشامل على صلاة يسوع -التي تصادفَ أنني أهتمّ بها- ويجعلني أعتقد أنني عُصابيّة حمقاء لمجرّد اهتمامي بها، وبعد ذلك بقليل يبدأ بالهذر حول أنَّ يسوع هو الشخص الوحيد الذي يكنّ له ***الاحترام*** - يا له من صاحب ***عقل*** رائع، وما إلى ذلك. إنّه شخص غريب الأطوار. أعني أنّه يدور ويدور ضمن دوائر رهيبة»

«أخبريني عما جرى. أخبريني عن تلك الدوائر الرهيبة»

هنا ارتكبتْ فراني خطأً بإطلاق زفير قصير تعبيراً عن نفاد الصبر - كانت قد استنشقت تواً دخان السيجارة. سعلتْ. «أخبركَ بما جرى! سوف يستغرق مني ذلك اليوم كلّه، هذه هي المشكلة»، ووضعتْ إحدى يديها على نحرها، وانتظرتْ عبور الاضطراب من الممر الخطأ. قالت «إنّه غول. هو كذلك! ليس غولاً بالضبط ولكن -لا أعلم. إنّه يشعر ***بالمرارة*** حيال كل شيء. يشعر بالمرارة حيال ***الدين***، ويشعر بالمرارة حيال التلفزيون، وحيالك وحيال سيمور- ولا يكفّ عن القول إنكما أنتما الاثنين تجعلاننا نشعر بأننا غريبو الأطوار. ***أنا*** لستُ متأكّدة من هذا. إنّه يقفز من-»

«لماذا قال إننا غريبو الأطوار؟ أعلم أنَّ هذا ما يعتقد. أو يعتقد أنّه يعتقد ذلك. ولكن هل ذكر السبب؟ ماذا كان يقصد بغريبي الأطوار؟ هل قال، يا حبيبتي؟»

عند هذه النقطة، ضربتْ فراني جبينها بيدها، مع إحساس ظاهر باليأس من سذاجة السؤال. وهذا شيء لم تفعله ربما منذ خمس أو ست سنوات -

عندما، على سبيل المثال، اكتشفت، وهي في طريق عودتها إلى المنزل على متن حافلة ليكسنغتن، أنها تركتْ وشاحها في دار السينما. قالتْ «تسأل ماذا يقصد بغريبي الأطوار؟ إنَّ لديه حوالي *أربعين* تعريفاً لكل شيء! وإنْ كنتُ أبدو مُشوّشة قليلاً، فهذا هو السبب. تارة -كما حدث ليلة أمس- يقول إننا غريبو الأطوار لأننا نشأنا على مجموعة واحدة من المعايير. *وبعد ذلك بقليل* يقول إنّه غريب الأطوار لأنه لم يرغب قط في مقابلة أي شخص من أجل تناول مشروب. والمرة الوحيدة-»

«لم يرغب في ماذا؟»

«في مشاركة أي شخص *كأساً من المشروب*. أوه، لقد اضطرّ إلى الخروج ليلة أمس لمقابلة كاتب تلفزيوني لتناول مشروب في المدينة، في منطقة فيليج وما إلى ذلك. هكذا بدأ الأمر. يقول إنَّ الأشخاص الوحيدين الذين يرغب في الاجتماع بهم وتناول مشروب في مكان ما كلهم إمّا ماتوا أو غير متوفرين. ويقول إنّه لم يرغب قط في تناول *الطعام* مع أحد، إلا إذا اتّضح أنّه يسوع، ولا حتى بوذا، أو هوي -هينغ، أو شكسبير، أو أي شخص من مقامهم». أتعلم»، وأطفأتْ فراني فجأة سيجارتها في المنفضة الصغيرة- بحركة خرقاء، لأن يدها الأخرى لم تكن حرَّة لكي تُثبِّت المنفضة بها. قالتْ «أتعلم ماذا قال لي أيضاً؟ أتعلم على ما أقسم لي مراراً ؟ ليلة أمس قال لي إنّه ذات مرّة شرب كأساً من جعة الزنجبيل مع يسوع في المطبخ عندما كان في الثامنة من العمر. هل تُصغي إليّ؟»

«أصغي، أصغي... يا حبيبتي»، «قال بالضبط إنّه كان جالساً عند الطاولة التي في المطبخ، وحده، يشرب كأساً من جعة الزنجبيل ويأكل *البسكويت المُقرمش* ويقرأ رواية «*دومبي وولده*» وفجأة إذا بيسوع يجلس أمامه على الكرسي المُقابل ويسأله إنْ كان في وسعه أنْ يُشاركه شرب كأس صغيرة من جعة الزنجبيل. كأس *صغيرة*، لا تنس - هذا ما قاله بالضبط. أعني أنّه يقول أشياء كهذه، ومع ذلك يعتقد أنّه مُؤهّل تماماً لإعطائي *أنا* الكثير من النصائح وما شابه! *وهذا* ما يدفعني إلى حافة الجنون! حتى إنني أستطيع أنْ أبصق! حقاً! كأنني في مصحّ للمجانين وهناك مريض آخر يرتدي ملابس طبيب يتقدَّم منكَ ويبدأ بقياس نبضك أو ما شابه... شيء فظيع. ويتكلّم، ويتكلّم، ويتكلّم.

وإذا لم *يتكلّم* فإنّه يُدخّن سيجاره ذا الرائحة النفّاذة التي تغزو المكان كلّه. إنني أشعر بالتقزّز من دخان السيجار إلى درجة الانطراح أرضاً *والموت*»

«إنَّ السيجار هو أداة للتوازن، يا حبيبتي. مجرد أداة للتوازن. إذا لم يُدخّن سيجاراً، لا يستطيع أنْ يقف بتوازن على قدميه. لما استطعنا أنْ نرى أخانا زوي من جديد». كانت عائلة غلاس تضم العديد من ربابنة اللغة الخبيرين الأقوياء، ولكن لم يكن أحد غير زوي مؤهّل بالقدر الكافي لقول هذه الملاحظة الأخيرة الصغيرة بأمان عبر الهاتف. أو هذا ما أوحى به الراوي. وربما فراني أيضاً شعرت بهذا. على أيّة حال، فجأة أدركتْ أنَّ زوي هو الموجود على الطرف المقابل من الهاتف. فنهضت واقفة، ببطء، عن حافة السرير. قالت «حسن – يا زوي، حسن». فقال، ليس مباشرة «عفواً، ماذا قلتِ؟»

«قلت، حسن، يا زوي»

«زوي؟ ما هذا؟... فراني؟ أأنتِ هناك؟»

«أنا هنا. كفى الآن، أرجوك. أنا أعلم أنه أنت»

«ماذا تقولين، يا حبيبتي؟ ما هذا؟ مَنْ زوي هذا؟»

قالتْ فراني «زوي *غلاس*. كفى عبثاً الآن، أرجوك. إنَّ ما تفعل ليس مُضحكاً. بالمصادفة، لقد بدأت أشعر من جديد بـ–»

«أقلتِ غراس؟ زوي غراس؟ شاب نرويجي؟ رياضيّ أشقر من الوزن الثقيل–»

«حسن، زوي. كفى، أرجوك. يكفي هذا. لستَ مُضحكاً... إذا كنتَ مهتماً أقول إنني أشعر بأنني في أسوأ حال. إنْ كان لديك شيء خاص تقوله، أرجوك أسرع وقُله ودعني *وشأني*». هذه الكلمة الأخيرة المُشدَّدة غيّرتْ مسارها بصورة غريبة، كأنَّ التشديد عليها لم يكن مقصوداً تماماً. رانَ الصمت على الطرف المقابل من خط الهاتف. وكان رد فعل فراني غريباً عليه. فقد أزعجها. وجلستْ من جديد على حافة سرير والدها. قالتْ «لن *أغلق الخط* وأُنهي حديثي معك. لكنني –لا أعلم– أنا *مُتعبة*، يا زوي. أنا مُرهقة، بصراحة»، وأصغتْ. لكنّها لم تتلقّ أي ردّ. وضعتْ ساقاً فوق ساق. قالت «يمكنكَ أنْ تستمر هكذا طوال النهار، أما أنا فلا أستطيع. أنا فقط على الطرف المتلقّي، وهذا ليس شيئاً ممتعاً،

في الواقع. أنت تعتقد أنَّ الجميع مصنوعون من حديد أو ما شابه»، وأصغتْ. وتكلّمتْ من جديد لكنها سكتت عندما سمعت صوتاً يتنحنح.

«لا أعتقد أنَّ الجميع مصنوعون من حديد، يا صاحبتي»

بدا أنَّ هذه الجملة البسيطة المُقتَضَبة أزعجتْ فراني أكثر مما كان يمكن لصمتٍ متواصل أنْ يفعل. وبسرعة مدَّتْ يدها وانتقتْ سيجارة من علبة الخزف، لكنّها لم تستعد لإشعالها. قالتْ «حسن، يمكنك أنْ تعتقد ذلك». وأصغتْ. ثم قالتْ بسرعة، «أعني، هل اتصلتَ بي لسببٍ معيَّن؟ أعني، هل لديك سبب خاص للاتصال بي؟»

«لا سبب معيَّن، يا صاحبتي، لا سبب معيّن»

انتظرتْ فراني. ثم تكلَّم الشخص الموجود على الطرف المقابل من خط الهاتف.

«أعتقد أنني اتصلتُ بصورة أو بأخرى لأطلب منكِ أنْ تستمري في تلاوة صلاة يسوع إذا شئت. أعني أنَّ هذا شأنك. إنّه شأنك. إنها صلاة جيّدة، ولا تُصغي إلى أي شخص يقول لكِ خلاف هذا»

قالتْ فراني «أعلم هذا». ومدّت يدها بحركة عصبيّة إلى علبة الكبريت.

«لا أعتقد أنني قصدتُ في أي وقت أنْ أحاول ***منعك*** من تلاوتها. على الأقلّ، لا أعتقد أنني قصدت ذلك. لا أعلم. لا أعلم ما الذي كان يجري في عقلي. ولكن هناك شيئاً واحداً ***أعرفه*** بلا ريب. لا يحقّ لي أنْ أتكلَّم ***كعرّاف*** كما كنتُ أفعل سابقاً. لقد كان لدينا عدد كافٍ من العرّافين في هذه العائلة. وهذه الحقيقة تزعجني، وتُخيفني قليلاً»

استغلتْ فراني برهة الصمت التي سادتْ بعد ذلك لكي تجلس باستقامة أكثر قليلاً، كأنَّ الوضعيّة الجيدة، لسببٍ ما، أو الوضعيّة الأفضلّ، يمكن تحقيقها بسهولة في أيّة لحظة.

«إنها تُخيفني قليلاً، لكنّها لا تشلّني. يجب أنْ أجعل هذا جليّاً. إنّها ***لا تشلّني***. لأنكِ نسيتِ شيئاً واحداً، يا صاحبتي. عندما شعرتِ بالإلحاح للمرة الأولى، ***بالنداء***، لتلاوة الصلاة، لم تبدئي في الحال في البحث في أصقاع الأرض عن مُعلِّم. بل ***رجعتِ إلى الوطن***. ليس فقط رجعتِ إلى ***الوطن*** بل

أُصبتِ بانهيار. لذلك إذا نظرتِ إلى الأمر من زاوية معيَّنة، فسوف يحقّ لك فقط أنْ تتأمّلي لأنْ تُصبحي مُستشارة روحيّة من الدرجة الأدنى التي نستطيع أنْ نمنحكِ إياها هنا، لا أكثر. على الأقلّ تعلمين أنّه لا توجد أيّة دوافع خفيّة في دار المجانين هذه. مهما كنا، نحن لسنا *مُربيين*، يا صاحبتي». فجأة حاولتْ فراني بإحدى يديها فقط أنْ تحصل على شُعلة من أجل سيجارتها. نجحتْ في فتح علبة الكبريت، لكنَّ حركة خرقاء واحدة لقدح عود كبريت أطاحت بالعلبة إلى الأرض. فانحنت بسرعة والتقطتْها، وتركت عيدان الكبريت المُبعثرة في مكانها.

«سأخبرك شيئاً، يا فراني. شيئاً واحداً *أعرفه*. فلا تنزعجي. إنّه ليس سيئاً، بل يتعلّق بالحياة الدينيّة التي تريدين، يجب أنْ تعلمي على الفور أنكِ تفوّتين على نفسك كل عمل دينيّ يجري في أرجاء هذا المنزل. إنكِ تفتقرين حتى إلى الحسّ السليم بحيث تتناولين كوباً من حساء مرق الدجاج المفيد يُحضره إليك شخص -وهو النوع الوحيد من مرق الدجاج الذي تُحضره بيسي لأي شخص موجود في دار المجانين هذه. لذلك أخبريني، فقط أخبريني، يا صاحبتي. حتى إذا خرجت وبحثتِ في العالم أجمع عن مُعلِّم- عن مُعلِّم حكيم، أو رجل تقيّ - لكي يُعلّمكِ كيف تتلين صلاة يسوع بالطريقة الصائبة، ماذا سيفيدك ذلك؟ كيف ستميِّزين الرجل التقيّ الصحيح عندما تقابلينه إذا كنتِ لا تعرفين كيف تميّزين حساء مرق الدجاج المفيد إذا وُضِعَ أمامك؟ أتعرفين؟». عندئذٍ كانت فراني جالسة باستقامة غير طبيعيّة.

أجابت فراني «أنا فقط أسألك، وليس في نيتي أنْ أزعجك. هل أُسبّب لك الإزعاج؟»، لكنَّ جوابها لم يكن وافياً.

«ماذا تقولين؟ لا أسمعك»

«قلتُ كلا. من أين تتَّصل؟ أين أنتَ الآن؟»

«أوه، ما الفرق إذا عرفتِ المكان الذي أتّصل منه؟ من بيير، جنوب داكوتا، يا إلهي. اسمعي، يا فراني - أنا آسف، لا تغضبي. ولكن أصغي إليّ. لدي شيئان أو ثلاثة صغيرة أخرى أقولها، بعد ذلك سوف أذهب، أعدكِ بهذا. ولكن هل تعلمين، فقط بالمُصادفة، أنني وبدي أتينا بالسيارة في

الصيف الفائت لكي نشاهدك في عرض قديم؟ أتعلمين أننا شاهدناك ذات ليلة في عرض مسرحية «الفتى العابث في العالم الغربيّ»؟ كانت ليلة شديدة الحرارة. ولكن هل عِلمت أننا كنا هناك؟»

بدا أنَّ الكلام يتطلّب جواباً. نهضَتْ فراني واقفة، ثم عادتْ فجلستْ في الحال. أبعدت المنفضة قليلاً عنها، كأنها تقفُ عائقاً في طريقها. قالت «كلا، لم أعلم. لا أحد ذكر لي أي شيء - ***كلا***، لم أعلم»

«حسن، لقد كنا هناك، كنا هناك. وسوف أخبرك، يا صاحبتي. كنتِ جيدة. وعندما أقول جيدة، أعني أنك بارعة. لقد أحسنتِ التعامل مع تلك الفوضى. حتى أولئك الحمقى الذين أحرقتهم أشعة الشمس بين الجمهور شعروا بذلك. والآن أسمع أنك تخلّيت عن التمثيل المسرحي إلى الأبد - إنني أسمع أشياء، أسمع أخباراً. وأتذكّر الكلام الذي رافقك مع عودتك بعد انتهاء الموسم. أوه، كم تُغضبينني، يا فراني! أنا آسف، لكنك تُغضبينني ***فعلاً***! لقد وقعتِ على اكتشافٍ ***مُذهلٍ*** عظيم هو أنَّ مهنة التمثيل تضمّ عدداً كبيراً من المرتزقة والسفّاحين. وحسب ما أتذكّر، بدوْتِ أشبه بشخص ***تحطَّم*** تواً لأنَّ العاملين الذين يرشدون المشاهدين إلى مقاعدهم ليسوا عباقرة. ما خطبكِ، يا صاحبتي؟ أين عقلك؟ إذا كنتِ قد تحصّلتِ على ثقافة غريبة، ***فاستخدميها*** على الأقل، ***استخدميها***. يمكنك أنْ تتلي صلاة يسوع من الآن وحتى يوم القيامة، ولكن إذا لم تدركي أنَّ أهمّ شيء في الحياة الدينيّة هو الانفصال، لا أفهم كيف يمكنكِ أنْ تتقدّمي ***بوصة واحدة***. إنَّه الانفصال، يا صاحبتي، الانفصال وحده. الابتعاد عن الشهوة. «التوقّف عن الانغماس في الشهوات كلها». وهذا الانغماس في الشهوة، إذا أردت معرفة الحقيقة الكاملة، هو الذي يصنع الممثل قبل أي شيء. لِمَ تدفعينني إلى قول أشياء تعرفينها أصلاً؟ في موقع معيَّن من الحياة - أو في أحد التجسّدات، إنْ شئت، ليس فقط يتملّكك الشوق إلى أنْ تُصبحي ممثلة بل إلى أنْ تُصبحي ممثلة متمرّسة. وأنتِ الآن عالقة في تلك الحالة. لا تستطيعين أنْ ***تتخلّي*** عن المهنة بسبب نتائج أشواقك. إنّه السبب والأثر، يا صاحبتي، السبب والأثر. والأمر الوحيد الذي يمكنك أنْ تقومي به الآن، التصرّف الدينيّ الوحيد، هو ***التمثيل***. التمثيل من أجل الله، إذا شئت - هو أنْ تكوني ممثّلة ***من أجل الله***،

إذا شئت. أي شيء أجمل من هذا؟ يمكنكِ على الأقلّ أنْ تحاولي أنْ تكوني كذلك، إذا شئت - لا خطبَ في *المحاولة*». ورانت برهة من الصمت. «على أيّة حال يُستحسن أنْ تنشغلي بعملٍ ما، يا صاحبتي. إنَّ الزمن ينصرم مع كل التفاتة منك. أنا أعرف ماذا أقول. أنتِ محظوظة إذا توفّر لديك وقت للعطاس في هذا العالم الاستثنائيّ». وسادت برهة أخرى أقصر من الصمت. «في السابق كنتُ أقلقُ بهذا الشأن، لم أعد أقلق كثيراً الآن. على الأقل ما زلتُ أعشق جمجمة يوريك[1]. على الأقل ما زال يتوفّر لدي وقت لأبقى على حبي لجمجمة يوريك. أريد أنْ تكون لي جمجمة مُشرِّفة عندما أموت، يا صاحبتي. إنني *أتوق* إلى الحصول على جمجمة مُشرّفة على غرار جمجمة يوريك. *وكذلك أنتِ*، يا فراني غلاس. وكذلك أنتِ... آه، يا الله، ما فائدة الكلام؟ لقد تربّيتِ بالضبط على غرار تربيتي الشاذّة، وإذا لم تعرفي حتى الآن أي نوع من *الجماجم* تريدين بعد أنْ تموتي، وماذا عليك أنْ تعملي لكي *تستحقيها* - أعني إذا لم تكوني قد عرفت *على الأقلّ* حتى الآن أنّه إنْ كنتِ ممثّلة فعليك أنْ *تمثّلي*، فما فائدة الكلام؟».

كانت فراني عندئذٍ جالسة وراحة يدها الحرَّة تضغط على جانب وجهها، كأنّها تعاني من وجع أسنان مُضن.

«ثمة شيء آخر. وأنتهي. أعِدك. لكنَّ المشكلة هي أنكِ حالما تعودين إلى المنزل كنتِ تهذين وتتذمرين حول غباء المُشاهدين. كان الضحك يصدر عن صف المقاعد الخامس. وهذا صحيح، هذا صحيح - ويعلم الله أنّه كان شيئاً يُثير اليأس في النفس. أنا لا أُنكر هذا. لكنَّ هذا ليس من شأنك، في الحقيقة. هذا ليس من شأنك، يا فراني. إنَّ ما ينبغي أنْ يصبّ الفنان اهتمامه عليه هو التركيز على تحقيق الكمال، *وبشروطه الخاصّة*، وليس بشروط أي شخص آخر. لا يحقّ لك أنْ تفكري في مثل هذه الأشياء، أُقسِم لك. ليس وفق أي حسّ سليم، على أيّة حال. أتفهمين ما أعني؟» سادت فترة صمت. تحمّلها الاثنان من دون إبداء أي نفاد صبر أو تصرف أخرق. بدا كأنَّ فراني لا تزال

1- جمجمة يوريك: في مسرحيّة «*هاملت*» لوليم شكسبير، هي جمجمة مُهرِّج بلاط الملك السابق، في الفصل الخامس، المشهد الأول، وتدل على حتميّة الموت وعبث الحياة. - المترجم

تعاني ألماً ممضّاً على جانب وجهها، وأبقتْ يدها عليه، لكنَّ التعبير الذي على وجهها لم ينمّ عن الشكوى.

وصلها من جديد الصوت الذي على الطرف الآخر من خط الهاتف. «أتذكّر المرَّة الخامسة التي ذهبتُ فيها لحضور برنامج «الطفل الحكيم» أنني بكيت مرّات عِدَّة على أداء ولت عندما كان يشترك - أتتذكّرين عندما كان يشترك في البرنامج؟ على أيّة حال، ذات ليلة رحتُ أتذمّر قبل بثّ البرنامج. فقد أمرني سيمور بأنْ ألمّع حذائي في أثناء خروجي مع ووكر، فاستشطتُ غضباً. كان الجمهور الموجود في الاستديو كلّه من الحمقى، ورعاة البرنامج كانوا من الحمقى، وأخبرتُ سيمور بأنني أرفضُ رفضاً باتاً أنْ أقوم بتلميع حذائي من أجلهم. قلت له إنهم في كل الأحوال لن يروا حذائي، من مكان جلوسنا. لكنّه أمرني بتلميعه مع ذلك. طلب مني أنْ ألمّعه من أجل السيدة البدينة. ولم أفهم عمّا كان يتكلّم، ولكن كانت ترتسم على وجهه نظرة سيمور التقليديّة، وهكذا لمّعته. ولم يُخبرني مَنْ تكون السيدة البدينة، لكنني صرتُ أقوم بتلميع حذائي إكراماً للسيدة البدينة في كل مرَة خرجتُ إلى بث البرنامج المباشر بعد ذلك -خلال كل السنوات التي اشتركنا فيها معاً في البرنامج، إنْ كنتِ تتذكرين. أعتقد أنّه لم يفتني الاشتراك في البرنامج أكثر من مرات قليلة. وصورة تلك السيدة البدينة تتمثّل بوضوح شديد في ذهني. كانتْ تجلس هنا على الشرفة الخارجيّة طوال النهار، تطرد الذباب، وجهاز الراديو مفتوح بأعلى ضجيجه من الصباح وحتى هبوط الليل. أعتقد أنَّ الحرّ كان لا يُطاق، وربما كانت مُصابة بالسرطان و- لا أعلم. على أيّة حال، بدا جليّاً جداً السبب الذي جعل سيمور يدفعني إلى تلميع حذائي قبل أنْ أخرج إلى البث المباشر. أصبح *مفهوماً*.

كانت فراني واقفة، وقد أبعدتْ يدها عن وجهها لكي تمسك الهاتف بكلتيّ يديها. قالتْ في سماعة الهاتف «أنا أيضاً طلبَ مني هذا. طلبَ مني ذات مرَّة أنْ أكون مرحة إكراماً للسيدة البدينة». حرّرتْ إحدى يديها من الهاتف ووضعتها، فترة وجيزة، على قمّة رأسها، ثم عادتْ إلى إمساك الهاتف بكلتيّ يديها. «لم أتخيّلها جالسة على الشرفة الخارجيّة، لكنني تخيّلتُ -كما تعلم- ساقيها البدينتين جداً، اللتين تبرز العروق منهما. تخيّلتها جالسة على كرسي قبيح من

الأماليد المجدولة. لكنها كانت مُصابة بالسرطان أيضاً، وكانت تترك ضجيج المذياع مرتفعاً طوال النهار! ومذياعي أيضاً كان كذلك!»

«نعم، نعم، نعم. حسن. الآن دعيني أخبرك شيئاً، يا صاحبتي... هل أنت مُصغية؟»

مكتبة

أومأتْ فراني موافقة وقد بدا عليها التوتر الشديد.

«لا يهمني أين يمثّل الممثل. يمكن أنْ يفعل هذا في إحدى مسرحيات فصل الصيف، أو عبر أثير الراديو، أو على شاشة *التلفزيون*، ويمكن أنْ يحدث ذلك على خشبة أحد مسارح برودواي، الذي يزدحم بأشد أنواع الجماهير أناقة، وامتلاءً في البطون، وذوي البشرات التي لفحتها أشعة الشمس. لكنني سأفشي لكِ سرّاً رهيباً - هل تُصغين إليّ؟ ***لا توجد أية سيدة ليست بالنسبة إلى سيمور سيدة بدينة***. بمن فيهم صاحبك البروفسور تبر. وكل أولئك الأقارب الذين لا حصر لهم. ليس هناك أحد في أي مكان لا يعتبره سيمور سيدة بدينة. ألا تعلمين هذا؟ هل تعرفين هذا السر؟ ثم هل تعرفين -*أصغي* إليّ الآن- مَنْ هي تلك السيدة البدينة؟... أه، يا صاحبتي، أه يا صاحبتي. إنها المسيح نفسه. المسيح نفسه، يا صاحبتي»

يبدو أنّ كل ما كان في استطاعة فراني أنْ تفعل لكي تعبِّر عن استمتاعها هو الإمساك بالهاتف بكلتَي يديها.

على امتداد دقيقة كاملة أو نحوها لم تُنطَق أيّة كلمة، وتوقف الكلام. ثم قال «لم يعُد لديّ ما أقول، يا صاحبتي». وتبع ذلك صوت هاتف تُستبدل طريقة الإمساك به. أخذتْ فراني نَفَسها قليلاً لكنّها استمرّت في الاحتفاظ بالسماعة على أُذنها. تبع انقطاع الاتصال التقليديّ، طبعاً، سماع إشارة الخط المفتوح. وبدا أنّها وجدت سماعها شيئاً جميلاً جداً، كأنّها أفضل بديل للصمت الأصلي. ولكن بدا أنها تعرف أيضاً متى تتوقف عن الإصغاء إليها كأنَّ كل الحكمة القليلة أو الكثيرة التي في العالم أصبحت فجأة ملكها. بعد أنْ أعادتْ السماعة إلى مُستقرها، بدا أنّها تعرف أيضاً ما الذي يجب أنْ تفعله بعد ذلك. وأزالتْ أدوات التدخين، ثم أزالت الغطاء القطني عن السرير الذي كانت تجلس عليه، وخلعتْ خفّها، ولجأتْ إلى السرير. قبل أنْ تستغرق في نومٍ خالٍ من الأحلام، بقيت بضع دقائق متمددة بهدوء، تبتسم للسقف.

9 789933 676094